

میرجی زیدان

تاریخ آداب اللغة العربیة

المجلد الثاني

فأناج آداب اللغة العربفة

أألف

أمرأف زرفان

منشأء الهلال

الأمرأء الشافف

فأأأف على أأرفأ آداب اللغة العربفة فف العصر العباسف من قفام
الدولة العباسفة سنة ١٣٢هـ إلى دخول السلاجقة بفداد سنة ٤٤٧هـ

طبعة أفففة رافعها وعلق عليها

الأمأرأرفف ففف

أسأأاف الأأب العربف بكلفة الآداب
بأامعة القاهرة

دار الهلال

مقدمة

شروط التأليف (١)

من يتصدى للكتابة أو التأليف ، يجعل نفسه خادما للمصلحة العامة . . الا من يحصر كتابته في شؤون خصوصية أو يعالج علما يلذ له ولا يهمله سواه ، أو يمارس الكتابة لأغراض معينة ، أو يكون هدفه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والفوص على المعاني العويصة والالفاظ الغريبة بتقليد الاساليب القديمة التماسا لعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء . . فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لأنفسهم أو لطبقة خاصة لغرض خاص ، ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . وإذا لم يصادفوا اقبالا من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة ، مع انه لم يشعر بوجودهم لأنهم لم يخاطبوه بلسانه

وأما الكاتب العام فانه خادم الأمة وولى ارشادها . وعليه أن يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بد له في تأليفه من ثلاثة شروط ، الأول : اختيار الموضوع الذي يرى الأمة في حاجة اليه . والثاني : أن يسبكه في قالب سهل تناوله . والثالث : أن يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة أو حزب . والكتاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع والضار من الموضوعات وتباين قدرتهم على ايضاح أفكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص في الموضوعات الأدبية كالتاريخ والاجتماع والأخلاق ونحوها ، بخلاف الموضوعات الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

أما الأبحاث الأدبية فانها تفتقر في تأديتها الى اعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة تخلو من الركاقة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتخذه . وهو شائع اليوم على أقلام الكتاب ، لا يشذ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة « وقفا » لا يحل بيعه أو التعرف فيه . وفاتهم انها من قبيل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء ، تتغير بتغير أحوال المجتمع من البداوة أو الحضارة . . فتتمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة

(١) تنبيه : يلاحظ ان تعليقات الدكتور شوقي ضيف ، في هذا الجزء كالجزء السابق ، مشار اليها في الهامش بعلامة (*) تمييزا لها من تعليقات المؤلف المشار اليها بأرقام

والتراكيب العصرية للأفكار العصرية . وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها ، كالأعضاء المهمة في الجسم الحي ، تقضى الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالخلايا التي تندثر بالعمل الحيوى فتخلفها الخلايا الجديدة النامية . والتغير الذى يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف العصور دليل على حياة اللغة . ومن حاول الوقوف فى سبيل هذا التغير فقد عارض الطبيعة ، كما يفعل الصينيون بحبس أقدام بناتهم فى قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يقفون النمو لكنهم يشوشون عمله ، فتتجمد الاقدام مشوهة . وهكذا الوقوف فى سبيل اللغة فانه لا يقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

اما صدق اللهجة والصراحة فى القول والخلو من الغرض ، فذلك من أهم واجبات الكاتب ، لكنه من أصعب الشروط عليه . . اذ لايسهل على الانسان أن يجرد نفسه من الروابط الدينية أو الاجتماعية التى تتجاذبه ، وقد تأثر بها منذ الصغر وتمكنت منه بتوالى الأعوام . وانما يقوى على مغالبتها قوى الإرادة عالى التربية . وقد يتطرف المتعصب لأمته أو طائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى فى سواها غير السيئات ، ولذلك فهو لا يفيد فى الخدمة العامة وقد يضر

اما الموضوعات ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو ضرره باختلاف حال الأمة وباختلاف نسق الكاتب فى تبويبه وأسلوبه فى تأديته ، وبمقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد . . لأن من الكتاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وتزويقها وتنميقها ، ولو أدى ذلك الى اضطراب المعنى أو غموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التى يستطيع جمعها فى كتابه بلا تكلف أو تأنيق ، ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شيء . وهذه هى الخطة التى نبذل جهدنا فى الاخذ بها فيما نكتبه . . لأننا نرى الأمة فى حاجة الى الحقائق أكثر من حاجتها الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص فى هذا الكتاب لاتساعه وتشعب موضوعاته وتعدد جزئياته ، ولأننا نعلق أهمية كبرى على حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ آداب اللغة ؟

اختلف الكتاب فى مباحث تاريخ آداب اللغة ، فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم ، أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر فى تاريخه مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفى بعضهم من تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبهم ، أو يجعل همه وصف الكتب التى ظهرت فى كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفى باطراء أصحاب هذه اللغة وما بلفوا اليه من الرقى فى معالجة

الموضوعات الهامة بالقياس الى الأمم الاخرى . أما نحن فقد أردنا أن نجمع بين ذلك كله بقدر الامكان

نسق هذا الكتاب

قسمنا كتابنا الى عصور بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ذلك ، وما قد يقابلها عند الأمم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرخنا كل علم في كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ، ووصفنا أهم تلك الكتب وقيمتها بالنسبة لسواها . وأشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الآستانة أو أوربا أو غيرها من دور الكتب العامة أو الخاصة . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكتبات الخاصة التي لم يصلنا خبرها . وذلينا كل ترجمة أو باب بأشهر المصادر التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة أو التوسع في ذلك الباب .

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوي أو لغوي أو مؤرخ أو جغرافي أو أي رجل من رجال العلم أو الأدب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب العصور ، فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل اليها خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المصادر في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد ألفنا هذا الكتاب للناشئة العربية وطلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم وأماكنها للمطالعة أو التأليف ، أو يعوزهم درس موضوع أو الكتابة فيه ولا يعرفون مظاهره . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدهم في درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من الموضوعات الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية ، وأحب الاطلاع على ما قاله العرب فيه ولا يدرى من ألف فيه منهم ، وهل ما ألفوه لا يزال باقيا ؟ وما هي قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه ؟ وهل طبع وأين ؟ واذا لم يطبع فأين يوجد ؟ الخ . . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل .

ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره
وقد توخينا الإفاضة فيما يهم طلاب الأدب أو الشعر أو التاريخ
وسواها من العلوم الأدبية والاجتماعية والأخلاقية ونحوها . واختصرنا
في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها
بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضا في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها
من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما أنسناه من
اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة
في العصور الاولى قبل تكون العلوم . وكان لهذا الجزء وقع لدى الأدباء
والكتاب ، فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . اما المقرضون فنشكر لهم حسن
ظنهم . واما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة وأسلوبا
بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه ، وتدل على حرج مركز الكاتب
الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحکم فيه اختلاف
المشارب والأهواء والأغراض مثل قراء العربية ، فلا يتأتى لكاتب
ارضائهم جميعا ولو أوتي علم الأولين والآخرين

ومما تحسن الإشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على
المؤلف تقليده من الأمثلة الشعرية أو النثرية ، ولكن ذلك ما أردناه . ولو
أكثرنا من الأمثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد
التوسع فليطلب ذلك في المصادر الاصلية المذكورة في ذيل التراجع ، أو
يطالعه في كتب الأدب لأدباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة
الأشعار والأقوال أشهرها « أدبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف (بك)
والشيخين محمد نصار وأحمد إبراهيم وعبد الجواد عبد المتعال من رجال
وزارة المعارف العمومية . وكتاب « أدب لغة العرب » للشيخ محمد حسن
نائل المرصفي مدرس اللغة العربية بكلية الفرير في مجلدين . و « مجاني
الأدب » وشرحه للأدباء اليسوعيين في عدة مجلدات . و « جواهر الأدب »
للشيخ أحمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب
الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب »
لروحي بك الخالدي ، وهو فريد في بابيه

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الأب لويس شيخو اليسوعي ، لأنه
كتب في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلا طويلا في نقد الجزء الاول من
هذا الكتاب نقدا ، ثم عن أدبه وفضله ودل على تمكنه من الموضوع .
فبعد أن وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في
موضوعه بالعربية وغيرها ، ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل وإخلاص .
فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب ، وسننظر في ملاحظاته
بعين الاهتمام وان كان أكثرها في غير مكانه أو قبل أوانه . فان بعضها يكاد

يكون تحقيقه مستحيلا كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الآخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها ، فقد ذكر أكثرها في هذا الجزء لأن أصحابها من أدباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولا في كتبنا الاخرى ، كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا أمورا لو أردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب أضعاف حجمة . فانه طلب الينا أن نستخرج عادات العرب وتاريخهم من أمثالهم وأشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه أن نطيل في درس كل شاعر وشعره ، وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان ، وأشرنا الى المصادر لمن أراد التعمق . وأخذ علينا أيضا مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى أيضا اننا أخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول أن نجعل هذا الجزء خاصا بتاريخ آداب اللغة في العصر العباسي ، من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، فقسمنا هذا العصر أو الدولة الى أربعة عصور لكل منها صفة مشتركة في السياسة والاجتماع والأدب يمتاز بها عن سواه سيأتى ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة في ذلك التقسيم : فالعصر الاول (سنة ١٣٢ - ٢٣٢ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة أو هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة ، وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية غاية مجدها . وفيه نشأت أكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة . والعصر الثاني (سنة ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) هو فترة ما بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصره رجال العلم والأدب . والثالث (سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والأدب ولاسيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وأمراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والأخذ بناصر العلماء . والرابع (سنة ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما شرعنا في الكتابة اتسع بنا المقال ، فاکتفينا بالعصور الثلاثة الاولى في هذا الجزء أي من تكون العلوم الى نضجها . وأجلنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه

ويسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية .
فان أحسنا ، فذلك ما أردناه وهو فرض أديناه . والا فقد اعذرنا ببذل
الجهد وصدق النية . ولنا الأمل أن ينسط من ادبائنا من يوفى الموضوع
حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

اقسام العصر العباسي

من سنة ١٢٢ - ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الأموية اختلافا بينا . . كانت الدولة الأموية
عربية بدوية ، وأصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية الا من حيث
آداب اللغة فظلت عربية ، وفي أيامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت
علوم القدماء الى لغتهم ونبع الشعراء والأدباء والنحاة والمؤرخون واللغويون
والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي أو الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض
القرن ، من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٢٢ هـ الى سقوط بغداد على
بد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ

وقد تقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول وتغلب الأمم على
ما اقتضته الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار
القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريبا من القرون الثلاثة الاولى
خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع أو السياسة أو
باختلاف الدول التي أفضت الامور اليها . أما القرنان الاخيران فيشتركان
في أحوالهما . فقسمننا العصر العباسي الى أربعة ادوار أو عصور، وهي :

١ - الدور أو العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٢٢ هـ
الى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الاول

٢ - العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ الى
استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ

٣ - العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ
الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

٤ - العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها
في أيدي التتر سنة ٦٥٦ هـ ، وسنقدم للكلام عن كل عصر بما حدث فيه
من الانقلاب السياسي أو الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه .
ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية أرقى أحوالها
ونمهد للكلام في ذلك بما كان من تأثير القرآن الكريم في نشوئها . وقد أشرنا
الى شيء من ذلك متفرقا في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا

القرآن الكريم

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والأدب والشعر وغيرها . وأكثرها نشأ من القرآن الكريم أو تولد خدمة له ، ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه تأثيرا مباشرا أو غير مباشر . فلا غرو اذا أفردنا فصلا خاصا لبيان ذلك

١ - العلوم التي تفرعت من القرآن الكريم أو نشأت لخدمته (*)

خرج العرب من جزيرتهم الى العالم في صدر الاسلام ، وليس في أيديهم من الكتب غير القرآن الكريم يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه ، وقد اعجبوا بأسلوبه ودهشوا لبلاغته . . لأنه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهو منشور مقفى على مخارج الأشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا هو نثر ولا هو سجع ، وفيه من البلاغة وأساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء . فأصبح همهم تلاوته وتفهم أحكامه لأنه قاعدة الدين والدنيا وبه يتأيّد السلطان والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

القراءة وعلومها

واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من أئمة القراء مر ذكرهم . وقد أخذ كل منهم يثبت صحة قراءته بالتواتر عن الرسول ، فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي العصور

(*) عرض المؤلف هنا باختصار للعلوم التي نشأت لخدمة القرآن الكريم ، وفي المكتبة العربية كتب مختلفة عالجت هذا الموضوع بافاضة لعل أهمها كتاب « الاتقان في علوم القرآن » للسيوطي المتوفى في القرن التاسع الهجري ، وهو يقع في مجلدين ضخمين . وقد ألفت قبل هذا الكتاب كتب كثيرة ، منها ما تناول علما خاصا ، كعلم أسباب النزول لاي الذكر الحكيم أو علم مجازة أو علم أعرابه أو علم قراءاته أو علم تفسيره . ويذكر السيوطي في كتابه كل علم وأهم الكتب التي ألفت فيه ، وينقل عنها فصولا واسعة . ومن أهم من ألفوا فيه قبله ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة وله فيه كتابان مخطوطان بدار الكتب المصرية ، يسمى أحدهما « فنون الأفنان في علوم القرآن » ويسمى الثاني « المحتبى في علوم تتعلق بالقرآن » ولبلد الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ للهجرة كتاب مهم في هذا الموضوع اعتمد عليه السيوطي في مصنفه الأنف الذكر وهو كتاب « البرهان في علوم القرآن » . وتعني دار الحلبي في القاهرة بنشره الان

الى سبعة علوم هي : علم الشواذ ، وعلم مخارج الحروف ، ومخارج
الآلفاظ ، والوقوف ، وعلل القرآن ، وكتابة القرآن ، وآداب كتابة
المصحف . ولكل من هذه العلوم قواعد وكتب

النحو

وأول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على
الاسراع في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة
القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . . فسمع أبو الأسود الدؤلي
رجلا يقرأ « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بخفض رسوله وهي
مضمومة ، فصنف باب العطف والنعث وهو من أسس علم النحو . ثم وضع
الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من أهم البواعث على وضع النحو أو
الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولما يتم القرن الثاني للهجرة ، أى انه
نضج في قرن وبعض القرن . واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد
انشاء دولتهم بعدة قرون ، ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد
قيام دولتهم بستة قرون . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب

الأدب وعلومه

ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم .
ولما أخذ المسلمون في تفسير القرآن الكريم احتاجوا أيضا الى ضبط معانى
الفاظه وتفهم أساليب عبارته ، فجرهم ذلك الى البحث في أساليب العرب
وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم وهو « علم الأدب » وقد بعث الى وضعه في
الأكثر تفسير القرآن الكريم . قال ابن عباس : « اذا قرأتم شيئا من كتاب
الله ولم تعرفوه فاطلبوه في الأشعار لأن الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو أرادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم
فهمه ، أتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أوذاك الأسلوب ،
وخصوصا في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي في الأكثر ، كالكشف
للزمخشري ، فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيه استغرقت مجلدا
ضخما أفرد بعضهم كتابا لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا
يؤلفون كتب الأدب والتاريخ لخدمة القرآن . قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه
الشعر والشعراء : « وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين
يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي
النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الأدب من الفنون الأدبية والعلوم المتعلقة
بالآلفاظ ، وهي تزيد على عشرين علما كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني
والبيان والبديع والعروض وغيرها ، والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

الحديث

واحتاجوا في تفسير القرآن الكريم أيضا الى تفهم الحديث لأنهم كانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بأقوال الرسول على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الأحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل القرائح بجمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالى الأزمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وسنده وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وأحوال الرواة ونحو ذلك . وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وأبحاث وعلماء

التفسير

والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عدة ذكرها صاحب مفتاح السعادة ، وهى تزيد على سبعين علما . ولكل منها علماء ومؤلفات وأبحاث ومناظرات . وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية ولايستطيع الطالب اتقان الواحدة منهما ان لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة : « ان الذى يكتب الحديث ولايعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعر فيها »

الفقه

ولما صار الاسلام دولة احتاج امرؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم فى أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية ، فكان معولهم على القرآن الكريم والحديث فاستنبطوا منه الشريعة وأحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوى ونحوها

التاريخ

ولما اشتغل المسلمون بتفسير القرآن وجمع الأحاديث احتاجوا الى تحقيق الأماكن والاحوال التى كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الأحاديث ، فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والأدب الى البحث فى أسانيدھا والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرهم ذلك الى النظر فى الرواة وتراجمهم وسائر أحوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والأدباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات، كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النسابين أوغيرهم . وكان ذلك من أهم أسس علم التاريخ . واتسع تأليفهم فى هذا السبيل ، حتى انهم كثيرا ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الأعلام الواردة فى كتاب ، ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة الرسول عنهم وكتاب تهذيب الأسماء . . فان من أهم البواعث على تأليفه ترجمة الأعلام الواردة

فى كتب مختصر المزننى والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروصه
وزد على ذلك ان المسلمين يجدون فى القرآن آيات تستحثهم على
الاشتغال بالتاريخ والأخبار للعبرة والعظة من مثل : « لقد كان فى قصصهم
عبرة لأولى الألباب » : « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين »
ومثل : « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق »

الجغرافية

ويقال نحو ذلك فى الأسباب المساعدة على وضع علم الجغرافية أو
تقويم البلدان أو الاسراع فى نضجه ونموه كالأسفار فى طلب الحديث من
حملته والحج الى مكة والرغبة فى تطبيق القواعد الفقهية كالخراج
والجزية ، ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحا أو
عنوة . فجرهم ذلك الى تعرف البلاد ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا
فى القرآن آيات تحض على طلب هذا العلم من مثل : « أفلم يسيروا فى
الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » و « قل سيروا فى الارض
ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢ - تأثير القرآن الكريم فى آداب اللغة العربية

هذا ما كان من تأثير القرآن الكريم فى تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام ،
وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احداثه القرآن فى الآداب التى كانت شائعة
قبل الاسلام فغير أسلوبها ورقاها وهاك أهمها :

الخطابة

الخطابة والشعر من الفنون الأدبية الجاهلية التى زادها الاسلام رونقا
وبلاغة ، والخطابة سبقت الشعر فى ذلك لحاجة المسلمين اليها فى الفتوح
والفزوات فمارسوها . وقد أشربت نفوسهم بأسلوب القرآن الكريم لما
علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه ، فارتقى ذوقهم الخطابى بتقليد
أسلوبه واقتباس آياته . وأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا
وتهديدا ، حتى لقد يجعلون الخطبة بجملة ما مجموعه آيات كما فعل مصعب
ابن الزبير لما قدم العراق وحررض أهله على طاعة أخيه عبد الله . وقد نشرنا
خطبته فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وصار المسلمون يسمون الخطبة
التى لم تزين بشيء من القرآن الكريم « البتراء » و « الشوهاء »

الشعر

وقس على ذلك تأثيره فى الشعر فانه زاده طلاوة ورونقا واكتسب تعابير
وأساليب لم تكن له من قبل وترى أمثلة منها فى هذا الكتاب

الإنشاء

لم يصلنا من أساليب الإنشاء الجاهلي غير سجع الكهان ، أتينا بمتال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الأول . وأقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة ، وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق . . ذلك ما وصل إلينا على السنة الرواة . ومن خطبهم الجيدة خطبة قس بن ساعدة في عكاظ . ومهما يكن من الأمر فإن الإنشاء في الإسلام تبدل وارتقى كما ارتقت الخطابة ، ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يقلدون القرآن الكريم في الإيجاز والبلاغة ، ويتوخون الاختصار على قدر الإمكان عملاً بالحديث القائل : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً » فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ . وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب في الفتح ، فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلفاء الخطباء . . كأن الرسالة البليغة خطاب يتلوه المرسل إليه . وقد أتينا بأمثلة من ذلك في الجزء الأول

وكانوا إذا أرادوا البلاغة والتأنق في الإنشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام ، فهي كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك إلى اليوم . ويكفي مثلاً على ارتقاء ذوق الإنشاء بالقرآن الكريم ما ظهر من بلاغة علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله ، ثم كان للإنشاء تاريخ سنأتى عليه في حينه

اللغة

دخل اللغة كثير من الألفاظ الإسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الإسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الألفاظ التي اقتضاها الإسلام ، وقد فصلنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فإن معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن الكريم أو الإسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين . قال أبو عمرو بن العلاء : « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت أن العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن الكريم وتفسيره ، لكنها ما لبثت أن صارت تعتمد عليه وترجع في تحقيق قواعدها إلى آياته ، يستشهد بها القوم في النحو والأدب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيبويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن الكريم

واعتبر ذلك في سائر فنون الأدب أو علوم اللغة . ومنها ما تأيد أكثره بأساليب القرآن الكريم كالمعاني والبيان والبدیع ونحوها . ويرى المسلم في القرآن الكريم آيات يتنسم منها الحضر على طلب العلم ورفع قدر العلماء من مثل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ - تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الأهمية لم يكتب لغير القرآن الكريم من الكتب الدينية في الأمم الاخرى ، ذلك انه أطل بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي . . لأن الاسلام يفرض على كل مسلم ان يحفظه ويطالعه ، فلولاء القرآن الكريم كانت لغة العالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان ، فتفرق أصحابها أمما وطوائف وأمحت الدولة الرومانية والأمة الرومانية كما أمحت سواها من الأمم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط في الشام والقيبط في مصر . وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن الكريم وحفظ بها التفاهم بين الأمم الاسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها . ولولاه لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها . ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الأمم وفنائها أو اندماجها في الأمم التي تسلطت عليها ، كما أصاب الأمم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام . لكنها الآن تجتمع وتتعاون لأنها تتفاهم بلغة واحدة لغة القرآن الكريم وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن الكريم ، ولو كانوا في أقصى الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا ، بتركستان وخراسان وفارس . . فان عدد قراء العربية يزيد على مائتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شردمة من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده . وقراء الأناجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة . وأكثر أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها . أما القرآن الكريم فالمسلمون يقرأونه باللغة العربية

ويعد من قبيل تأثيره في آداب اللغة أيضا تأثيره في اخلاق أصحابه . ولكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم ، وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الأخلاق والأبدان . ولكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في أخلاق أصحابه

واعتبر ذلك في القرآن الكريم ، بل هو أشد تأثيرا في المسلمين من سواه لأنهم مكلفون في حدائهم بحفظه قبل كل علم . وهو داخل في كل شيء من أمورهم الدينية والدنيوية وأساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية وأحوالهم العائلية ، حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والفصل وكل شيء يمكن استنباطه منه ويوجد له مثال فيه . وهذا لا تراه في الأناجيل مثلا ، فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا تجد فيها شرعا أو حكومة أو أحوالا شخصية أو نحو ذلك الا ما يأتي عرضا ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضا من حيث أخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم . ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل ، كما تختلف أخلاق عرب الجاهلية الذين جاء القرآن الكريم بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن الكريم في أخلاق أهله ومعاملاتهم اليومية والبيتية لا يخلو من التأثير في عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية أو الإسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو ألفوا في الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية ، فضلا عن العلوم الإسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والأدب وبالجمله فان للقرآن تأثيرا في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الاخرى

العصر العباسي الأول

أو المائة الأولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ - ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي ، بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها في الثروة والحضارة والسيادة ، وفيه نشأت أكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء أهلة بالأدباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده . وكانت الدولة العباسية في أكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي ، وأوربا في أكثر غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية ، فان الاسلام هز أركانه ونبه أهله ، فنهض الفرس والترك والتتار والهنود . . حتى أهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية أدبية في أثناء العصر العباسي الاول ، أو على أثره . فنبغ في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ ، وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر أيضا باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ، ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيدا للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر ، نذكر الانقلاب السياسي الذي حدث بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب ، وكان خلفاء تلك الدولة عربا وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية ، فقد نصرها الفرس ، فجعلت قصبته (بغداد) على حدود بلادهم ، واتخذت وزراءها وأكثر أمرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب أو الشعر أو بأسباب الملاحى فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية ، فقد كانتا أهلتين بالناس على اختلاف نحلهم وأجناسهم وعناصرهم . وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب ، أهل البادية ، من القبائل التي نزحت هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع أهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد ، فأصبحت بما استبحر من عمراتها هي وحدها أم المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط أهلها في العيش وركونهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على أهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان أو أهل المهن أو الادب أو الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بأن من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء ، فرغبوا في العلم واجلال العلماء والادباء وسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالفوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يسبق ذو قريحة أو علم أو أدب الا يمم دار السلام ونال جائزة أو هدية أو راتباً

ولا يزهو العلم الا في ظل أمير يتعهد ويأخذ بأيدي أهله ، والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من أكثر الملوك رغبة في العلم . . يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه ، قال للربيع وزيره : « انظر من في أهلي ينشدني (أمن المنون وريبها تتوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبتى » فطلب الربيع ذلك من بنى هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور : « والله لمصيبتى بأهل بيتى الا يكون فيهم واحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب ، أعظم وأشد على من مصيبتى بابنى » (١)

وكان للمنصور دفاتر علم ، وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدي بها عند وفاته (٢) . وكان المنصور من أحسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق (٣) ، وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة تشبيبهم قبل المدح ، وكان يكره الغزل (٤) . أما الرشيد فكان أكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء ، وكان يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبا (٥) ، وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنسه المأمون أشهر من أن يذكر بعلمه وفضله ، وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بأبناء الخلفاء والأمراء ، فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي أول نابغ من بنى العباس في الترسل والشعر

(٣) البيان ١٥٦ ج ٢

(٢) ابن الاثير ٧ ج ٦

(١) الاغانى ٦١ ج ٦

(٥) الاغانى ٣٩ ج ٥

(٤) الاغانى ٥٥ ج ٣

والموسيقى ، وله كتاب في الادب اسمه « أدب ابراهيم » وكتاب الطبخ والطب وكتاب الفناء ، ضاعت كلها . واعتبر ذلك أيضا في الامراء والوزراء كأبي دلف العجلي سيد قومه ، فقد كان أديبا وألف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير أعظم منها كثرة وحسنا . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه ، فألف كتاب اختلاف الملوك ، وكتاب الصيد والجراح ، وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعرا مترسلا بليغا ، وكذلك ابنه طاهر ، ولكل منهما مجموع رسائل فالدولة التي يكون ملوكها وأمرؤها على هذه الصورة يجدر بها أن تزدهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة في سائر عصور آداب اللغة من أول الاسلام ، فانك لا تجد نهضة الا كان للملك أو الأمير أو الرئيس تأثير كبير فيها . ذلك شأن الأمم في الحكم المطلق ، واردة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقليد الا ما يمس الدولة أو الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في أيامهم من المجوس وغيرهم ، غير الفرق الاسلامية وتعددها . وكان أكثر الخلفاء تسامحا في الدين المأمون ، فكان هو نفسه شيعيا وكان وزيره يحيى بن أكثم سنيا ووزيره احمد بن أبي دؤاد معتزليا . يكفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن الكريم

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه ، فربما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فأولاد أبي الجعد ستة ، منهم اثنان يتشيعة واثنان مرجئان واثنان خارجيان

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدينة قديمة ، وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان . وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون الاموال في تقريبهم واستحثاث قرائحهم ، فوقف الادباء والشعراء على أبوابهم كما وقفوا بباب الرشيد . وكانت لهم أياد بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالى (المسلمين غير العرب) الذين كان الأمويون يزرون عليهم ، قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصرهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالى واستخدموهم في أمور الدولة . فارتفع شأن الموالى من ذلك الحين وأكثرهم من الفرس ، أشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالى وحسن معاملتهم والاحسان اليهم ، فنبغ فيهم طائفة

كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجوارى مما لم يسمع به من قبل حتى كان منهم في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادونهن كما يتهادون الحلى والجواهر (١) وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا في تزيينهم واستخدامهم (٢) فالانقلاب السياسى والاجتماعى المشار اليه أحدث انقلابا في الافكار والعقول ، وظهر اثر ذلك طبعا في آداب اللغة كما سيجىء

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم أو الآداب التى سننظر فى تاريخها تدخل فى ثلاثة أبواب :
أولا - العلوم العربية الاصلية التى كانت قبل الاسلام وأهمها اللغة والشعر والخطابة

ثانيا - العلوم الاسلامية وهى قسمان :

(١) العلوم الشرعية الاسلامية التى اقتضاها الشرع الاسلامى
(٢) العلوم اللسانية ، نعى علوم اللغة التى اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

ثالثا - العلوم الدخيلة التى نقلت عن الأمم الاخرى
ولنبدا بالعلوم الدخيلة التى يظهر تأثيرها فى سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو أردنا بسط الكلام فى هذه العلوم وأصولها وموضوعاتها وما نقل منها الى لساننا ، لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب . . نعى الكلام فيما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التى نقلت يومئذ أصبح معظمها فى زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعى الحديث . وقد فصلنا خبرها فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ، فنكتفى هنا بفدلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامى على سواهم من الأمم الفاتحة من هذا القبيل ، ان القوط أو قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما أهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا فى القرن الخامس فتركوا أهلها

(١) ترى تفصيل ذلك فى تاريخ التمدن الاسلامى ج ٥ (٢) الاثنى ٢٠٨ ج ٦

الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم ، وظلوا هم على بداوتهم وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم . . كما فعل العرب في أوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فألفوا لهم الكتب باللاتينية لا بالقوطية ، فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من الفروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما أرادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية ، فذهبت لغات الأمم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ماهى العلوم الدخيلة ؟

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهى خلاصة أبحاث رجال العلم والفلسفة والأدب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الأمم والدول والأماكن والأطوار في القرون المتوالية من أقدم أزمنة التاريخ الى أيامهم ، وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان . ولا يراد بذلك ان العرب أخذوا علم كل أمة عن أهله رأسا ، ولكنهم جاءوا والعلوم قد تقدمت بتوالى الدهور وتفاعل العناصر ، واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين ، وانتظموا في خدمتهم فأخذوا من هؤلاء جميعا . ولذلك كان من جملة أفضال التمدن الاسلامى على العلم ، انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها فلنبحث أولا في حال العلم والأدب في البلاد التي عرفها المسلمون ، وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام فيما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بينما في الجزء الاول من هذا الكتاب أقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة ، فنكتفى بخلاصة تاريخية عنها :

أخذ اليونان بأهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب اليونانية الداخلية ، (*)

(*) كلام المؤلف هنا في نشأة الفلسفة اليونانية غير دقيق ، اذ نشأت عند اليونان قبل هذه الحروب الداخلية التي يشير اليها والتي حدثت في القرن الرابع ق م . ونستطيع ان نقول بالاجمال انها بدأت نشأتها منذ القرن السادس ق م . في إقليم ايونيا بآسيا الصغرى . ويطلق هذا الاسم على إقليم وجزر كانت تطل على بحر ايجه حيث ظهر الفلاسفة المشهورون : طاليس وانكسمندر وانكسمينس . وقد خطت من بعدهم خطوات واسعة في إقليم ايليا *Elia* وهى

فانها توالى ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة المقدونيين ، وأصبح الاثينيون بعد العز أذلاء فساقتهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود ، فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع أساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة أدبية أو علمية أو سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان . . وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلا

فلما أصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظيمة أصاب أهلها اضطراب وانكسار ، والانسان اذا أصيب بنكبة لا حيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليقات الفلسفية عن الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصا في مثل ما أصيبت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الورا آسفين وينظرون الى الامام خائفين ، وقسده ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنبهت أذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . ودخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق أحوالهم ، ونفوسهم تشاق الى الزيادة

سقراط

وبينما الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى ان النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدى نفعا في تلك الاحوال ، فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيدا وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والفوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان ، والى ما يتعلق به من حيث هو أب ومدبر ، والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة ، وذهب الى خلوصه النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية أو هو محول الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل . قال شيشرون : « ان سقراط أنزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر أن ينجو النواذب وأصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون الاضرار بهم أو يسعون الى ذلك . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ ، فثاروا عليه وقتلوه

مستعمرة يونانية بجنوبى ايطاليا ، ومن أشهر فلاسفتها اكنوفنس وبارمنيدس وزينون . ثم تحولت الى اثينا وفلاسفتها الذين ذكرهم المؤلف ، وهم كانوا تتويجا للنهضة الادبية والسياسية التى نهضتها اثينا ، وقد سبقهم السوفسطائيون المشهورون قى تاريخها ، ويصل المؤرخون بين اطوار الحياة اليونانية واطوار الشعر والفلسفة فيها . وليس هنا مجال توضيح العلل والاسباب فى ذلك . فليرجع من يريد التوسع الى قصة الفلسفة اليونانية للاستاذين احمد أمين وزكى نجيب محمود وفجر الفلسفة اليونانية للدكتور احمد فؤاد الاهوانى وتاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم



أرسطو

أفلاطون

سقراط

أفلاطون

مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ، ولكنهم اختلفوا في تفسير أقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكلبية والاشراقية . وهذه الاخيرة أشهرها ، وتسمى أيضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة ، فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات ، وفيثاغورس فيما وراء الطبيعة والنقليات ، وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول : الاله ، والمادة ، والادراك . والآلهة عنده ثلاث طبقات : عليون ومتوسطون وسفليون ، وآمن بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

أرسطو

انقسم تلامذة افلاطون أيضاً الى فرق أهمها فرقة المشائين وصاحبها أرسطو أو أرسطاطاليس الذي اجمع العلماء على انه أقدر الفلاسفة القدماء ، ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م . وعنه نقل العرب أكثر كتب الفلسفة والمنطق ، اذ جمع أرسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فأخذها عن أستاذه افلاطون ، ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . واما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها ، فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض أرسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي أو نظري للنواميس الطبيعية . ولم يكن يهتم تزويق العبارة أو برقشة الالفاظ ، وانما كان يهتم الغرض الاصل من الموضوع . . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة افلاطون

والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتابا نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في تاريخ التمدن الاسلامى الجزء الثالث

الطب والنجوم

والطب أيضا من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب اليونانية ، وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى أعمال الشياطين والعلاج الى أعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون فى الطب باعتبار أنه فرع من الطب الطبيعى ، ولم يستقل أحد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على أسس صحيحة ابقرات المتوفى سنة ٣٥٧ ق.م . ولذلك سموه أبا الطب . وهو من نتاج الحرب اليونانية ، نشأ فى أثنائها ونبغ بعد انتقضائها وسافر الى سوريا ، ولعله أطلع على طب البابليين والمصريين فأضافهما الى طب اليونان والى فيه الكتب . وأساس معالجته الاعتماد على الطبيعة ، وكان يفصد ويحجم ويكوى ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية . وله كتب فى الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتابا ، ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ، ونقلت فى جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية . وما زالت كتب ابقرات معول الاطباء الى العصر الحديث ، وفيهم من شرحها أو فسرهما أو ترجمها أو علق عليها وممن اشتغل من اليونانيين فى ترقية العلوم الطبية بعد ابقرات ، ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام . فلما أنشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة ، كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم أو علم الفلك قديم عند سائر الأمم كما رأيت فى كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . أخذ اليونان مبادئ هذا العلم عن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة أبحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقل من جاء بعده من فلاسفة اليونان ولم يتعرض لهذا الفن ، وأشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم الايطالى من بلاد اليونان عناية كبرى فى النجوم ، ومقدم فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهر المتوفى سنة ٥٠٠ ق.م . أخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه فى ذلك كثيرون . ولا يكاد يخلو فيلسوف يونانى من النظر فى النجوم وأحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده فى مدرسة الاسكندرية ويقال نحو ذلك فى سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة ، فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنهم لم تنضج الا فى مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس

وقد عقدنا فصلا عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل أحرقتها العرب فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ، كما عقدنا فصلا فى الهلال



جالينوس



ابقراط



أوقليدس

الاول من السنة العشرين ، وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من أهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيبارخس من أهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذى الجغرافى والرياضى فى أواسط القرن الثانى بعد الميلاد ، فوضع كتاب المجسطى . وكان عليه المعول فى مدارس العالم الى عهد غير بعيد ، وألف أيضا كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصا برصد الافلاك واستخراج الازياج ، وظل مرصدهم وحيدا فى العالم الى أيام الاسلام

اما الطب فكان يعلم فى مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية اتجهت الانظار اليها ، وأساس التدريس فيها مؤلفات ابقراط ، لكنهم اشتغلوا أيضا فى التشريح وفاقوا فيه سواهم وانقسم أطباء الاسكندرية فى الطب الى فريقين حتى ظهر جالينوس فى أواخر القرن الثانى للميلاد فانتهى الطب اليه وأصبحت كتبه معول الناس فيه . وللطب والفلسفة فى مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى

آداب اللغة الفارسية (*)

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان ، وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون . . فجردت على بلادهم جيشا قد يصعب على أعظم دول الأرض اليوم حشده ونقله بمهماتهم ومؤونته من أواسط آسيا الى البحر الأبيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرنا . .

(*) لعل خير مرجع لمعرفة هذه الآداب قبل الاسلام وبعده هو كتاب تاريخ الادب فى ايران لبراون الذى يشير اليه المؤلف فيما بعد ، وهو فى أربعة مجلدات ، تمتد من اقدم الأزمنة الى سنة ١٩٢٤ ، ويعيننا هنا الجزء الاول الذى عرض فى انساب للآداب الفارسية القديمة، وراجع ليفى فى كتابه Persian Literature وكذلك كتاب سايكس فى تاريخ الفرس A History of Persia

فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لا تخلو من أدب وعلم . والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لأسباب التمدن ، فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلا . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء ، فقد أحرزوا شيئا منها وخصوصا لأنهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر لبلاد فارس ، وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب ، وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في أيام سابور بن اردشير ، فبعث الى بلاد اليونان من جلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية ، (١) واختزنها في مدينته وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انوشروان العادل (٥٣١ - ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستينيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان . فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب (٢) وألفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انوشروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت أساسا لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

ولم يقتصر انوشروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ، ولكنه نقل علوم الهنود أيضا من السنسكريتية الى الفارسية (١) وأنشأ في جند بسابور مارستانا (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان ، وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي ، والابقراطى فجمع بين الحسينيين

آداب اللغة السريانية (*)

كان للسريان تمدن قديم ، وانما يهمنا في هذا المقام ما كان عندهم من

(٢) الفهرست ٢٤٢

(١) أبو الفداء ٥٠ ج ١

(٣) E. Browne's Lit. Hist. of Persia, 167.

(*) انظر في هذه الاداب كتاب « تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي » لمراد كامل ومحمد حمدي البكري « طبع القاهرة ١٩٤٩ » وكتاب روبرت دوفال « الادب السرياني » الذي ذكره المؤلف في مقدمته للجزء الاول وكتاب نولدكه عن الادب الارامي وكتاب بروكلمن « الادب الشرقية المسيحية » ص ١ - ٧٤ « ودائرة المعارف الاسلامية وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة ص ١٩ وما بعدها

علوم الفلسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لأنهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم ، كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسوها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان أهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرها من مظالم الحكم وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال بالعلم ، فأنشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج أكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين وأكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لأنفسهم

كان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها ، وفيها ابتدا السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد أن تعلموها أخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في أواسط القرن المذكور . ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الرأس عيني الطبيب المشهور ، وفي المتحف البريطاني بلندن نسخ خطية من ترجمته الإيساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات أرسطو لفرفورئوس وكتاب النفس وغيرها ، وقد نشر بعضها من عهد قريب

وفي أوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنشرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية ، وتخرج فيها جمعاة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف سويرس ، فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد أتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني واثناسيوس ، ومن تلامذته جورجئوس المعروف بأسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب أرسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب أفلاطون وفيثاغورس وغيرهما مما يطول شرحه . واشتهرت هناك مدارس أخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية

أما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جند يسابور . واشتهر فيهم من أهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الرأس عيني المتقدم ذكره ، وأتاتوس الأمدى ، وسمعان الطيبوتى ، والاسقف غريغوريوس ، والبطريرك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين أدركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل أطباء السريان كثيرا من كتب الطب من اليونانية الى السريانية حتى في أثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لأنهم كانوا كثيرا ما ينقلونها الى السريانية فقط أو الى السريانية والعربية معا

آداب اللغة الهندية (*)

الهنود أمة قديمة ، والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان . وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعرا من قديم الزمان ، ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس أحوالهم . حتى كثيرا ما كان ملوك الفرس يستعينون بأطبائهم ، كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور ، وكما وقع للخلفاء العباسيين في أوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في أمراضهم بعد أن تفرغ حيل أطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لأن للطب الهندي طرقا تخالف طرق الطب اليوناني أو الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة أطباء ألفوا في الهندية ، ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وأبراجها ولها أسماء خاصة بلسانهم ، وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhanta وهو عبارة عن زيغ ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين اخترعوا الارقام وعندهم أخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب تترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلتها

تلك حال العلوم والآداب عند الامم المتقدمة عندما أخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . أما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم : المنصور وكان أكثر اهتمامه بالنجوم والطب ، أما المهدي فقلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل في أيامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم (١)

أما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من أهل العراق والشام وفارس والهند ، رغبتهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبألفوا في أكرامهم ، وأكثرهم من السريان النساطرة لأنهم أقدر على الترجمة من اليونانية وأكثر اطلاعا على كتب الفلسفة والعلم اليوناني .

(*) راجع في هذه الاداب تاريخ علم الفلك عند العرب لباليو ودائرة المعارف الاسلامية في مادة حساب وهندسة وضحي الاسلام الجزء الاول لاحمد امين وكتابات البيروني : « الآثار الباقية » و « تاريخ ما للهند من مقولة » وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور واداب الهند في دوائر المعارف المختلفة

أشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور ، وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين أحد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل ، وحبيش الاعسم الدمشقي ابن أخت حنين ، وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام ، وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وآل الكرخي ، وآل ثابت الحرائي من الصابئة والحجاج ابن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن يختيشوع من غير آل يختيشوع المتقدم ذكرهم ، والبطريق ويحيى بن البطريق وأبو عثمان الدمشقي وأبو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدى . هؤلاء أشهر نقلة العلم من اليونانية أو السريانية الى العربية وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

وأما النقلة من الإلسنة الاخرى ، فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وآل نوبخت كبيرهم نوبخت وابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسية الى العربية في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية ، وعلى بن زياد التميمي ويكنى أبا الحسن نقل من الفارسية الى العربية كتاب زيج الشهريار ، والحسن بن سهل وكان من المنجمين ، والبلاذري أحمد بن يحيى ، وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه . ومنهم محمد بن الجهم البرمكي ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردي ، وعمر ابن الفرخان ، وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكة الهندي ، كان في جملة أصحاب اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة ، نقل من الهندية الى العربية (١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية ، نقل كتباً كثيرة أهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند أنفسهم أشهرهم بنو شاكر أو بنو موسى لأنهم أولاد موسى بن شاكر ، وهم محمد واحمد والحسن وعرف أولادهم بعدهم ببني المنجم . كان موسى يصحب المأمون ، والمأمون يرعى حقه في أولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعات والميكانيكات وغيرها ، واتبعوا أنفسهم في جمع الكتب القديمة من بلاد الروم وأحضروا النقلة بالبذل في نقلها . وممن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء : محمد بن عبد الملك الزيات ، وعلى بن يحيى المعروف بابن المنجم ، ومحمد بن موسى بن عبد الملك ، وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

أما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فعددها بضع مئات أكثرها من اليونانية ، منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و ١٩ كتابا في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ في الطب لابقراط و ٨ في الطب لجالينوس ، وبضعة وعشرون كتابا في الرياضيات والنجوم لاقليدس وارخميدس وأبلونيوس ومنالوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

وأما منقولات اللغات الأخرى ، فمنها نحو عشرين كتابا نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب .. ونحو ٣٠ كتابا من اللغة السنسكريتية ، وأكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب .. ونحو عشرين كتابا عن اللغة السريانية أو النبطية ، أكثرها في السحر والطلسمات إلا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الأمم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يتركوا لسانا من السن الأمم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئا ، وان كان أكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية .. فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها ، فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي الطب والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط أو الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين .. فكأنهم ورثوا أهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود واليونان ، وقد مزجوا ذلك كله واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامي (الدخيلة)

ومما نلاحظه من أمر ذلك النقل ان العرب ، مع كثرة ما نقلوه عن اليونان ، لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية أو الأدبية أو الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود .. فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس وأخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامه . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوديسة . والسبب في ذلك ان أكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . وأما التواريخ والآداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالبا من عند أنفسهم حبا في اظهار مآثر أسلافهم أو جيرانهم ، فالترجمون الفرس نقلوا شيئا من تواريخ الفرس وآدابهم .. وكذلك فعل التراجمة السريان بآداب أجدادهم ، وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان بين أولئك المترجمين واحد أو غير واحد من اليونان ، لنقلوا كثيرا من

تواريخ أمتهم وأشعارها . ولا ريب أن من جملة ما منعهم من نقل الإلياذة إلى العربية ذكر الآلهة والأصنام فيها . ولكن في الشاهنامة أيضا كثيرا من ذلك ، فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت (*)

ويلاحظ أيضا أن العرب نقلوا من علوم تلك الأمم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه في عدة قرون ، وذلك شأن المسلمين في أكثر أسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن أشهر أمم الأرض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء والأفكار . وخصوصا ما نقل عن الفارسية لأن معظمه في الأدب والتاريخ . . كما أثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن الأفرنج . فضلا عن دخول الفرس في كل باب من أبواب الدولة . . فدخل الآداب العربية والأفكار العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين وأفكارهم ، اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها إلا ألف ليلة وليلة وكملة ودمنة ومنتف متفرقة في بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينوسترانسيف الروسي ، ووضع فيه كتابا طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (١)

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما ألفوه في هذه العلوم في أثناء تمدنهم غير ما اختبروه وأضافوه إليها من عند أنفسهم . وأكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها إلا بعضها ، وعلى هذا البعض كان معول الأوروبيين في نهضتهم الأخيرة لانشاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها إلى ألسنتهم كما سنبينه في مكانه

الباقى من الترجمات إلى الآن

أما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها إلى الآن ، فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب أوربا . . إليك بعضها على سبيل المثال :

— كتاب المجسطى لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر ، منه نسخة خطية في مكتبة ليدن

— كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق ، منه نسخ في مكاتب برلين ومنتشن وغيرها

— ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه ، منها رسائل في الطب والأخبار ذكرها بروكلين في كتابه آداب اللغة العربية وأشار إلى أماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

— ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته أشهرها المدخل في الطب

(*) نشر عبد الوهاب عزام هذه الترجمة منذ سنة ١٩٣٢ مع مقدمة من اللوحة والادب الفارسي (١) المشرق ٣٩٢ سنة ١٣

في مكتبة الاسكوريال ، ومسائل في الطب للمتعلمين في مكتبة برلين ،
 واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منتسن ، وكتاب النواميس
 وغيرها

— ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو
— وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته
سيأتى ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتى على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة فيما يلي من هذا
الكتاب ولاسيما الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجمالنا الكلام هنا
وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار ، للسبب
الذي قدمناه من تركيز العناية فيما نرجو نفعه للقراء فعلا . ولنعد الى
الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الأصلية

في العصر العباسي الاول

١ - اللغة

أصاب اللغة في هذا الدور تغير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة ، وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية ، وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ أحوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ، ولكنها أحدثت تنويعا في معاني الالفاظ العربية واليك أمثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

أهمها الالفاظ الطبية ، ولم يكن منها في الجاهلية الا مفردات كالجمامة والكي ونحوها . . فحدث منها ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد . ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات ، والامزجة ، والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والهضم والبحران والمشاركات

وأسماء الادوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والمرطبات ، والمجففات ، والمسهلات ، والنطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والاطلية

واقفال تلك الادوية مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، واكال ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو ، ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومدر ، ومعرق ، ومزلق ، ومملىس ، وترياق ، وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثى ، والرض ، والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار وغيره

ناهيك بأسماء الامراض أو اعراضها : كالصداع ، والكابوس ، والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعدة ، والاختلاج ، والسرطان ، والسلاق ، والشترة ، والشرناق ، والحنانوق ، والذبحة ، والربو ، وذات الجنب ، وذات الرئة ، والجهر ، والضمور ، والخفقان ، والفشيان ، واليرقان ، والاستسقاء ، والديلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ، والسدد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك مما لا يمكن حصره ومن اوصاف الامراض انواع الحميات : كالزمنية ، والحادة ، والمختلطة ، والغب ، والمطبقة ، والربع ، والدق ، وغيرها . . غير الالفاظ التشريحية : كأسماء الاوعية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وما تفرع منها كعلم الكلام والتصوف والفقه ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم : الكون ، والوجود ، والقدم ، والحدوث ، والاثبات ، والنفي ، والحركة ، والسكون ، والمماسية ، والمباينة ، والوجود ، والعدم ، والطفرة ، والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ، من اصطلاحات علم الكلام . والهاجس ، والمريد ، والسالك ، والمسافر ، والشطح ، والقطب ، والهيبة ، والانس ، والبقاء ، والعناء ، والشاهد ، والفترة ، والمجاهدة ، من اصطلاحات التصوف وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف ، فاضطروا الى وضع المعجمات الخاصة لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن أشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومائة صفحة و « كشف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو ألفي صفحة كبيرة و « كليات أبي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظا أوردوا معناه اللغوي ، ثم معناه الاصطلاحي في الفقه أو الكلام أو التصوف أو الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية أو الطبيعية أو النحوية . وقد يفتلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم : كالافسنتين ، والبقدونس ، والزيزفون ، والسقمونيا ، والقنطاريون ، والمصطكى ، من اللغة اليونانية . . والبابونج ، والبورق ، والبنج ، وخيار شمير ، والزاتينج ، والزرجون ، والزرنينج ، والزاج ، والسرقين ، والاسفيداج ، والشاهترج ، والشيرج ، والمرداسنج ، من اللغة الفارسية

ومن أسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية : القولنج ،

والترياق ، والكيروس ، والكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا ،
من اليونانية . . ورسام ، ومارستان ، من الفارسية

ومن المصنوعات والادوات : الاصططلاب ، والقيراط ، والانبيق ،
والصابون ، من اليونانية . . والبركار ، والبوتقة ، والجنزار ،
والدسكرة ، والاسطوانة ، من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها : الهولي ، والاسطقس ،
والفلسفة ، والطلسم ، والمفطيس ، والقاموس ، والقانون ، من اليونانية
. . غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان أهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس
الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا أنفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني
التي نقلوها عن الاعاجم ، بل كانوا كثيرا ما يستخدمون للمعنى الواحد
لفظين من لغتين اعجميتين . فالرسام مثلا اسم فارسي لورم حجاب
الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ، ولما ترجموا الطب من لغة
اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » . ولو استنكفوا من
استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعا

التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياسا على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة أهل هذا
العصر فيما ينقلونه من الافكار الاعجمية ، نعتقد ان اسلافنا في النهضة
العباسية دخل اسلوبهم شيء من ذلك . . وان كنا لا نستطيع تتبعه الى
اصوله تماما لتباعد عهده واختلاطه . على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر
وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق
بينهما واضحا . واذا دققنا النظر في سبب ذلك ، رأينا عبارة أصحاب
الفلسفة تمتاز بأمور هي سبب ضعفها وركاكتها أهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله أهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدأ والخبر حيث يمكن
الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم :

روحاني ونفساني ونحو ذلك ، مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا

يستحسن في اللسان العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية مما لم يكن لهم

مندوحة عنها ولا بأس بها :

- (١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال ال التعريف عليها كقولهم :
اللانهاية ، والا أدوية ، والا ضرورة
(٢) صوغ الاسم من الحروف أو الضمير مثل قولهم : الكيفية ،
والكمية ، والهوية ، والماهية
(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم : المائية ، والمنضجة ،
والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل
قولهم : « صاحب الشرطة » و « صاحب الستار » وهو تعبير فارسى .
غير ما أصاب اللغة من التغيير فى الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما
طرا على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلا عن التجارة والصناعة ، وما
اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية أو اقتباس الالفاظ الاعجمية ، غير
العادات والاخلاق ونحوها ، وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو
والتجدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلا ضافيا فى هذا الباب فى
كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار
العباسية ، وفصلا فى الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية
والعبرانية التى دخلت هذه اللغة فى أثناء التمدن الاسلامى (*)

مراجع هذا الموضوع

ومن الكتب التى يمكن الرجوع اليها فى هذا الموضوع غير كتاب تاريخ
اللغة العربية المتقدم ذكره « كتاب التعريفات » للجرجانى المتوفى سنة
٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على
حروف المعجم ، وهو مطبوع فى باريس سنة ١٨٤٥ وفى مصر . و « درة
الفواص » للحريرى طبع فى مصر وغيرها . و « شفاء الغليل فيما فى
كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ
وطبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و « كشف اصطلاحات الفنون » للتهانوى
سنة ١١٥٨ هـ طبع فى كلكتة سنة ١٨٦١ . و « العرب من الكلام
الاعجمى » لأبى منصور الجوالقى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع فى ليبسك
سنة ١٨٦٧ . وكتاب « العرب والدخيل » لأحد أبناء القرن الحادى
عشر للهجرة ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . و « المغرب فى
ترتيب العرب » لأبى الفتح المطرزى منه نسخة خطية فى المكتبة
الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

(*) انظر فى ذلك ايضا كتاب « التطور النحوى للغة العربية » لبرجستراسر « طبعة سنة
١٩٢٩ » ص ١٤٢ وما بعدها

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالا كبيرا مثل انتقال الأمة العربية من البداوة الى الحضارة ، ومن شظف العيش الى الرخاء ، ومن الملابس الخشنة الى الناعمة . . فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة بأخلاقهم وشعورهم . وبعد أن كانوا يقيمون في المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة نسف الرياح رمالها يبيت فيها حذرا خائفا من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . . لا عسير له الا جواده أو ناقته ، أصبح وقد ركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق . . فيها من كل فاكهة زوجان ، تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية ، تحف بها الازهار بأزهى الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدى العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء أو يحتذى النعال من الخوص أو الحبال ، لبس الحرير والوشى وانتعل الخف والجورب ولبس الحرير ، واستبدل المضارب ، وفرشها الرمال ، بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة ، وترك الناس وشأنهم ينغمسون فيما يشاءون وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين أيديهم ، فانتشر التهلك وذهبت الغيرة بشيوع التسرى وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددتهم على مجالس الفناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البدخ والترف والرخاء ، فانطبعت في مخيلاتهم صور لم يألفها اهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين في البداوة والاخذ بناصر العرب والازراء على سواهم ، فكان أكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة أو الحجاز أو نجد ويندر فيهم المتحضرون . أما الدولة العباسية فأصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك . . كان العباسيون يرون تقديم غير العرب

ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب (*)
 باختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر
 الأموي طبعاً ، وفي جملتهم الشعراء . وإليك أهم مميزات الشعر
 والشعراء في العصر العباسي الأول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الأول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الأموي مثل
 اختلاف العصرين في الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية لأن الشعر
 مرآة أخلاق الأمة وآدابها وسائر أحوالها ، وخصائص الشعر في هذا
 العصر ترجع الى ما يأتي :

١ - طريقة النظم (**)

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى ، وعلى القالب الذي
 يسبب فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون أو النظم . وأهم ما
 يلاحظ في النظم ثلاثة أمور :

- (١) طريقته وهي الخطة التي يجرى عليها الشعراء في تنسيق المعاني
- (٢) الأسلوب وهو العبارة التي يختارونها للتعبير
- (٣) اللفظ

ومن القواعد الأساسية في تاريخ الشعر أن يثب في أسلوبه ولفظه
 وطريقته حال الأمة التي تقوله ، فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها
 وسائر أحوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يقلدون طريقة
 الجاهليين فيما ينظمونه ، فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال

(*) هذه مبالغة ، فقد كان العباسيون في القرن الثاني للهجرة يستعينون بالعرب كما كانوا
 يستعينون بالفرس ، ومن وزرائهم المشهورين الفضل بن الربيع وهو عربي الأصل ومثله ابن أبي
 ذؤاد . حقا أنهم استعانوا بالفرس استعانة واسعة ، ولكن لا الى حد الاستغناء عن العرب
 وجزيرة العرب ، فقد كانوا عربا هاشميين ، وكانوا يعدون ذلك من أكبر مناقبهم ، وإذا رجعنا
 الى قوادهم وولاتهم وجدنا كثيرين منهم عربا خلصا . فالعرب كانوا ممثلين في الجيش والدولة
 طوال العصر العباسي الأول ، كما كانوا أيضا ممثلين في الشعر والأدب والحياة العقلية . وكل
 ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن كفة الفرس لعوامل سياسية كانت ترجح كفة العرب ، ومع
 ذلك كانوا إذا أوغلوا في تعصبهم عليهم تخلص منهم الخلفاء على نحو ما تخلص المنصور من
 أبي مسلم الخراساني والرشيد من البرامكة

(**) لم يتعرض المؤلف هنا لما طرأ على أوزان الشعر العربي في العصر العباسي الأول من
 تجديدات ، ومن المعروف أن العباسيين استحدثوا في هذا العصر بعض أوزان جديدة مثل
 المقتضب والمضارع والمتدارك . وجددوا في القافية فاستحدثوا النوعين المعروفين باسم
 المزدوج والمسط ، ويتألف الأول من شطرين على قافية ثم من شطرين آخرين وهيكلا ،
 ويتألف الثاني من بيت مصرع تليه أربعة أقسام أخرى على غير قافيته ، والمظنون أن المواليسا
 وهي من فنون الشعر الشعبي بدأت في هذا العصر ، وراجع في ذلك الفصل الثاني من
 كتابنا « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »

والابل وغيرها من خصائص الجاهلية.. حتى الالفاظ فانهم كثيرا ما يقلدونها فيها ، وفيها الوحش الذي لا يلائم المدنية لأن وحش الكلام لوحش الناس والسبب في تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بأفضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية ، اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب ، فرسخ في اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بأنصارهم الفرس وغلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس ، أخذ ذلك الاعتقاد في الزوال

أما من حيث الاسلوب ، فان الشعر الجاهلي عريق في البلاغة مع سلامته من الركاقة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سائر نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لا يزال في مكانه .. هذا هوميروس لا يزال نابغة الشعراء وقد مر عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرىء القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين ، فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأنًا خاصًا من حيث الاسلوب ، فان كلام الاسلاميين يعد على العموم أعلى طبقة من كلام الجاهليين في منشورهم ومنظومهم .. نغنى الشعراء والخطباء والمرسلين في صدر الاسلام الى أوائل الدولة العباسية (١) ، فضلا عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولا سيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة ، ومجاري الطبيعة كالقضاء المبرم لا يدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالا يقتدى بهم في الشعر .. فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية . ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يقلدون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بنى العباس ، هان عليهم الانتقاد وأخذوا يفكرون في تقبيح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الادباء ابن قتيبة في أواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء (٢) ، وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر

على ان الشعراء تنبهوا الى هذا الامر في صدر الدولة العباسية ، فأخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ، ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طباعهم .. لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول ، عصر حرية القول . وأصبح حديث الشعراء في مجلسهم انتقاد تلك الطريقة ، وأقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع ابن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه في ذلك ، فقال :

لأحسن من بيدٍ يحارُ بها القَطَا ومن جبنى طيرٍ ووصفكما سَلْعَا
تلاحظُ عينيَّ عاشقين كلاهما له مقلّةٌ في وجه صاحبه تَرَعَى (٣)

وكان ذلك لسان حال أكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم أبونواس ومن أقواله التي يستدل بها على إنكاره طريقة القدماء قوله :

لا تَبْكِ ليلي ولا تطربْ إلى هِنْدٍ
واشربْ على الورد من حمراء كالورْدِ
ومن هذا القبيل قوله :

صفةُ الطلول بلاغةُ القَدَمِ فاجعل صفاتك لابنة الكَرَمِ (١).

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر ، وأخذ عليه الموائيق الا يذكرها في شعره ، وكأنه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين ، قال :

أعيرْ شعرك الأطلالَ والمنزلَ القَفْرَا
فقد طالما أزرَى به نَعْتُكَ الخمرَا
دعاني إلى نعت الطلول مسلَّطَا
تضيق ذراعي أن أردَّ له أمرا
فسمعا أمير المؤمنين وطاعة

وإن كنتَ قد جشمتني مركباً وعِرا

فجاهر بأن وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام ، والا فهو عنده فراغ وجهل . واقتدى به أبو العتاهية ومن جاء بعده ، ولكن بين الشعراء من يقلد الجاهليين حتى الآن

واثر في أسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية أوحفظ فيها من آداب الفرس وأخبارهم ، فاكسب الشعر العربي خيالا لطيفا وزادت فيه معان جديدة ، على نحو ماكان من تأثير آداب اليونان القدماء في أخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ - المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يطرقوه . والواقع انهم طرّقوا أكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ، ولكن الحضارة لها معان خاصة ، أو هي توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلامي من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم ما في طبقة جرير والفروزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا نادرا ، ثم قرأت بشار بن برد وابا نواس واصحابه لترى ما زادوه من المعاني وما زاده الذين جاءوا بعدهم . . علمت ان الشعر سار على

سنة الارتقاء مثل سائر أحوال الحياة . ومن أمثلة المعاني التي حدثت في
العصر العباسي الأول قول بشار بن برد الأعمى :

يا قوم أذني لبعض الحنّى عاشقة^(١) والأذن^٢ تعشق قبل العين أحيانا^(٣)
قالوا بمن لا ترى تهذري فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
وقول أبي نواس :

فكأنى وما أزيّن منها قَعْدَى^٤ يزين التحكيما
كلّ عن حمله السلاح إلى الحرّ ب فأوصى المطيق ألا يقيما
والقعدة فرقة من الخوارج الذين كانوا يرون تكفير على لقبوله التحكيم ،
وقوله أيضا :

بنت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم
فلو ردّني كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفاني دون كل نديم
وقال أيضا في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وتحت زنايبر^٥ شدّ دَنَ عقودها
زنايبر أعكان^٦ معاقدتها الشرّ^٧ (*)

فهذا تشبيه لم يسبق إليه ، وقال أيضا :
لست أدري أطلّ ليلي أم لا كيف يدري بذاك من ينقلني
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرغى النجوم كنت مخلا^٨
ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول أبي تمام :
وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حنود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود
وقوله :

بنى مالك قد نبّهت^٩ حامل الثرى قبور^{١٠} لكم مستشرفات المعالم
غوامض قيد الكف من تناول وفيها علا لا يُرتقى بالسلام
غير ما أخذوه من المعاني القديمة أو توسعوا فيه ، ولا سيما النسيب
والفزل

(١) العمدة ١٨٨ ج ٢
(*) أعكان : طيات

تلك معان شعرية اقتضياها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معان حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربية ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزء والمعاد . ومنها قول أبي نواس :

وذا ت خدر مورّد* قوهيّة المتجرّد (*)
تأمل العين منها محاسناً ليس تنفد*
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد*
والحسن في كل عضو منها معاد* مردّد*
وقوله :

يا عاقد القلب منى هلا تذكرت حلاً*
تركت قلبي قليلاً من القليل أقل*
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كإقتباس أبي العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأييد الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له ، وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم إنى نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات* فأنت اليوم أوعظ منك حيّاً

ومن المعاني التي دخلت الشعر في هذا العصر أقوال بعض الأئمة ورجال الافكار، اقتبسها الشعراء ، ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة : « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس ، اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك* اللهج*
وحضارة العباسيين أكثر عمالها من الفرس ، فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . . حتى لقد يقتبس الشعراء عبارات فارسية يدخلونها في أشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد: (**)
مَنْ يَلْقَاهُ مِنْ بَطْلٍ مُسْرَنْدِي فِي زَعْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ
تَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ وَالْكَرْدِ

(*) قوهية المتجرد : بيضاء الجسد

(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١

(**) الغريب في أبيات العماني : المسرندى : الغالب ، الزعفة : الورع ، السرد : سمور ، الزرد ، الهزبر الورد : الاسد القوى ، آب سرد : ماء بارد

والكرد العنق . وقوله :

لما هوى بين غياض الأسسِّ وصار في كفِّ الهزْبِ الوَرْدِ
آلى يذوق الدهر أبَ سرِّدِ
واقتبسوا أيضا ألفاظا سريانية من لغة نبط العراق ، كقول ابراهيم
الموصلى المغمى في وصف خمار نبطي . . وكأنه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :
فقال « أزل بشينا » حين ودَّعني

وقد لعمرُك زلنا عنه بالشَّينِ (*)

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدينة من أسماء
الآنية والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ، ولا سيما
الفلمان والخمر كما سيحىء

٤ - المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور ، لكنه كان في الجاهلية
اقرب الى الواقع وابتعد عن المبالغة ، ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة
والركون الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ، ولا سيما
بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن كان زهير بن أبى سلمى يقول في مدح
كريم حازم :

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله°

صار منصور النمرى يقول في الرشيد :

إنَّ المكارمَ والمعروف أودية° أحلك الله منها حيث تجتمع
إذا رفعت امرأً فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام متضع°
من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله أو ضاق أمر° ذكرناه فيتسع
وقول رجل من ولد زهير بن أبى سلمى في مدحه : « فكأنه بعد
الرسول رسول »

وقول العكوك في مدح أبى دلف :

أنت الذى تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالٍ
وما مددت مكدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالٍ

(*) أزل بشين : كلمة سريانية معناها امض بسلام

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلعي والانفماس في الرخاء كما ستراه

٥ - وصف الخمر والفلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي أن الشعراء وصفوا الخمر على اثر انفماسهم في المسكر والقصف. ولكن وصفها لم يكن الا في العصر العباسي الاول الذي نحن بصددده. واشهر من نظم في وصفها من شعرائه أبو نواس، فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطع تجدها في ديوانه. ولذلك عدوا ابا نواس امام الوصافين للخمر. اما الفلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر، ولم يبق شاعر من شعرائه المقيمين في بغداد ثم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به. واقدام من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك، واقتدى به أبو نواس، وكان معاصرا له، كما اقتدى به في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما. وقد زادهما تمكنا من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين، وهو كثير الاقتناء للفلمان فكانوا فتنة لشعرائه. ولحسين المذكور اقوال كثيرة في وصف الفلمان نشرها صاحب الاغانى في ترجمته (١٧٠ ج ٦). أما أبو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الفلمان يسمونه « غزل المذكر » فيه نحو ألف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيها للقارىء عن مطالعتها. وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر وتدل على ما بلغ اليه القوم من المجون. وسيد هذه الرذائل المسكر، وعلة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لأنه غير الخمر الوارد النهى عنها. لكنه قد يسكر أو يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة. كما يحللون بعض الالعب اليوم لأنها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد من ألعاب القمار. ولكنهم قد يقامرون بها أو هي تجرهم الى المقامرة الفاحشة. واصبح التغزل بالفلمان بعد هذا العصر بابا من أبواب الشعر.

٦ - الشعر المجونى

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من اسباب اللهو، ولاسيما الخمر والجوارى والفلمان مع ميلهم الى سماع الأدب والشعر. فتولدت طبقة من الشعراء اكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم أبو نواس. وقد تهتكوا في مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الاداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر، والشعراء عنوان آداب الأمة أو مثال يدل عليها

٧ - وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر في وصف الرياض والازهار. ومن وصافها أبو نواس، كقوله :

يومٌ تقاصر واستتبَّ نعيمه في ظل ملتفٍّ الحقائق أخضرا:
 وإذا الرياحُ تنسَّمت في روضه نثرت به مسكا عليك وعنبرا
 ولم يخل الشعر الجاهلي والأموي من وصفها ، ولا سيما في أقوال
 الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو
 غيرهما من مدن العراق أو الشام كأعشى بكر القائل :

ماروضة من رياض الحزنِ معنسية

خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس فيها كوكب شرق

مؤزر بعتميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة

ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

على ان أهل هذا العصر فاقوهم فيه كأبي نواس وأبي تمام ، وفاقهما
 فيه أهل العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

رايت في الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لأنفسهم فخرا أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ، ثم تبين لك ان شعراء بني أمية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بالسنتهم على أعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبية بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة ، فلما استقرت أصولها أصبح تقريب الشعراء أكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر لل خليفة أو الامير أن يقدم شاعرا لعصبية (*) أو يستنصره على عدو . فأصبح الشاعر يتوالى الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير في مجالس الانس أو الادب تبعا لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ - الاستجداء

وأصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد ، كرسى العباسيين ، من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في أوقات معينة أو غير معينة ، كما كانوا يفدون على دمشق ، كرسى الامويين ، وأكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة ، فلا يرغبونهم في الإقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم وأعجبه شعره استبقاه في حاشيته . . فأصبح أكثر الشعراء يقيمون في بغداد ، وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . . فكثر الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب أهل البادية (١) وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أو الامير أو الوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . وأكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أو الوزراء

(*) يفهم من كلام المؤلف أن العصبية زالت أو كادت في العصر العباسي ، وهو مبالغ في هذا الحكم ، فأما من جهة العصبية القبلية فقد بقيت لها ظلال كثيرة نجدها عند أمثال دعبل الخزاعي . ممن كانوا ينتصرون لليمانية على المضرية ، وأما من جهة العصبية السياسية فقد فتح العباسيون فيها بابا جديدا ، هو الانتصار لهم ضد العلويين ، ومن شعرائهم المشهورين في هذا الباب مروان بن أبي حفصة ومنصور النمرى ، وكان للعلويين أنصارهم مثل دعبل والسيد الحميرى . وابن الرومي . وبجانب ذلك فتح باب الشعوبية على مصراعيه ، فكان الموالى مثل بشار وأبي نواس يفتخرون بأجناسهم ، فرس وغير فرس ، على العرب

(١) الأغانى ٣٥ ج ٢٠

ولاسيما البرامكة. وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بنى هاشم كابراهيم
ابن المهدي ومحمد بن سليمان ، أو بعض رجال الدولة كأبي دلف وابن طاهر
فلم يكن ينبغي شاعر من قبيلة أو بلد إلا وفد على الخلفاء أو غيرهم
بقصيدة مدح ، يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا يلتمس
به جائزة أو كسبا . فاذا تحضر صار نديما أو كالنديم . فقل الشعراء
الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثيرين في العصر الجاهلي ، ولم يبق
منهم في العصر الأموي إلا القليلون ، وهم في هذا العصر أقل كثيرا

٢ - التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم ، فانهم ساءروا
الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء
والمغنون . . فكثر في شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ، ولم يكن من
هؤلاء في العصر الأموي إلا القليل ، وأقل منهم من كان في العصر الجاهلي .
ومن أقبح أسباب التهتك في ذلك العصر تسرى الفلمان كما تقدم . ونظرا
لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب أصبحت تلك العادة
أكثر شيوعا فيهم من سائر الطبقات ، فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير
الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاصد المدنية
أما المهتكون فبلغ من مجونهم أن يشترك بضعة رجال منهم في عشق
غلام (١) وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين .
ويفعلون أقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره (٢) غير مجالسهم في أماكن
اللهو على موائد الشرب التي يخالفها تهتك وخلاعة ، كما كانوا يفعلون
في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي ، وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو
العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليل يتذكرون الشعر وينظمون
واذا عملت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد ،
رأيت أصله في الأكثر راجعا الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من
الخاصة أو الشعراء . . فجعفر بن المنصور أفسده مطيع بن اياس (٣) ،
ومحمد الأمين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ - الشعراء الموالى

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصرًا في العرب ، لم يكن فيهم من
غير العرب إلا عبد بنى الحسحاس . . ثم تكاثرت الشعراء الموالى في العصر
الأموي ، لكنهم لم يزدوا على عشرين في المائة . أما في العصر العباسي ،
فزادوا على ستين في المائة . وبعد أن كان أكثر وفودهم من البادية ،
صاروا يقدون أيضا من البصرة والكوفة وغيرهما من المدائن . وأكثر فحول
الشعراء في هذا العصر من الموالى : كأبي نواس ، وأبي العتاهية ،

(١) الاغانى ٨٥ ج ١١

(٢) الاغانى ١٩٨ ج ١

(٣) الاغانى ١٠٥ ج ١٢

وبشار بن برد ، وسلم الخاسر ، ومروان بن أبي حفصة . . فامتاز أولئك الموالى الاعاجم على أسيادهم العرب ، كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان ، وأولهما ابن مولى والآخر ابن خطاب (١)

٤ - الشكوك في الدين والزندقة

ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على اثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في أذهان الناس ، وقد ظهرت طائفة جاهروا بالزندقة . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء أشهرهم : حماد عجرد ، وحفص ابن أبي وردة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وعلى بن الخليل ، وحماد الراوية ، وابن الزبرقان ، وبشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وابان اللاحقى ، وعمار بن حمزة ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجدا (٢) وكثيرا ما كانوا يشتركون فى أموالهم وأحوالهم كما يفعل الاشتراكيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وابن المقفع ، ووالبة بن الحباب ، يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعا يرمون بالزندقة وكان أولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود (*) فلا يرون فيها حسنا ولا يعترفون لأحد بفضيلة على شاكلة من يعبر عنهم القريبون بكلمة Pessimists وذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحادثان ، فقال لهما : « فيم أنتما ؟ » قالا : « فى قذف المحصنات » قال : « أو فى الارض محصنة تقذفانها ؟ » ويدل هذا من جهة أخرى على رأيهم فى المرأة

٥ - اطلاق حرية الاقلام والالسنه

والفضل فى اطلاق الاقلام والالسنه فى أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف ، فكانت حرية القول فى أيامه أشبه بحرية الصحافة فى البلاد المتمدنة اليوم . ومن أشهر الأدلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر ، وكان متشيعا للعلويين كثير الهجو لبنى العباس ، وله فيهم قصائد ، هجوها شديدا ، واعدأوه يحرضون المأمون على قتله ، ومن جملتهم أبوسعبد المخزومي فقد كان مفاضبا لدعبل فى أول أمره ، وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه . . فلم يجد عند المأمون ما أراد فيه . وكان المأمون يقول : « الحق فى يدك والباطل فى يد غيرك والقول لك

(١) Litt. Auc. 184 (٢) الاغانى ١٤٩ ج ١٦ و ١٧ و ١٠٠ ج ١٢

(*) يبالغ المؤلف اذ يعد هؤلاء الشعراء متفلسفة ، وهم انما كانوا أصحاب لهو وعيث ، وهو يبالغ أيضا اذ يقول انهم كانوا ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود ، فمما لاشك فيه أن كثرتهم كانت تنظر اليها من وجهها الابيض المرح القائم على الفرحة بالحياة وما فيها من متاع ولذة حسية

ممکن فقل ما يكذبه ، فاما القتل فاني لست استعمله الا فيمن عظم ذنبه «
ودخل أبو سعد مرة على المأمون وأنشده قول دعبل :

ويسوسنى المأمونُ خطَّةً عاجزٍ أو ما رأى بالأمس رأسَ محمد

وأردفها بقصيدة رد بها على دعبل ، ثم قال : « أتأذن لى يا أمير المؤمنين ان أجيئك برأسه ؟ » قال : « لا .. هذا رجل فخر علينا ، فافخر انت عليه ، فأما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزير من ارقى وزراء الأمم الدستورية المتمدنة اليوم فى صحافى طعن فى أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين فى عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول فى انتقاد العنصر العربى ، وكان العرب فى العصر الاموى مقدمين على سائر العناصر . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم ، بل كانوا يعتقدون فضلهم فى اقامة الدين وانهم مادته وأصله . ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب اسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم فى العقل والحزم . على ان اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفا من الامويين وارضاء للعنصر العربى ، فلما اطلقت اللسنة والاقلام فى ايام المأمون تظاهر أعداء العرب بالطعن فيهم وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بنى الانسان . ولذلك سموهم « أهل التسوية » ، وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب فى الطعن على العرب وفى الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة ، وأبو عبيدة الراوية ، وعلان الشعوبى . ولم يكن يجد المأمون بأسا فى هؤلاء الطاعنين ، وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتابا فى « تفضيل العرب » (١)

ومما لا يحسن الاغضاء عنه فى هذا المقام ان شعراء العصر العباسى مثل شعراء العصر الاموى وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامى الاولى اكثرهم من عرب ، الشام والعراق . وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبى بقربهم من بلاد العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واتفق انهم كانوا يحكمون برؤساء من أهل الادب ومحبيه كعبد الملك فى زمن بنى أمية ، والرشيد والمأمون فى هذا العصر ، وغيرهم فى عصور أخرى كما سيجىء

٦ منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

كان الخلفاء والامراء يقربون الشعراء فى كل عصر . أما الامويون فكانوا يقربونهم فى أول الامر لاغراض سياسية ، ثم فعلوا ذلك تلذذا بالشعر وآدابه . وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن

(١) اقرا تفصيل ذلك فى تاريخ التمدن الاسلامى ٥٨ و ١٣٥ ج ٣

معنى بيت أو من قاله ، كما فعل هشام بن عبد الملك في استقدام حماد الراوية (١)

أما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والأمراء في الأدب . وكثيرا ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبي كوصف منظر أو أداة ، كما فعل الهادي إذ استقدم الشعراء إليه واقترح عليهم أن يصفوا سيفاً أهدها إليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدى كرب . فوضع السيف بين يديه ، وقال للشعراء صفوه ٠٠ فنال الجائزة ابن يامين البصري (٢)

وكان الرشيد من أكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائليه ، فقد سأل أهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت : « ومن يسأل الصعلوك أين مذهبهم » فلم يعرفه أحد . . وكان الأصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء ، فأرسل إليه اسحق الموصلي وبعث معه ألف دينار لنفقته ، فجاء الجواب أن البيت من قصيدة لأبي النشاش النهملي وهذا صدره :

وسائلة أين الرحيل وسائل

ومن يسأل الصعلوك أين مذهبهم (٣)

وكثيرا ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت . وقد سأل أهل مجلسه يوماً عن معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعاً فلم أر مثله مخذولاً

وكان في المجلس الكسائي والأصمعي ، فطال الجدل بينهما والخليفة يسمع (٤) وأعطى الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب في الذئب (٥) والمأمون ولى ابن الجهم البرمكي ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك (٦)

٧ - نفوذ الشعراء وثروتهم

وكان الخلفاء إذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الأموال الطائلة حتى وقع الشك في صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا في تاريخ التمدن الإسلامي أنها صحيحة وأن النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وعلى كل حال فإن ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ، ولا تكسب لهم من غير الشعر ، يدل على كثرة ما كان يصل إلى أيديهم من المال

ذكروا أن سلماً الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠٠ دينار و ١٥٠٠٠ درهم غير الضياع (٧) ومثله مروان بن أبي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠ دينار مرارا (٨) وكان

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ١٢ ج ٣ . (٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ . (٣) الزهر ٨٣ ج ١ . (٤) الزهر ٢٧٨ ج ١ . (٥) النجوم الزاهرة ٤٦٢ ج ١ . (٦) الأغاني ١٦ ج ١٣ . (٧) الأغاني ٨١ ج ٢١ . (٨) العمدة ١٥٠ ج ٢ .

أبو نواس يكتسب أكثر من ذلك لكنه كان متلافا سمحا ، وكان يتساجل في الانفاق هو والعباس بن الاحنف وصريع الفواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله في الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لأبي تمام والبحتري قهارمة وكتاب (١) وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد انه كان يمر به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه ، وهو متكئ ممدود الرجل فلا يتحرك لأحد منهم (٢)

وكثيرا ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه . كما فعلوا في تبليغ الرشيد خبر تقفور ملك الروم اذ غدر ، وهم ان يغزو بلاد الاسلام . ولم يجترئ يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فأطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته (٣)

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب ، كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بنى أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب ، كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعرا فعفا عنه (٤) وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة ، وأحسن اليهم بعد سماعه أبياتا قالها منصور النمرى استعطفه بها ، فأمر بكف السيف عن ربيعة لأجله

٨ - تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب ان فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة وولفتهم أدبية ، ولذلك كانوا أكثر الناس شعرا وشعراء . فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة في زمن الجاهلية في عكاظ وأمثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة . وأما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لأصبح كل منزل من منازل أهل الادب ناديا للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومختزن الحكمة ، حتى كانوا لكثرة محفظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من أبياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى . . كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد والمرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله : « رحم الله على بن الجهم » فقالت له المرأة : « رحم الله أبا العلاء المعري » وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا . قال الراوى : « فتبعت المرأة ، وقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد وما أردت لأفضحك . قالت : « أراد بعلى بن الجهم قوله » :

(٢) الاغانى ١٦١ ج ٣
(٤) فوات الوفيات ١٤٣ ج ١٧

(١) العمدة ٧ ج ١
(٣) الاغانى ٤٥ ج ١٧

عيون المَها بين الرُصافة والجَسرِ
جَلَبَن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
وأردت بأبى العلاء قوله :

فيا دارَها بالخَيْفِ إنَّ مزارَها
قريبٌ ولكنَّ دون ذلك أهوال (١)

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذى نحن بصددده ، لكنها يصح ان تكون مثالا عنه . لأن أهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم ، وكتبوه فى صدور مجالسهم وعلى القباب والمستنظرات والابواب ، وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصينى ، ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف ، وزينوا به الثياب ، فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطرز الاردية والاكمام ، وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح حتى النعال والخفاف . وزينوا به ظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخد والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاثرج وغيرهما . . فكنت حيثما توجهت رأيت الشعر منقوشا أو مطرزا أو مكتوبا أو منسوجا . وتجد أمثلة من ذلك فى كتاب الموشى الآتى ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر أضعاف شعراء العصر الاموي ، لأن مدة العصر العباسي اطول ، وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب ، وكثر الشعراء من غير العرب . وكانوا في زمن الامويين يقدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد أن كان الشعر منحصرا تقريبا في العرب ، شاركهم فيه الموالي وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لأنهم كثيرون يزدون على بضع مئات ، يورد ابن النديم أسماءهم في الفهرست ، وقد ذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات (١) واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث ان نأتى بأخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا أهمية له وليس بين أيدينا شيء من نظمهم

ويقال بالاجمال ان أكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق الذين انقطعوا الى الخلفاء وتحضروا في بغداد أو البصرة ، وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية . ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يقدون على بغداد في المواسم ، ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة أو غيره ، ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يقدوا على أحد ، فكانوا ينظمون الشعر لأنفسهم وهم قليلون أو ان أكثرهم ظل في ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه أسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا وأكثرهم من الموالي غير العرب ، وقد أقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء أو وزرائهم باعتبار أغراضهم أو غرض من ينتمون اليه أو يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ ، ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لأنه نبغ فيه :

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الأمراء
أبو دلامة	أبان بن عبد الحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلي
حماد عجرد	ابن منذر	محمد بن أمية وأخوه مدحا ابراهيم بن المهدي
بشار بن برد	الرقاشي	العكوك مدح أبا دلف
مروان بن أبي حفصة	مسلم بن الوليد	محمد صالح « ابن المديري »
سلم الخاسر	أشجع السلمي	مطعم بن أياس « جعفر بن المنصور »
أبو نواس		أبو الشيص « عقبة بن جعفر »
منصور النمري		
أبو العتاهية		شعراء الشيعة
أبو تمام		السيد الحميري
علي بن الجهم		دعبل
حسين بن الضحاك		ديك الجن

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب أصحابها بالشعر ، أشهرهم :
 صالح بن عبد القدوس - العباس بن الاحنف من عدى
 محمد بن بشير مولى بني أياس (ويدخل في هؤلاء أيضا السيد الحميري
 وديك الجن وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

أما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفسدون على الخليفة أو
 الأمير ، فينالون الجوائز ، ثم يعودون إلى بلدهم ، فكلهم من العرب ، وهاك
 أشهرهم : ربعة الرقي من الرقة - كلثوم بن عمرو العتابي

عمارة بن عقيل من هوازن - ناهض بن ثومة الكلابي من عامر
 ونبتت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء
 النعم ، منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع . وقد
 يشترك بعض شعراء إحدى هذه الطبقات في خصائص طبقة أخرى ، وإنما
 أردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن

هؤلاء هم أشهر الشعراء في العصر العباسي الأول وبهم قام ذلك الانقلاب
 الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . وأكثرهم تأثيرا
 في ذلك الانقلاب أكثرهم تقربا من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية ولرفعة
 مقامهم وقد قلدهم الناس في أساليبهم أو استنباطهم . وفي مقدمتهم سبعة
 هم عمدة هذا الانقلاب هذه أسماؤهم مع سنى وفاتهم :

بشار بن برد توفي سنة ١٦٧ هـ - أبو تمام توفي سنة ٢٣٢
 السيد الحميري توفي سنة ١٧٣ هـ - أبو العتاهية توفي سنة ٢١١

أبو نواس توفي سنة ١٩٨ — دعبل توفي سنة ٢٤٦
مسلم بن الوليد توفي سنة ٢٠٨

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الإيجاز . والا
فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم
بنفسه . فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء

أهم الشعراء في العصر العباسي الاول

١ — بشار بن برد

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو فارسي ، أصل آبائه من طخارستان ، أخذ أبوه برد في سبي وقع
في يد المهلب بن أبي صفرة . . فكان من فيء القشيرية امرأة المهلب .
فأقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته وأهدته الى امرأة عقيلية
كانت صديقة لها ، فولد له بشار . وأعتقته العقيلية ، فصار مولى .
ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد أن بناها المنصور

ولد بشار أعمى جاحظ الحدقتين يفشاهما لحم أحمر . وكان ضخما
طويلا ، عظيم الخلق والوجه مجدرا . وكان أطبع شعراء ذلك العصر على
الشعر ، وقد قوى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى التصور . . ولذلك
رأيت أكثر العميان من الشعراء يفوقون معاصريهم في سعة الخيال مثل
هوميروس اليوناني وملتن الانجليزي وبشار وأبي العلاء وغيرهما عند العرب
جاء بشار في أوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه ،
فهو مقدم عليهم باجماع الرواة (١) ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ
« المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة
ولكن بشارا أطبعهم » (٢) . وقد عاصروا أواخر الدولة الاموية وأوائل
العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشرين ، وأدرك جريرا والفرزدق .
وهجا جريرا ، فأعرض جرير عنه استخفافا . قال بشار : « ولو هاجاني
لكنت أشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا
ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي
أهل الادب بأن له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له : « هذا القدر لا يجتمع لكل
الشعراء » فقال : « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل
قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست
الا ٤٠٠ بيت ، وليس منهنسا الآن الا نثف متفرقة في كتب الادب
وليس لبشار ديوان شعر مجموع (*) . ويقال ان أكثر الناس شعرا في
الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد الحميري (٣)

(١) الاغانى ٢٠ ج ٣

(٢) الاغانى ٣ ج ٧

(٣) البيان والتبيين ٢٥ ج ١

(*) تنشر لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الديوان ، وقد صدر منه ثلاثة أجزاء

ويمتاز بشار بأنه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في أيامه بالبصرة ، حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروى من شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ، ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه . وبشار مثل امرئ القيس ، فهو عندهم امام الشعراء المحدثين . وقد قالوا ذلك أيضا في أبي نواس ولكن بشارا أسبق ، وكان عند قيام الدولة العباسية منحازا للعلويين وكان ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن ثائرا على المنصور ، فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم^١ عما قليل بسالم
ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور ، فقلب الكنية ، وأظهر انه قال القصيدة في أبي مسلم الخراساني ، فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم^٢ عما قليل بسالم^٣
وفى هذه القصيدة أبيات حكيمة في غاية البلاغة منها (*) :

إذ بلغ الرأي المشورة فاستعن^٤
برأي نصيح^٥ أو نصيحة^٦ حازم^٧
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة^٨
فإن الخوافي قوة^٩ للقوادم^{١٠}
وما خير^{١١} كف^{١٢} أمسك الغل^{١٣} أختها^{١٤}
وما خير سيف^{١٥} لم يؤيد^{١٦} بقائم^{١٧}
وخل^{١٨} الهويننا للضعيف ولا تكن^{١٩}
نؤوما^{٢٠} فإن الحزم ليس بنائم^{٢١}
وحارب^{٢٢} إذا لم تعط^{٢٣} إلا ظلامة^{٢٤}
شيك^{٢٥} الحرب خير^{٢٦} من قبول المظالم^{٢٧}

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان أمر خالد أن يكتب في صدر مجلسه وهما :

أخالد^{٢٨} إن الحمد^{٢٩} يبقى لأهله^{٣٠}
جمالا ولا تبقى الكنوز^{٣١} على الكد^{٣٢}

(*) الغريب في هذه الابيات : غضاضة : منقصة ، الخوافي الریش الصغير في جناح الطائر ، وهي ضد القوادم ، الغل : القيد والجامعة . الشبا : جمع شباة ، وهي من كل شيء محددة

فأطعم وكل من عارة مستردة
ولا تثبها إن العواري للرد

وأخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغانى فى ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار بابا من أبواب الشعر الا طريقه وأجاد فيه ومن قوله فى الغزل :

لم يَظُلْ ليلي ولكن لم أنم ونفَى عنى الكرى طيف ألم
وإذا قلت لها جودى لها خرجت بالصمت عن لا ونعم
نَفْسِي يا عَبْدَ عنى واعلمى أتى يا عبد من لحم ودم
إن فى بردى جسمنا ناحلاً لو توکأت عليه لانهدم
ختم الحب لها فى عنقى موضع الخاتم من أهل الذمم
ومن قوله :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فإنه مقارف (*) ذنب مرة ومجانبه
إذا لم نشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربته
ومن الغزل قوله :

يزهدنى فى حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دَعُوا قلبى وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القاب
وكان بشار من أصحاب الفلسفة المتحيرين فى الدين وكان يعتقد ان
الانسان مسوق لا مخير ، يدل على ذلك قوله :

طَبِعْتُ على ما فى غير مخير هوأى ولو خيَّرتُ كنت المهذباً
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وقصّر علمى أن أنال المعيباً
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصّر وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بنى العباس ولم يفنه تفسير مطلع القصيدة السابقة شيئاً ، فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبياً ، ولذلك ظل فى خاطره شيء عليه . وكان المهدي بعده يظهر له فتورا ، فغضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه . فهجاه بيتين كانا سبب موته وهما :

(*) مقارف ذنب : مرتكبه ومخالطه

بنى أمية هُبُّوا طال نومكمُ إن الخليفة يعقوبُ بن داود
ضاعتُ خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزُّنق والعودِ
فبعث المهدي إليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ، ولم يخرج في
دفنه أحد ، لأنه مات وخصمه الخليفة

وتجد ترجمته في الاغانى ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ ، وابن خلكان ٨٨ ج ١
والشعر والشعراء ٤٧٦ ، والفهرست ١٥٩ (*)

٢ - السيد الحميرى

توفي سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدل على انه من حمير نزل البصرة ، وكان شاعرا متقدما مطبوعا ،
وقد تقدم انه هو وبشار وأبو العتاهية اكثر الناس شعرا في الجاهلية
والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ، ولم يصلنا منها ما يستحق
الذكر . لأنه كان يسب الصحابة بتشيعه لعلى ، فتحومى شعره وتخوف
الناس منه . أما من حيث الشاعرية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه .
وكان اسمر اللون تام القامة أشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب ،
إذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه .
ويعدده بعضهم من طبقة بشار وانهما اشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم
بأنه كان يكره الاستجداء بالشعر ، وقد نظم فى ذلك أبياتا وهى :

أيها المادحُ العبادَ ليعطى إن لله ما بأيدي العبادِ
فاسأل الله ما طلبتَ إليهم وارحُ نفعَ المقسم العوادِ
لا تتقلَّ في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله ، قال : « لولا ان هذا الرجل شغل عنا بمدح
بنى هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا » (١) ومن شعره في مدح
بنى هاشم لما استقر الامر لأبى العباس السفاح قوله :

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فجددوا من عهدِها الدَّارِ سَا

(*) وانظر في بشار طبقات الشعراء لابن المعتز (طبع دار المعارف) ص ٢١ وتاريخ بغداد
ج ٧ ص ١١٢ والخيار من شعر بشار (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) والموشح للمزباني
ص ٢٤٦ ونكت الهميان للصفدى ص ١٢٥ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٩٧ وشذرات الذهب لابن
العماد الحنبلى ج ١ ص ٢٦٤ والبيان والتبيين للجاحظ في مواضع متفرقة (انظر الفهرس في
طبعة عبد السلام هرون) . وانظر أيضا كتاب ابراهيم عبد القادر المازني عنه وكتابا آخر فيه
لطفه الحاجرى في سلسلة نوابغ الفكر العربى طبع دار المعارف وشخصية بشار لحمد النوبهي
وحديث الأربعاء لطف حسين الجزء الثانى وجولد تسيهر في كتابه « دراسات اسلامية » ج ١
ص ١٦٢ ونيكلسون في كتابه تاريخ الادب العربى A Literary History of the Arabs
(طبعة سنة ١٩٢٣) ص ٢٧٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٧٤ ج ١

دونكموها فالبسوا تاجها
لو خير المنبر فرسانه
قد ساسها قبلكم ساسة
ولست من أن تسلكوها إلى
ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لأبن عباس سمي محمد
أحرم بن تيم بن مرة إنهم
إن تهطهم لا يشكروا لك نعمة
وإن أتمنتهم أو استعملتهم
ولئن منعهم لقد بدءوكم
منعوا ثراث محمد أعمامه
لا تعطين بنى عدى درهما
شر البرية آخراً ومقديماً
ويكافئوك بأن تذم وتشتما
خانوك واتخذوا خراجك منعماً
بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلماً
وابنيه وابنته عديلة مريم

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن أدلة ترفعه عن
الجوائز ان الرشيد أعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته وأخباره في
الآغانى ٢ ج ٧ ، وفوات الوفيات ١٩ ج ١ (*)

٣ - أبو نواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانئ ، ولد في الأهواز سنة ١٤٥ في خلافة أبي جعفر
المنصور . وكانت أمه أهوازية اسمها جليان ، وكان أبوه دمشقياً من جزء
مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ، أنفذه مروان إلى الأهواز فلقى جليان
فأحبها وتزوجها فولدت له أولاداً منهم أبو نواس وأبومعاذ . وقبل أن يتجاوز
أبونواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه إلى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن
والداه في سعة أو لعل والده مات وترك أولاده في كفالة أمهم ، فأسلمت
أبا نواس إلى عطار يتخرج عنده في مهنة العطار . . ولكن نفسه كانت تميل
إلى غير هذه الصناعة . وكان إذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه إلى معانيه ،
ونشأت عنده رغبة في النظم . فإذا اجتمع بأديب أو راوية أو شاعر أو حضر
مجلس أدب وسمع شعراً أحب ناظمه وتمنى أن يراه . وكان في جملة من
سمع أشعارهم وأحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب ، وكان ظريفاً غزلاً
وصافياً للشراب . واتفق أن والبة قدم الأهواز ليمدح أبا بجير الأسدي عامل
المنصور عليها ، فمر بذلك العطار فلقى أبا نواس . . وكان جميل الصورة ذكياً ،

(*) وراجع في السيد الحميرى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٢ وحديث الأربعة أظه
حسين ودائرة المعارف الإسلامية

فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فأنس فيه قريحة وقادة ، فقال له : « ان فيك مخايل أرى ألا تضيعها وستقول الشعر ، فهل تصحبني أخرجك ؟ » ولم يكن أبو نواس يعرف مخاطبه فقال : « ومن أنت ؟ » قال : « أنا أبو أسامة والبة بن الحباب » فقال : « نعم ، انا والله في طلبك ولقد أردت الخروج الى الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك » فسار أبو نواس معه الى الكوفة ، ثم قدما بفداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندماؤه يجتمعون كل ليلة على الشراب وقول الشعر ، لا يكادون يفترقون فيهجو بعضهم بعضا هزلا وجدا ، ويصفون الخمر وغيرها . وكان أبو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علما ودربة . وكان يختلف الى أبي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ ، وتردد على أبي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس ونظر في نحو سيبويه حتى أصبح في الطبقة الاولى من المولدين ، وشعره عشرة أنواع أجاد فيها كلها . وأحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ : « ما رأيت رجلا أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة ، مع مجانبية الاستكراه » وقال معمر بن المثنى : « كان أبو نواس للمحدثين كامريء القيس للمتقدمين » وقد تقدم ان ذلك أولى أن يقال لبشار لأنه أسبق

ويروى عن أبي نواس انه قال : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت : « اذا رويت من أشعار الجاهليين فلا مريء القيس والاعشى ، ومن الاسلاميين فلجدير والفرزدق ، ومن المحدثين فلا بى نواس ، فحسبك » وهو يعد أيضا من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان لأبي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه ، فهم يعدونه امام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر . كان عندهم للشعر الفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله . . (١) ولكن تقرب أبي نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته ، فصار الشعراء يقلدونه فيها شأنهم في تقليد كل وجيه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا : « الناس على دين ملوكهم » واذا تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك الاتجاه عاما في سائر أحوال الحياة

ووصف شعر أبي نواس لا يفي به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من توسع في وصف الخمر والتغزل بالغلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات عدة من نظمه في هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية أحبها اسمها جنان . وقد أشرنا الى تهتكه في جملة متهتكى ذلك العصر ، ولعله أكثرهم أنفاسا في اللهو على أنواعه طمعا منه في عفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ رباه غفورا

ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيّداً ملكاً كبيراً
تعضّ ندامةً كفيك مما تركت مخافة الله السروراً
ومن لطيف نظمه في مدح محمد الأمين قوله يمدح ناقتة :

وتجشمتُ بى هولَ كل تنوفاً هوجاءُ فيها جرأةً مقدام (*)
تذّرُ المطىءَ وراءها فكأنها صفٌ تقدّمهن وهى إمام
وإذا المطىءُ بنا بلعن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد ، لقوله :

وأخفتُ أهلَ الشُّركِ حتى إنه لتخافك النشطفُ التى لم تُخلقِ
ومن قوله في وصف الخمر :

وندمانٍ سقيتُ الراحَ صرفاً وسترُ الليل منسدلُ السجوفِ
صفتُ وصفت زجاجتها كمعنى دقّ في ذهنٍ لطيف
وقوله :

مدامٌ تبدت من مقام مشرف تلوح لنا أنوارها ثم تختفى
ولما شربناها ودبّ ديبها إلى موضع الأسرار قلت لها قفى
مخافةً أن يسطو على شعاها فيطلع جلاسى على سرى الخفى
وقوله :

معتقة صاغ المزاج لرأسها أكاليل درّ ما لناظمها سلكُ
جرتُ حرّكاتُ الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يفين كاد يذهب الشكُ
ومن وصفه للأقداح وما عليها من النقوش قوله : (**)

تدارُ علينا الراحُ في عسجديّةٍ حبّتها بألوان التصاوير فارسُ
قرارتها كسرّى وفي جنباتها مهاً تدريها بالقسى الفوارسُ
فللخمر ما زُرّت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلائسُ
ويظهر انه كان مطلعاً على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ، ولاسيما

(*) التنوفاة : المفازة ، الهوجاء : الناقة المسرعة

(**) الغريب في هذه الابيات : عسجدية : كأس منبهة ، المها : البقر الوحشية ، تدريها : تخالطها ، الجيوب : جمع جيب وهو طوق القميص ، والزّر : شد الأزرار

علم النجوم والطبيعات ، بدليل قوله وفيه المام بالفلك :
 أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ حَلَّتِ الحَمَلَا وَقَامَ رَزَنُ الزَّمَانِ فَاغْتَدَلَا
 وَغَنَّتِ الطَّيْرُ بَعْدَ عَجْمَتِهَا وَاسْتَوَفَّتِ الخَمْرُ حَوْلَهَا كَمَلَا
 ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قُلْ لَزَهْرٍ إِذَا حَادَا وَشَدَا أَقْلَلُ أَوْ أَكْثَرُ فَأَنْتَ مَهْذَارُ
 سَخْنَتَ مِنْ شِدَّةِ البرودة حَتَّى صَرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
 لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ
 وفي ذلك إشارة الى نظر أهل الهند في الطبائع ، فهم يزعمون ان الشيء
 اذا زاد في البرد عاد حاراً . ومن أقوالهم : « أن الصندل الأبيض اذا أفرط
 في حكه عاد حاراً مؤذياً » ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس
 قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

ليس زاوِيش (١) حين سار أمام الحوت والبدر إذ هوى لانصبابِ
 منك أسخى بما تشعُّ به الأذُنُ نفسٌ عند انتقاصِ دَرِّ الحِلَابِ
 لا وبهرام تستقلُّ به العترة رب بالليل رائداً في الحسابِ (*)
 منك أمضى لدى الحروب ولا أهول في العين عند ضَرْبِ الرقابِ
 واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ، ولو أردنا الاتيان
 بأمثلة من نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد ، (٢)
 وهو مطبوع غير مرة في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة
 ١٨٩٨ فصل لجامع الديوان حمزة بن الحسن الاصبهاني في شعر أبي نواس
 ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ، ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة
 على ١٢ باباً :

(١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح

(٣) المراثي (٤) العتاب

(٥) الهجاء (٦) الزهد

(٧) الطرد (٨) الخمریات

(٩) الخمریات والمجون (١٠) غزل المؤنث

(١١) غزل المذكر (١٢) المجون . وقد أهمل الناشر باب المجون لتهتكه
 الزائد . وتجد أخباره في الأفاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦

(١) يريد بزاوِيش (زيس) أحد آلهة اليونان

(*) الحوت وبهرام والعقرب من البروج

(٢) فهرست ١٣٩

و ١٤٨ ج ١٦ ، وابن خلكان ١٣٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٩٦ ، والشعر
والشعراء ٥٠١ ، والفهرست ١٦٠ ، والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣ (*)

٤ - مسلم بن الوليد

توفي سنة ٢٠٩ هـ

ويعرف بصريع الفوانى ، وهو من أبناء الانصار ، كان مداحا محسنا .
وجل مدائحه في يزيد بن يزيد ، وداود بن يزيد المهلبى ، والبرامكة ،
ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم . وولاه المأمون بريد جرجان ، فلم يزل
بها حتى مات . وهو أول من الطف في المعانى ورقق في القول ، وعليه يعول
أبو تمام في ذلك وعلى أبى نواس ، ومن قوله في الوداع :

وإنى وإسماعيل يوم وداعه لكالغمد يوم الرثوع زايلاه النصل
قان أغش قوما بعده أو أزرهم فكالوحش يدنيها من الأنس الحل
ومن بديعه الذى امتثله أبو تمام وغيره :

إذا مانكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها
ومن مدحه قوله في الفضل بن يحيى البرمتى :

تساقط يَمْنَاه الندى وشماله ال ردى ، وعيون القول منطق الفصّل
عجول إلى أن يودع الحمد ماله يعد الندى غنما إذا اغتنم البخل
له هضبة تأوى إلى ظل برمك منوط بها الآمال ، أطنابها السبّل
ومن قوله في وصف سفينة :

أطلت بمجدافين يعتورانها يقوّمها كبّح اللّجام من الدُّبّر
كأن الصّبّا تحكى بها حين واجهت نسيم الصبامشئى العروس الى الخدر
ومن لطيف غزله :

إذا التقينا منعنا النوم أعيننا ولا نلائم نوماً حين نفترق
أقر بالذنب منى لست أعرفه كيما أقول كما قالت فنتفق

(*) وراجع في أبى نواس طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٩٣ والموشح للمرزبانى ص ٢٦٣
وأخبار أبى نواس لابن منظور وأبى هفان ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٣٠ وتاريخ بغداد ج ٩
ص ٤٣٦ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ . وأنظر بحثا فيه لعبد الرحمن صدقى بعنوان أبى نواس
وبحثا له آخر في خمرياته (طبع دار المعارف) وعدد أغسطس سنة ١٩٣٦ من مجلة الهلال
وحديث الاربعاء لطف حسين وكتابا فيه لعباس العقاد وكتابا آخر لمحمد النويهي وفون كريمر
في كتابه حضارة الشرق : Culturgegeschichte des Orients ج ٢ ص ٣٦٩ وما بعدها ،
ونيكلسون ص ٢٩٢ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلن ٢٥ ج ١

وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ . وتجيد أخباره في الشعر
والشعراء ٥٢٨ ، وفي الاغانى ٩ ج ١٣ ، والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ ، وفي
طبعة الديوان المذكورة (*)

٥ - أبو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى ، واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين
التمر سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ في الكوفة . وكان في أول أمره يتخنت فيحمل
زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة أبيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في
قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه أحس من حدائته
بقدرته على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع أحاديثهم
وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذكروا فيه

فاتفق يوما وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذكرون
الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : « يا فتیان
أراكم تتذكرون الشعر فأقول شيئا منه فتجيزونه . . فان فعلتم فلکم
عشرة دراهم » فهزئوا منه وسخروا به ، لكنهم قالوا : « نعم » قال :
« لابد ان يشتري بأحد القمارين رطب يؤكل فانه قمار حاصل » وجعل
رهنه تحت يد أحدهم ، وقال أجزوا :

ساكنی الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتا في ذلك الموضع ، وعين نقطة منه اذا بلغت الشمس
ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما أعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكنی الأجداث أتم مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعري ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخل الفتیان وأذاعوا خبره في
الكوفة ، فجعل أدباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى دكانه
يستنشدونه فينشددهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في أول خلافة المهدي وأنشده قصيدة مطلعها :

ألا ما لسيدي ما لها أدلاء فأحمل إدلالها

وكان بشار بن برد حاضرا فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

(*) وانظر في مسلم طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة
ص ٥٢٨ والموشح للمرزباني ص ٢٨٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦ ومعه التنصيص ج ٢ ص ١٠

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيرُه لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطيعه بنات القلو ب لما قبل الله أعمالها

قال بشار لجار له : « انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه طربا »
وصار أبو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يقدمه ويكرمه فأحرز نفوذا
عظيما عنده ، حتى انه كثيرا ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي
خلفه الهادي وكان واجدا عليه لأنه كان يلزم أخاه الرشيد فهناك أبو العتاهية
بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

ألا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شر ما يتوقع

فأذن بإدخاله . ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد ، وكان أبو العتاهية
قد عاهد نفسه الا يقول شعرا فأجبره الرشيد على القول فأطاعه فحظي
عنده حظوة كبيرة ، حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر ، وعين له راتب
مقداره ٥٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن أمرائه ووزرائه . وكان
بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية

وكان أبو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في أمر الدين فتقلب على
أطوار شتى ، شأن الذين يحلون أنفسهم من قيود الدين وينظرون فيه
نظر الناقد . واستقر رأى أبي العتاهية أخيرا على التمسك بالاسلام والزهد
عن الدنيا ، فأمره الرشيد أن يقول الشعر فأبى فحبسه وضربه ثم أطلقه
شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي

وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر ، وقد أطلق نفسه من
التقليد في المعاني والالفاظ ، فأتى بمعان جديدة ونظم على أوزان لا تدخل
في العروض ولم يتقدمه فيها أحد (١) . ولم يتهيب مما يتهيب له كثيرون
من شعرائنا خوفا من الخروج على التقليد . فقد يوما عند قصار فسمع
صوت المدقة ، فحكى ذلك في أبيات من شعره فقال :

للمنون دائرا ت يدرن صرّفها
هئن ينتقنين واحدا فواحدا (*)

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لأحمد بن يوسف :

ألم تر أن الفقر يرّجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

(١) الاغانى ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧
(*) هذان البيتان من مقلوبه بحر البسيط فوزنهما فاعلن مستفعلن

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا بأثقالهم وقد أزمعوا للذي أزمعوا
قرنت التفاني بأثارهم وأتبعتم مقلة تدمع
وقوله :

هب الدنيا تصير إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى زوال
ومن لطيف معانيه قوله :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
ألا إنما مالى الذى أنا منفق وليس لى المال الذى أنا تاركة
وذكروا له أرجوزة حكيمية في بضعة آلاف بيت ، منها :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجاً وخافا
ومع ذلك فالاصمعى يقول : « شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع
فيها الجواهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان أبو العتاهية أبيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة
جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر
لطيف المعانى سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟
قال : « ما اردته قط الا مثل لى فأقول ما أريد وأترك ما لا اريد »

وقد نظم في كل ابواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة
حياته انه كان مترددا متقلبا ، ويفلب ذلك في طباع الشعراء لانهم أهل
خيال وأوهام وخصوصا الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع
الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان . . على ان امتناع أبى العتاهية عن
قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ، ولكن لعل له
سببا حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص
ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته ، فقد كان طول حياة يزيد بن منصور
يدعى انه مولى لليمن وينتفى من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولاءه .
وعاتبه بعضهم في ذلك ، وقال له : « ألم تكن تزعم ان ولاءك لليمن ؟ »
قال : « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن . وما في واحد انتميت اليه
خير ، ولكن الحق أحق أن يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال
بخيلا ، وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغانى

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد أخباره في الاغانى ١٢٦ ج ٣ و ١٨ ج ٦ و ٢٤ ج ٨ ، وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ ، والفهرست ١٦٠ ، وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣ (١)

٦ - أبو تمام

توفى سنة ٢٣٢ هـ

هو عربى من طى ، واسمه حبيب بن اوس الطائى . ولد في منبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيرا . وكان يسقى الماء في الجامع بالفسطاط ثم جالس الادباء وأخذ عنهم وتعلم . وكان فطنا فهما يحب الشعر ، فلم يزل يعانيه حتى أجاده . وسار شعره وشاع ذكره في بغداد حاضرة الادب في ذلك الحين ، وخليفته المعتصم ، وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب أبى تمام فنظم فيه القصائد ، فأجازه ، وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر أحد منهم ان يأخذ درهما بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء ، وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه . . فان له فضل الاكثار فيه والسلوك فى جميع طرقه (١)

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء ، (٢) ومطلع قصيدته التى رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الرائون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

ألا فليجلَّ الخُطْبُ وليفندح الأمرُ فليس لعينٍ لم يفضْ مأوئها عذر

وذكر صاحب الاغانى ان كثيرا من أبيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنف أبى سلمى من ولد زهير بن أبى سلمى ، هجا فيها ذفافة العبسى وذكر أبياتا منها (٣)

ومن مرثيته قوله يرثى ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معا :

لهفى على تلك المخايل فيهما لو أمهلت حتى تكون شمائل

لغدا سكونهما حجي وصباهما حلما وتلك الأريحية نائلا

إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون بدرًا كاملا

(*) وراجع في أبى العتاهية طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٨ والموشح للمرزبانى ص ٢٥٤ والبيان والتبيين «أنظر الفهرس» وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٥٠ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٣٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥ ومقالة Oestrup عنه في دائرة المعارف الاسلامية وفون كريم في كتابه (حضارة الشرق) ج ٢ ص ٣٧٢ وبروكلمن ج ١ ونيكلسون ص ٢٩٦

(٢) العمدة ١١٩ ج ٢

(١) الاغانى ١٠٠ ج ١٥

(٣) الاغانى ١٠٧ ج ١٥

ومن مدائح قوله : (*)

سودّ اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السّموم مدارعا من قار
بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجّار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سقر من الأسفار
ولابى تمام وصية في كيفية النظم أوصى بها أبا عبادة البحتري ، بين
فيها أحسن الوسائل لإجادة النظم ، قال : « تخير الاوقات وانت قليل
الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان
لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر ، وذلك ان النفس قد أخذت حظها
من الراحة وقسطها من النوم . . فان أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا
والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوقع الكتابة وقلق الاشواق
ولوعة الفراق . واذا أخذت في مدح سيد ذى أياذ فأشهر مناقبه وأظهر
مناسبه وابن معاله وشرف مقامه وتقاص المعاني وأحذر المجهول منها وإياك
ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على
مقادير الاجسام ، واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت
فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه ، فان
الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر
الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان
شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء ، فانه لم يكتف بما نظمه من ضروب
الشعر بل جمع مختارات من أشعار عرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه
الحماسة ، وتعرف بحماسة أبي تمام تميزا لها عن حماسة البحتري . .
حمله على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه « ابن سلمة »
فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة ، فغم أبو تمام
وفرح « ابن سلمة » وقال : « وطن نفسك على البقاء ، ان الثلج لا ينحسر
الا بعد زمان » . واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة
كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طوال .
فبقى كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضمنون به ولا يكادون يبرزونه
لاحد ، حتى تغيرت أحوالهم ، وورد من همدان رجل من أهل دينور يعرف
بأبي العواذل فظفر به وحمله الى اصبهان . فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا
ما عداه من الكتب المصنفة في معناه ، فاشتهر فيهم وقد شرحه كثيرون

(*) هذه الابيات من قصيدة في مديح المعتصم ، وقد ذكر فيها أبو تمام حرقه لقائديه :
بابك وما زيار الدين كانا نأثرين عليه ، وقد صلبهما متجاورين وعليهما سواد الحرق والنار .
والضوامر : الخيل . يقول أبو تمام انهما كانا معلقين ليلا ونهارا ، والى ذلك أشار بقوله في
البيت الثاني (بكروا وأسروا) . ويقول ان الضوامر التي حملتهما ليست من الخيل ، وإنما
هي خشبات من صنع بعض النجارين

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في أربعة أجزاء كبار ، بين فيها اشتقاق أسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وإيراد الأخبار في أماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ، ولها شرح للمرزوقي ، وآخر لأبي العلاء المعري ، وآخر لابن جنى ، منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها (**) .

وقد عني بطبع الحماسة مع شرح التبريزي أيضا « فريتاغ » في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الأول سنة ١٨٣٨ ، والثاني سنة ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها إلى الألمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الأصل في مجلدين في ستوتغارت سنة ١٨٤٦ . ولأبي تمام حماسة أخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب أوروبا لتطبع بمصر .

وكان أبو تمام أسمر طويلا فصيحاً حلوا الكلام فيه تمتعة يسيرة . وله ديوان شرحه كثيرون شروحا حسنة . منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣ .

وتجد أخبار أبي تمام في الأغاني ٩٩ ج ١٥ ، وابن خلكان ١٢١ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٢١٣ ، والفهرست ١٦٥ (**) .

٧ - دعبل الخزاعي

توفي سنة ٢٤٦ هـ

هو عربي من اليمن ، شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، لا يخشى بذلك لوما ولا يخاف تهديدا . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . أصله من الكوفة ، وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه ، حتى المأمون فانه هجاء هجاء شديدا واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج إلى جرأة قوله للمأمون :

(*) نشر شرح المرزوقي في لجنة التأليف والترجمة والنشر في أربعة مجلدات كبار (**) وراجع في أبي تمام طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٣ والموشح للمرزباني ص ٣٠٣ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٤٨ وكتاب أخبار أبي تمام للصولي طبع القاهرة وكتاب هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام للبديعي والموازنة بين الطائيين : أبي تمام والبحثري للأمدى وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢ وحسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٢٦٧ (طبع القاهرة سنة ١٣٢١ هـ) ومروج الذهب للمسعودي (طبع باريس) ج ٧ ص ١٤٧ وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٧٢ ومقدمة الحماسة ، والجزء الثاني (طبع فريتاغ) . وأنظر كتابنا : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الفصل الخامس من الكتاب الأول ، وكتاب من حديث الشعر والنثر لطله حسين ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمن ٨٤ ج ١ ونيكلسون ص ١٢٩

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقتدر
شادوا بذكرك بعد طول خمولة واستنقذك من الحضيض الأوهدر
يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي ، وما كان من قتله الامين حتى
تولى المأمون . ومن قوله في هجاء المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة خيار إذا عُدُّوا وثامنهم كتب
وإني لأعلى كتبهم عنك رعدة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع مثلك الناس إذ ساس ملكهم وصيف وأشناس وقد عظم الكرب (*)

وهجا أيضا ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالا
اليهم . وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ، ودعبل شاب وهو
يعترف بأستاذيته فجفاه مسلم ، فهجاه دعبل بقصيدة فيها عتاب
شديد (١) ختمه بقوله :

فَهَبْكَ يميني استأكلت فقطعتها

وصبرت قلبي بعدها فتشجعا

وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلا ،
فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك المخزيان وتبصق في وجهك الموصيل
وعاديت قوما فما ضرهم وشرفت قوما فلم ينبئوا
شعارك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا : عجلوا عجلوا
فأنت إذا ما التقوا آخر وأنت إذا انهزموا أوّل

وله في مقابل ذلك مدائح في غاية البلاغة . وأكثر مدائحه في أهل البيت
لانه كان شديد التعصب لعلى وأهله . . على انه كثيرا ما كان يتخذ هجاءه
للارهاب ، فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم .
ومن قوله في مدح المطلب المذكور :

أبعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى إن ذا من العجب
إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

ومن أشهر قصائده قوله يمدح أهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته : (*)

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مضرٍ
الا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزرٍ
قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل العزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمة معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذرٍ
أربع بطوس على القبر الزكي إذا ما كنت ترعب من دين على وطرٍ
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم ، هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرٍ
هيات لى امرئ رهن بما كسبت له يداه ، فخذ ما شئت أو فذر

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزاعي :

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقص مر الليالى من حواشيها
هذا أبو القاسم الشاوى ببلقعة تسفى الرياح عليه من سواشيها
هبت وقد علمت أن لا هبوب به وقد تكون حسيرا إذ يباريها
أضحى قري للمنايا إذ نزلن به وكان فى سالف الأيام يقريها
ومن شعره فى الغزل قوله :

لا تعجبنى يا سلكم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى
لا تأخذوا بظلامتى أحداً قلبى وطرفى فى دمي اشتراكا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء ، والناس على دين ملوكهم ، فلم يصل إلينا من أشعاره إلا شذرات مبعثرة مع أخباره فى الأغاني ٢٩ ج ١٨ ، وابن خلكان ١٧٨ ج ١ ، والشعر والسعراء ٥٣٩ ، والفهرست ١٦١ (***)

(*) الغريب فى هذه الأبيات : الأيسار : المجتمعون على القمار ، والجزر : جمع جزور ، وهو ما يجر وينحر من النوق ، أربع : قف ، طوس : مدينة بخراسان ، كان بها قبر الرشيد وقبر الرضا أحد أئمة أهل البيت ، الرجس : الدنس

(**) وراجع فى دعبل طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٤ والموشح ص ٢٩٩ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٨٢ وتهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١١ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٢ ومعجم الأدباء لياقوت وكذلك معجم البلدان فى مادة سمنجان وتاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ٦٠ ودائرة المعارف الإسلامية وجولدتسيهر فى كتابه دراسات إسلامية ج ١ ص ٨٣ ، ١٥٦ وبروكلمن ٧٨ ج ١

سائر الشعراء

في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو أنهم لم يختصوا بسواهم ، وهم لا يدخلون في طبقة من الطبقات الأخرى . وقد ترجمنا لبعضهم فيمن تقدم من فحول هذا العصر ، ونأتي الآن على خلاصة أخبار الباقيين مراعاة للمقام ، ونرتبهم حسب سني وفاتهم

١ - أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون ، وسمى أبا دلامة ، نسبة إلى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ أسود اللون ، مولى لبنى أسد . وكان أبوه عبداً لرجل منهم فأعتقه أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبن محاسنه ونوادره ، وفيه دعاية وظرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملححة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضا . وله قصائد عدة في مدح الخلفاء المذكورين ، منها قصيدة في قتل أبي مسلم الخراساني مطلعها :

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الأسد الورث
أنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة ، وكلما زاده عطاء زاده مدحا حتى قال فيه :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقليل أقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأنتم أطهر الناس
أو قدّموا القائم المنصور رأسكم فالعين والأنف والأذنان في الرأس
ومن مداعباته ومجونه أن أبا العباس السفاح قال له : « سلني حاجتك » ، فقال أبو دلامة : « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر بإعطائه ، فقال أبو دلامة : « ودابة أتصيد عليها » قال : « أعطوه » قال : « وغلّام يصيد بالكلب ويقوده » قال : « أعطوه غلاما » قال : « وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه » قال : « أعطوه جارية » قال : « هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال : « أعطوه دارا تجمعهم » قال : « فان لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ » قال : « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة » قال : « وما

الغامرة ؟ » قال : « التي لا نبات فيها » فقال : « قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد » فضحك وقال : « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه أن المنصور ألزمه الصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه فغاضه ذلك ، فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

لم تعلموا أن الخليفة لزني(*) بمسجده والقصر ، مالى وللقصر أصلى به الأولى مع العصر دائما فويلى من الأولى وويلى من العصر ووالله مالى نية في صلاتهم ولا البر والأحسان والخير من أمرى وما ضره والله يصلح أمره لو أن ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور وأعفاه . وأخبره في الاغانى ١٢٠ ج ٩ ، وابن خلكان ١٩٠ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٨٧ ، والدميرى ١٣٢ ج ١ ، والمستطرف ٤٣ ج ٢ (*)

٢ - حماد عجرد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى أيضا نشأ في الكوفة ، ثم واسط ، وعاصر الدولتين ، لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن نادى الوليد بن يزيد الاموى ، وجاء بغداد أيام المهدي ومعه مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم . وحماد من الشعراء المجيدين ، وكان ماجنا ظريفا خليعا ، وأدرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا أمثلة منها . ولم يكن يهاب كبيرا ولا صغيرا ولا عالما كان أو خليفة . وقد عاصر الامام ابا حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه أبو حنيفة ، وبلغ حمادا أنه يتنقصه فكتب اليه :

إن كان تُسْكِك لا يتهم بغير شتمى وانتقاصى
فاقعد وقم بى كيف شئت مع الأدانى والأقاصى
فلطالما زكيتنى وأنا المقيم على المعاصى
أيام تأخذها ونه طى فى أباريق الرصاص

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموى بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة أنه ليس

(*) لزنى : الزمنى

(**) وراجع في أبى دلالة طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٥٤ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٨٨ والفهرست لابن النديم ص ١٤٢ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢١٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٤٩ ومحاسن البيهقى (طبعة شوالى) ص ٦٤٥ والمقامة رقم ٤٠ من مقامات الحريري مع شرح الشريشى ج ٢ ص ٢٣٦ ومعجم الادباء لياقوت في زند بن الجون

في هجاء حماد لبشار شيء جيد الا ٤ بيتا معدودة . أما بشار فله من الهجاء فيه أكثر من ألف بيت جيد ، وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها ، فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره انه هجا حفص بن أبي بردة وكان صديقه وزنديقا مثله ، وحفص أعمش أفتطس أعضب مقبح الوجه . . فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبي بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد : (*)

لقد كان في عَيْنِكَ يا حفص شاغلٌ وأنفٌ كثير العَوْدِ عما تتبّعُ
تتبع لحناً في كلام مرقشٍ ووجهك مبنيٌ على اللحن أجمعُ
فأذناك إقواءٌ وأنفك مكفأٌ وعيناك ابطاءٌ فأنت المرقعُ
وقد سبق أبا نواس بالتغزل في الفلمان . من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه أبو بشر :

أخى إن دائي ليس عندي دواؤد ولكن دوائي عند قلب أبي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيتَه يقلّب عينيه لأقصرّت عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لأقصرّت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد انه شبب بزینب أخت محمد بن سليمان بن علي وبلغه غضب محمد ، فهرب الى الاهواز فبعث محمد في طلبه ، ففر الى غيرها ، ومرض في تنقله ، حتى مات في شيراز، ودفن فيها وتجد ترجمته في الاغانى ٧٣ ج ١٣ ، وابن خلكان ١٦٥ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٩٠ ، والفهرست ٩١ (**)

٣ - مروان بن أبي حفصة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالى ، أصل جده من سبى اصطخر ، وكان غلاما اشتراه عثمان بن عفان ووهبه لمروان بن الحكم ، واقام بعدئذ باليمامة ، وولد له غلام سماه مروان . وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالى بنى أمية وقد حارب معهم . وكان شجاعا مجربا

(*) الغريب في هذه الابيات : العود : البعير ، الثيل : الغرمول . الاقواء والابطاء والاكفاء من عيوب القافية في الشعر

(**) وانظر في حماد طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٧ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ١٤٨ ومعجم الادباء في حماد ، وكذلك حديث الاربعاء لطف حسين الجزء الثانى

فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد ، وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين ، أول من شهره ونوه به معن ابن زائدة الجواد المشهور ، اذ مدحه مروان بقصيدة نونية ، مطلعها :

مَعْنُ بن زائده الذي زيدت به شَرْفًا على شرفِ بنو شَيْبَان
ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معنا مطلعها :

بنو مَطَرٍ يومَ اللقَاء كأنهم أسودٌ لها في بطن خَفَّان أشْبَلُ

فأجازه عليها بمال كثير ، فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحا حتى غار منه المهدي وغنفه مرة ، وقد دخل عليه في جملة الشعراء وأنشده قصيدة في مدحه ، فقال له المهدي : « من انت ؟ » قال : « شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة » فقال له المهدي : « ألسنت أنت القائل :

أَقْمَنَا بِالْإِمَامَةِ بعد مَعْنٍ . مقاماً لا نريد به زوالاً

وقلنا أين نَرَحُلُ بعد معنٍ . وقد ذهب النوالُ ولا نوالاً

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا . . . جروا برجله » فجروه برجله حتى اخرج . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء - وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة - فمثل بين يديه وأنشد قصيدة في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تَطْمَسُونَ من السماء نجومها بأَكْفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالةً عن ربكم جبريلٌ بَلَّغها النبيُّ فقالها
شهدتُ من الأنفال آخرُ آية بترائهم فأردتم إبطالها

فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم هي ، فقيل مائة بيت ، فأمر له عن كل بيت بألف درهم فنال ١٠٠.٠٠٠ درهم . وهذه أول مرة نال فيها شاعر هذه العطية (١)

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فأصابه معه ما أصابه مع المهدي ، اذ مدحه بقصيدة بائية أعجبتة فأعطاه عن كل بيت ألف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالا كثيرا ، لكنه كان مطبوعا على البخل ويظهر ذلك على الخصوص حين تقابل بينه وبين سلم الخاسر الآتي ذكره لأن هذا يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠.٠٠٠ درهم ، ويلبس الخز والوشى ويتطيب ويتنعم في الأكل على عكس مروان (٢)

(١) الاغانى ٤٤ ج ٩

(٢) الاغانى ٣٩ ج ٨

وتجد أخبار مروان في الاغانى ٣٦ ج ٩ ، وابن خلكان ٨٩ ج ٢ ،
و ١٠٩ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٨١ ، وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ ،
والفهرست ١٦٠ (*)

٤ - سلم الخاسر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم بن عمرو ، أحد موالى أبى بكر الصديق . نشأ في البصرة ،
وكان شاعرا مطبوعا متصرفا في فنون الشعر ، وكان متظاهرا بالخلاعة
والفسوق والمجون . وزاد شاعرية وقدره بالشعر على يد بشار لانه كان
راويته وتلميذه . أخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله ،
وكثيرا ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظهر بحاجنه وفاز بالطيبات الفاتك اللهب
فجعله :

من راقب الناس مات غمًا وفاز بالسدة الجسور

فبلغ بيته بشارا فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيد ما دام حيا ،
فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضى ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده .
وكان صديقا لابراهيم الموصلى المغمي المشهور ولابى العتاهية . وكان يمدح
البرامكة وخصوصا الفضل بن يحيى . وكان أول اشتهاره انه حمل قصيدة
بشار الى عمر بن العلاء ، فلما انشده اياها أمر لبشار بمائة درهم فقال
سلم : « ان خادمك (يعنى نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة »
قال : « ما هي ؟ » فأنشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء فما لي دواء مما ألقى من حسان النساء
حتى تخلص الى المدح بقوله :

كم كربة قد مسني ضررها ناديت فيها عمر بن العلاء

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وهى أول عطية سنية نالها . ثم توالى
عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء ، وكان مترفا في المعيشة
ويلبس أحسن الملابس كما تقدم . وظل الى آخر أيامه يعترف انه جزء
من محاسن بشار

وتجد ترجمته في الاغانى ١١٠ ج ٢١ ، وابن خلكان ١٩٨ ج ١ (**)

(*) وراجع في مروان طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٤٢
والموشح للمزباني ص ٢٥١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٠١ وأمالى المرتضى طبعة الحلبي (أنظر
الفهرس) وحديث الاربعاء لطف حسين الجزء الثانى

(**) وأنظر في سلم طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٩ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٣٦ ومعجم
الادباء لياقوت وأمالى المرتضى (أنظر الفهرس)

ه - منصور النمرى

هو عربى من النمر بن قاسط ، نشأ فى الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتাবى الآتى ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضرُوا وراويته . وعنه أخذ ومن بحره استقى . وقدمه العتাবى الى البرامكة اذ وصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد ، وجرت بعد ذلك بينه وبين العتাবى وحشة ، حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كل منهما فى هلاك صاحبه

وكان مسكن النمرى فى الشام ، فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فأدرك ان الرشيد يسره ان يمدح بنفى الامامة عن على والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبى حفصة بسبب ذلك . . فسلك مذهبه ونحا نحوه ، والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ، ومن قوله فيه قصيدة مطلعها (*) :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا غِمَارَ الْهَوْلِ مِنْ بِلَدٍ شَطِيرِ
يَخْطُوصُ كَالْأَهْلَةِ خَافَقَاتِ تَكْلِينَ عَلَى الشَّرَى وَعَلَى الْهَجِيرِ
حَمَلْنَ إِلَيْكَ أَحْمَالًا ثَقَالًا وَمِثْلَ الصَّخْرِ وَالْدَّرِّ النَّشِيرِ
فَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمَنْتَهَاهِ وَغَايَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ

ومما قاله فى تفضيله على أبناء على بالارث قوله :

فَإِنْ شَكُرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالْتَدَامَةُ لِلْكَفُورِ
وَإِنْ قَالُوا بَنُو بَنْتٍ فَحَقٌّ وَرَدُّ شَوْأِ مَا يَنْسَبُ لِلذَّكُورِ
وَمَا لِبَنَى بَنَاتٍ مِنْ تَرَاثٍ مَعَ الْأَعْمَامِ فِي وَرَقِ الزَّبُورِ

وكان الرشيد يفضل مروان عليه فى العطاء . وقد ذكرنا الابيات التى قالها فى مدح الرشيد وما فيها من المبالغة (١) وناهيك بالقصيدة التى رفعت السيف عن ربيعة (٢) وقد مدح أيضا يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِبَنَى شِيَّانٍ مِنْ حَسَبٍ سِوَى يُزَيْدٍ لَفَاقُوا النَّاسَ بِالْحَسَبِ
وتجد أخبار منصور النمرى فى الاغانى ١٦ ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ ج ١٧ (***)

(*) الغريب فى الابيات : شطير : بميد ، الخوص : النوق ، وأراد بالبيت الثالث شعره الذى يشبه بعضه الصخر وبعضه الدر

(١) الاغانى ٢٠ ج ١٤١ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغانى ٢٢ ج ١٢ (***) وأنظر فى منصور النمرى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٦٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٦ وامالى المرتضى ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٨ وفى مواضع متفرقة (أنظر الفهرس)

٦ - علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه . . ثم أبفضه لانه كان كثير السعاية اليه بئدماؤه ، واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه ، فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة . . فنفاه الى خراسان بعد أن حبسه مدة . وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة ، كقوله : (*)

ورافضة تقول بشعب رضوى إمام ، خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفا من الأتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة ، فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ، أن يصلبه ، فقبض عليه وصلبه في الشاذياخ يوما الى الليل مجردا ، فلما نزل قال في ذلك قصيدة فخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية إلا ثنين مسجوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه ، وفيه أحسن ما قيل في مدح السجن (**)

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسني وأى مهتد لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله كبرا وأوباش السباع ترد
والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتجلى أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحضره الغمام فما يثرى إلا وريقه يروع ويرعد
والزاعبسة لا يقيم كعوبها إلا الثقاف وجذوة تتوقد
والنار في أحجارها مخبوءة لا تصنطلي إن لم تثرها الأزند
وله أقوال في الفزل والعتاب وفي الوصف ، ومن أجمل ذلك قوله في

(*) يشير ابن الجهم في البيت الأول الى ما كان يعتقد بعض الشيعة من غيبة محمد بن الحنفية في شعب وضوى . (أنظر ترجمة كثير في الأغاني)
(**) الغريب في الأبيات : الفيل : الأجمة وبيت الأسد ، السرار ، آخر أيام الشهر ، ريق المطر : أوله ، يراخ : من راح المطر اذا كان شديداً بالريح ، الزاعبسة : الرماح ، الثقاف : الصقل

وصف حفلة بعد صيد ، أقاموا بعده. يشربون على الزعفران (*)
 وطمنا رياض الزعفران وأمسكت^٥ علينا البزاة البيض حمر الدراج
 ولم تحمها الأدغال منا وإنما أبحنا حماها بالكلاب النواج
 بمستروحات سابحات بطونها على الأرض أمثال السهام الزوالج
 ومستشرقات بالهوادي كأنها وما عتقت^٥ منها رؤوس الصوالج
 ومن دالعات^٥ ألسنا فكأنها لحي^٥ من رجال خاضعين كواسج
 فكيننا بها العيطان فلياً كأنها أنامل^٥ إحدى الغانيات الحوالج
 وتجد أخباره في الاغانى ١٠٤ ج ٩ ، وابن خلكان ٣٤٩ ج ١ (***)

٧ - حسين بن الضحاك

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو من موالى باهلة ، ولد في البصرة ، ونشأ فيها ، ونادم الخلفاء من بنى
 العباس ، وكان خليعاً فاسداً . وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ، لشعره
 قبول ورونق . . فهو من المتفنين ، وله معان جديدة في الخمر ، كان أبو نواس
 يأخذها عنه . ومع ان أبا نواس مات سنة ١٩٨ ، والضحاك مات سنة
 ٢٥٠ ، فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب ، لكن ابن الضحاك عمر كثيرا

وهو أول من نادى الأمين وله فيه مدائح كثيرة ، فلما رجع المأمون من
 خراسان بعد مقتل أخيه واستتب الامر له طلب قوما من أهل الادب
 يجالسونه ، فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك ، فقال : « أليس
 هو القائل في محمد (الأمين) :

هلا بفت لسد فافتنا أبداً وكان لغيرك التلف^٥
 فلقد خلقت خلائفاً سلفوا ولسوف يثعوز^٥ بعدك الخلف^٥

لا حاجة لى فيه والله لا يرانى أبداً الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما
 كان من هجائه له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة ، فأقام
 بها طوال أيام المأمون

(*) الغريب في هذه الابيات : الدراج : جمع دراج ، وهو طائر ملون الريش ، النواج :
 النواج ، الزوالج : السريعة : الهوادي : الاعناق ، عتقت : عطفت وموجت ، والصوالج :
 جمع صولجان ، دالعات : مخرجات ، كواسج : جمع كوسج وهو المرسل للحيته على ذقنه ،
 الحوالج : اللاتي يندفن القطن حتى تخلص البذور منه

(**) وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ ومعجم الشعراء والموشح للمرزياني ص ٣٤٤
 وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ وكذلك ج ٧ ص ٢٤٠ في ترجمة أبيه الجهم وابن أبي الحديد في
 شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٦٢ وابن الاثير والطبري (أنظر فهارسهما وكذلك فهارس مروج
 الذهب للمسعودي طبعة باريس) . وقد نشر خليل مردم سنة ١٩٤٩ ديوانه في دمشق

وله في الامين مرات جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك ، فقيل له انه في البصرة ، فاستقدمه فقدم ، وأنشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خَيْرُ الوفود مبشرٌ بخلافةٍ خَصَّتْ بِسَهْجَتِهَا أبا إسحاقِ
وَإِفْتِهِ فِي الشهر الحرامِ سليمةٌ من كل مشكلةٍ وكل شِقَاقِ
أَعْطَتْهُ صَفَقَتِهَا الضمائرُ طاعةً قبل الأَكْفِ يَأْوُكِد الميثاقِ
سَكَن الأَنام إلى إمامِ سلامةٍ عَفَّ الضمير مَهْذِبِ الأخلاقِ
فَحَمَى رَعِيَّتَهُ ودافع دونَهَا وأجار مُمْلَقَهَا من الإِملاقِ

وله أبيات في التفضل بالفلمان ، اقتبس بعضها أبو نواس (١)
وتجد أخباره في الاغانى ١٧٠ ج ٦ ، وابن خلكان ١٥٤ ج ١ (*)

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان أكثر انقطاعهم للبرامكة ، أو اختصوا بهم دون سواهم ، أو كان لهم معهم شأن خاص ، وهاك أشهرهم :

١ - ابان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي ، وأكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية الى العربية . وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية ، لانه نظم كتاب كليله ودمنة شعرا بإشارة البرامكة ، كما نظمته الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الأذهان . وقد نقله ابن المقفع نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هذا كتاب أدبٍ ومِحنَةٍ وهو الذي يُدْعَى كليله دمنه°
فيه احتيالات° وفيه رشْدٌ وهو كتابٌ وضعتهُ الهند°

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال : « ألا يكفيك أن أحفظه فأكون رأيتك ؟ »

وهذا النقل من جملة أفضال البرامكة على اللغة العربية ، لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان (**). ونقله شعرا أيضا آخرون سندكرهم عند ذكر هذا الكتاب

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٦
(*) وأنظر في الحسين بن الضحاك طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٨ ومعجم الادباء لياقوت وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٣ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٥١
(**) في كتاب الاوراق للصولي قطعة كبيرة من هذه المنظومة

وارتقى ابان في أيام البرامكة حتى أسند اليه يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز ، فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم أبو نواس . فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها ، وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة . وأكثر أعدائه كانوا يتهمون به بذلك ، وفيهم المعتدل بن غيلان فانه قال فيه :

رأيت أبانا يوم فِطْرٍ مُّصْلِيًّا فقسّم فكرى واستفزني الطرب°
وكيف يصلى مظلم القلب دينه° على دين مانٍ إن° ذاك من العجب(*)
واغتنم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بإيصاله الى الرشيد او إيصال مديحه لعله يحظى كما حظى مروان بن أبي حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا : « ان مروان يتقرب اليهم بهجاء آل أبي طالب فهل تفعل ؟ » فقال : « لا » فقالوا : « فماذا نصنع ، لا تأتى الدنيا الا بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق ، فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً أعّم° بما قد قلته العجيب° والعرب°
أعّم° رسول الله أقرب زلفه° لديه أم ابن° العم° في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده ومن ذا له حق التراث بما وجّب°
فان كان عباس° أحق بتلكم° وكان على° بعد ذاك على سبب
فأبناء عباسٍ هم° يرثونه كما العم لابن العم في الإرث قد حجب°

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد ، فأجازه عليها واتصل به من ذلك الحين . ونجد أخباره في الاغانى ٧٣ ج ٢٠ ، والفرست ١٦٣ (**)

٢ - ابن مناذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ، ويكنى أبا جعفر ، واسمه محمد بن مناذر . . شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة ، وامام فيها حتى أخذ عنه أكابر أهلها ، وكان في أول أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك ، فهجا الناس وتهتك ، وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفى عنها الى الحجاز ، فمات هناك

وكان ينحو نحو عدى بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح

(*) أنظر في ماني والمناوية وصلتهما بزنادقة العصر العباسي كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وأنظر في أبان طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤١ والاوراق للصولي في (أخبار الشعراء) وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٤ وحديث الاربعاء الجزء الثاني ، وجولدسيهر في كتابه دراسات اسلامية ج ٢ ص ١٠١ وأنظر بحثا له في أعمال مؤتمر المستشرقين السابع (١٨٨٨ م) قسم الابحاث السامية ص ١١٨ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

آل برمك وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفصل ابن الربيع أصبح شعراء البرامكة في خطر . فأراد ابن منذر أن يتقرب الى الرشيد طلبا للرزق ، فاعتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بصيدة ، فلاح البشر في وجه الرشيد ، فقال الفضل بن الربيع للرشيد : « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد ، فقال الفضل : « مره أن ينشدك قوله فيهم » فأمره ، فاعتذر فألح عليه ، فأنشد القصيدة التي مطلعها :

أتانا بنو الأملاك من آل برمكٍ فيأطيب أخبارٍ ويا حسنَ منظرٍ (١)

وكلها اطراء في البرامكة ، ولما فرغ منها استدرك بقوله : « كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين لما مدحتهم » فأمر الرشيد أن يلطم فلطموه وأمر فحبسوه ، وخرج لا يلوى على شيء . فلقبه أبو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار ، وقال له : « استعن بهذه واعذرني » ولم يعد ابن منذر يرى خيرا بعد البرامكة

وتجد أخباره في الاغانى ٩ ج ١٧ ، والشعر والشعراء ٥٥٣ (*)

٣ - الرقاشي

توفي سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى ، واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، من أهل البصرة . كان سهل الشعر مطبوعا ، وكان منقطعا الى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم . وكانوا يصلون به على الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدنونها القليل والكثير منها تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويها باسمه ، وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ! فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ، ويسامرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر رثاءهم . من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع ، فوقف يبكي ، ثم قال :

أما والله لولا خوفٌ واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ
فما أبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حُساماً حتفهُ السيف الحسام
على اللذات والدينا جميعا ودولة آل برمكٍ السلامُ

ونجد ترجمته في الاغانى ٣٥ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٥١٥ (***)

(١) الاغانى ٢٥ ج ١٧

(*) وراجع في ابن منذر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٩ والموشح للمرزباني ص ٢٩٥ والبيان والتبيين للجاحظ « أنظر الفهرس وابن خلكان في ترجمة يحيى بن خالد البرمكي (***) وانظر في الرقاشي طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٦ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٥

والموشح ص ٢٩٨

٤ - أشجع السلمي

هو أشجع بن عمرو والسلمي من قيس، ولد باليمامة ومات أبوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك. ونشأ أشجع بالبصرة، وقال الشعر وأجاد وعد من الفحول، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن. ولم يكن لقيس شاعر معدود، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس. ثم اتصل بالبرامية واختص بجعفر وأصفاه مدحه فأعجب به وأوصله إلى الرشيد، فأعجب به فأثرى. ومن بليغ شعره قوله في إبراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جبارا عبوسا:

في سيف إبراهيم خوف واقع بدوى النفاق وفيه أمن المسلم
ويبيت يكلأ والعيون هواجع مال المضيع ومهجة المستسلم
جعل الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا شدة تعشى البريء بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحّم لا يتقى والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهاتك النفوس حديثها بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

وتجد أشعاره وأخباره في الاغانى ٣٠ ج ١٧، والشعر والشعراء ٥٦٢ (*) وأكثر الشعراء مدحوا البرامية وانتفعوا بهم، وانما أتينا على أشهرهم في ذلك، وبعضهم يدخل في الابواب الأخرى

شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم، وقد ترجمنا لاثنيين منهم هما السيد الحميرى ودعبل فيما سبق من شعراء هذا العصر. واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن:

ديك الجن

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان، وأصله من أهل مؤتة (وقيل سلمية). وقد أسلم جده في أول الاسلام. ولد في حمص. وديك الجن لقب له، وكان شديد الشعوبية والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله: «ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وأياهم ولادة إبراهيم وأسلمنا كما أسلموا» وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين في شعره، وكان مقيما في حمص، ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد إلى العراق

(*) وراجع في أشجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥١ والموشح ص ٢٦٥ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٥ والاوراق للصولي (أخبار الشعراء) ومعاهد التنصيب ج ٢ ص ١٣٣

ولا الى غيره منتجعا بشعره ولا متصديا لاحد ، وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيع لآل البيت وله مراث كثيرة في الحسين بن علي ، كان بعضها مشهورا عند الخاص والعام يباح به . وكان مع ذلك خليعا ماجنا منعكفا على القصف واللهو متلافا لما ورث عن آباءه وما اكتسبه بشعره من أحمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن أقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا يا غلام متكره فباكر الكاس لي بلا نظره
وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام
وتزوجها وله فيها تشبيب ، منه قوله :

انظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خزامها وبهجة زهرها
لم تبك عينك أبيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية النوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من أردافها عجا ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها وردية ومدامة من ثغرها
ودخل بعض أقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر ، واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء ، وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

يا طلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفيتها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديتها
فوحق عليها وما وطىء الحصى شيء أعز علي من نعلها
ما كان قتلها لأنى لم أكن أبكى إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود اليها
وبعضهم ينسب هذه الابيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد ، على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضلوه فيه على ابي تمام (١) . وتجده أخباره في الاغانى ١٤١ ج ١٢ ، وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١ (*)

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او

(١) العمدة ١١٩ ج ٢ (*) وانظر في ديك الجن دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

وزير أو كبير ، أشهرهم على بن جبلة المعروف بالعكوك انقطع لأبى دلف ، ومطيع بن إياس انقطع لجعفر بن المنصور ، وأبو الشيص لعقبة بن جعفر ابن الأشعث . - هذه تراجمهم :

١ - مطيع بن إياس

هو عربى الأصل يرجع نسبه الى كنانة ، وقد عاصر الدولتين الأموية والعباسية . وكان ماجنا خليعا ظريفا مليح النادرة متهما بالزندقة . ولد ونشأ فى الكوفة وانقطع لجعفر بن أبى جعفر المنصور ومدح قليلين غيره . وهو من طبقة كانت فى صدر الدولة العباسية قبل أبى نواس وأبى العتاهية ادركوا المنصور ، وهو لا يقبل على الشعراء ، وكانوا ثلاثة هم : مطيع ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، فكانوا يتذكرون أيام بنى أمية وكثرة الخير فيها وما هم فيه ببغداد من القحط أيام المنصور . وقد نظم مطيع فى ذلك شعرا منه قوله :

حَبَّذا عِيشُنَا الَّذِي زَالَ عَنَا حَبَّذا ذَاكَ حِينَ لَا حَبَّذا ذَا
أَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ سَقِيًّا لِهَذَا كُ وَلَسْنَا نَقُولُ سَقِيًّا لِهَذَا
زَادَ هَذَا الزَّمَانُ عَسْرًا وَشَرًّا عِنْدَنَا إِذْ أَحَلَّنَا بَغْدَادَا
بِلَدَةً تُمْطِرُ التَّرَابَ عَلَى النَّاسِ كَمَا تُمْطِرُ السَّمَاءُ الرِّذَاذَا
خَرِبَتْ عَاجِلًا وَأَخْرَبَ ذُو الْعَرِشِ بِأَعْمَالِ أَهْلِهَا كَلْتُواذَا
وَكَانُوا يَتَهْتَكُونَ فِي تَعَشُّقِ الْفُلَمَانِ ، وَلَعَلَّهُمْ أَقْدَمَ مِنْ فَعَلِ ذَلِكَ مِنْ
الشُّعْرَاءِ . وفى الأغاني حديث عنهم ، نخجل من ذكره ، يدل على مقدار
تهتكهم فى ذلك العصر . ولطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها :
أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَيْرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنَّجَبِ
فَفِي نَزَارٍ وَكَهْلَهَا وَأَخَى الْجُودِ حَوَى غَايَتِهِ مِنْ كُتُبِ

وترى أخباره فى الأغاني ٧٨ ج ١٢ و ٨٥ ج ١٣ و ٨٦ ج ٢١ (*)

٢ - أبو الشيص

توفى سنة ١٩٦ هـ

هو أبو جعفر محمد بن رزين من اليمانية . وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته . وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل

(*) وراجع فى مطيع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٤ والحيوان للجاحظ (طبع الحلبي)
ج ٤ ص ٤٤٧ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٢٦ ولسان الميزان ج ٦ ص ٥١ وأمالى المرتضى (طبع
الحلبى) ج ١ ص ١١٤٢ وابن خلكان فى ترجمة يزيد بن يزيد ، وكذلك أنظر حديث الأوبعاء ،
الجزء الثانى

فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس ، فحمل ، وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي ، وكان اميراً على الرقة فمدحه بأكثر شعره وقلما يروى له في غيره . وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره ، لأنه كان يعطيه عن كل بيت ألف درهم . وكان من وصافي الخمر وله مقدرة على الفزل . وأصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عنيه ، فمن ذلك قوله :

يا نفس أبكى بأدمع هتّن
على دليلى وقائدى ويدي
وواكف كالجثمان في سنن
ونور وجهى وسائس البدن
أبكى عليها بها مخافة أن
تقرتنى والظلام في قرّن
ومن أقواله في الفزال :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخّر^١ عنه ولا متقدّم^٢
أجد الملامة فى هوائك لذيدة حباء^٣ لذكرك فليمنى الموتى
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهم^٤
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغراً ما من^٥ يهون عليك ممن أكرّم^٦
وهومما يتفى به . . وقد سرق أبو نواس معنى البيت الاول ، فنظمه
فى قوله :

فما جازه جود^٧ ولا حل^٨ دونه^٩ ولكن يسير الجود حيث يسير
وسرق آخرون معنى البيت الثانى ، فقال بعض المفاربة :

هذّدت^{١٠} بالسلطان فيك وإنما أخشى صدودك لا من السلطان
أجد اللذاذة فى الملام فلو درى أخذ^{١١} الرشاً منى الذى يلحانى
وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٨ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٥٣٥ ، والفهرست ١٦١ (*)

٣ - العكوك

توفى سنة ٢١٢ هـ

اسمه على بن جبلة الانبارى والعكوك لقبه ، وهو من الموالى أبناء الشيعة
الخراسانية من أهل بغداد . . ولد فى الحربية منها ونشأ فيها ، وكان
ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله

(*) وراجع فى أبى الشيخ طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧٢ ونكت الهميان ص ٢٥٧ وتاريخ
بغداد ج ٥ ص ٤٠١ ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ١٤٢ وابن خلكان فى ترجمة يزيد بن يزيد

لطيف المعاني حسن التصرف . وقد استنفد شعره في مدح أبى دلف العجلى ، وأبى غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبى دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من ذلك ، وبلغه أبيات قالها العكوك في أبى دلف منها :

كل من في الأرض من عَرَبٍ بين بساديه إلى حَضْرِهِ
مستعيرٌ منك مكرمةٌ بكتسبها يومٌ مُفْتَحَرُهُ
فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متواريا حتى مات . وسبب معرفة العكوك بأبى دلف طلب الرزق ، فقد بلغه ان الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي أربعون بيتا في جملتها البيتان المتقدمان وهو أبرص أسود . وله في الغزل قوله :

بأبى من زارنى مستترا خائفاً من كل شيء جزعا
زائراً نم عليه حسنه كيف يخفى الليل بداراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته ثم ما سلّم حتى ودّعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه أبا دلف في امثلة البالغة

وتجد أكثر أخباره في الاغانى ١٠٠ ج ١٨ ، وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ٥٥٠ (٥٥٠)

وهاك أهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المصدر الذى يرجع اليه في مطالعة أخباره :

٤ - ابراهيم بن سيابة ، مدح ابراهيم الموصلى المكنى . أخباره بالاغانى ٦ ج ١١

٥ - محمد بن أمية وأخوه على ، مدحا ابراهيم بن المهدي . أخبارهما بالاغانى ٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠

٦ - محمد بن صالح ، مدح ابن المدبر . أخباره بالاغانى ٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحا أو هجاء أو نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره ، وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر أى يجعله بابا للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسى الاول صالح بن عبد القدوس ، والعباس بن الاحنف ، ومحمد بن يسير الرياشي

(*) وانظر في العكوك طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٧١ ونكت الهميان ص ٢٠٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٥٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠ وأمالى الرضى (انظر الفهرس)

١ - صالح بن عبد القدوس

توفي سنة ١٦٧

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء، متهم بالزندقة، قوى الحجّة له منزلة كبرى عند أهل مذهبه. نشأ في البصرة، وكان يقص على الناس ويعظهم. وبلغ المهدي خبر زندقته، فبعث إليه يستقدمه من دمشق، وكان قد رحل إليها وهو شيخ طاعن في السن. فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي، قال له المهدي ألسنت القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال: « بلى يا أمير المؤمنين ». قال: « وانت لا تترك أخلاقك حتى تموت » فأمر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ. وأكثر أشعاره في الحكم الفلسفية. ومن أحاسن أقواله القصيدة التي منها ذلك البيت. وهو يقول فيها:

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ	ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه	حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله	كذا الضئلي عاد إلى نكسه
وإن من أدبته في الصبا	كالعود يشقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً	بعد الذي أبصرت من يئسه

وقوله:

لا يعجبك من يصون ثيابه حذر الغبار وعريضة مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيتَه دَنَسَ الثياب وعريضة مغسول
وكان فيه ميل إلى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة، ومن قوله:
أُنيستُ بوحدتي ولزمت بيتي فتم العز لي ونمّا السرور
وأدبني الزمان فليت أنسى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقائل ما دمت حيّاً أقام الحنْد أم نزل الأمير
وله قصيدة أخلاقية بدیعة مطلعها:

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرفع والخطوات تمزق

وترى أكثر أخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١ (*)

(*) وراجع في صالح طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٠ ونكت الهميان ص ١٧١ ومعجم الأدباء وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣ وتهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٣٧١ والحيوان والبيان والتبيين (أنظر الفهارس) وأمالى المرتضى ج ١ ص ١٤٤ ونيكلسون ص ٣٧٢ وما بعدها ودائرة المعارف الإسلامية

٢ - العباس بن الاحنف

توفي سنة ١٩٣ هـ

هو عربى شريف النسب لم يتكسب بالشعر ، وانما كان ينظم ما يجيش فى خاطره ، وأكثره فى الغزل ولم يتجاوزہ الى مديح أو هجاء . وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر أن يكثر من النظم فى مذهب واحد لا يتجاوزہ . ويندر ذلك فى الشعراء قديما وحديثا وله ديوان طبع مع ديوان ابن مطروح بالاستانة سنة ١٢٩٨ هـ ، ولشعره الغزلى وقع فى النفس فانهم كانوا يغنون كثيرا منه كقوله :

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان
وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتى أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لى حيلة صد المول خلاف صد العاتب
وقوله :

أتأذنون لصب فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمن السوء ان طال الجلوس به عفا الضمير ولكن فاسق النظر
وتجد أخباره وأشعاره فى الاغانى ١٥ ج ٨ ، وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ .
والشعر والشعراء ٥٢٥ (*)

٣ - محمد بن يسير الرياشى

هو من الشعراء الموالى غير محمد بن بشير الخارجى . اما الرياشى فانه شاعر ظريف من اهل البصرة لم يفارقها ، ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثا . وله فى الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقل من غرسه فأكلته ، ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فأكلتها وخرجت ، فنظم فى ذلك قصيدة طويلة (١) مطلعها :

(*) وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٢٧ والموشح ص ٢٩٠ ومعجم الادباء لياقوت ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٣٤
(١) الاغانى ١٣٠ ج ١٢

لى بستان أنفى زاهر فاضر الخصرة ريان ترفف
وأحسن فى وصف الشاة وحركاتها ، ويتخلل ذلك مجون لطيف . وأكثر
قصائده على هذا الأسلوب ، منها قصيدة وصف بها فراخا (١) مطلعها .
يارب رب الرائيين عشيبة بالقوم بين منى وبين تبير
وهى طويلة ، وفيها مجون . . وأكثر نظمه من هذا النوع . وتجد أخباره
فى الاغانى ١٢٩ ج ١٢ (*)

شعراء لم يتحضروا

أما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا فى بغداد ، بل كانوا
يفدون على الخلفاء أو الأمراء ، ثم يرجعون الى البادية فهم أقل كثيرا من
الذين تحضروا ، أشهرهم :

١ - كلثوم بن عمرو العنابى

توفى سنة ٢٢٠ هـ

أصله من قنسرين ، مدح البرامكة وطاهر بن الحسين . وكان حسن
الاعتدال فى شعره ورسائله ، وله مصنفات فى المنطق والادب واللغة ، وكان
يقيم فى (رأس عين) بعيدا عن دور الخلفاء والأمراء . وبلغ الرشيد قصيدة
قالها فأعجب بها فطلب أشخاصه اليه ، فجاء وعليه قميص غليظ وفروة
وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى
الرشيد ، أمر بأن تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة
إذا قدمت اليه أخذ منها رقاقة وملحاً ، وخلط الملح بالتراب فأكله بها .
فاذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله ،
وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمره فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن
سعيد العقيلي وهو فى منزله ، فسلم عليه وانتسب له ، فرحب به ، وقال
له : « ارتفع » فقال : « لم آت لك للجلوس » قال : « فما حاجتك ؟ » قال :
« دابة أبلغ عليها الى رأس عين » فقال : « يا غلام اعطه الفرس الفلانى »
فقال : « لا حاجة لى فى ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لى دابة أتبلغ عليها »
فقال لغلامه : « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى به فعدل العنابى الى
سوق الحمير ، فقال الغلام : « انما أمرنى أن أبتاع لك دابة » فقال له :
« انه أرسلك معى ولم يرسلنى معك فان عملت ما أريد والا انصرف »
فمضى معه فاشتري حمارا بمائة وخمسين درهما وقال : « ادفع اليه
ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عريا بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه

(١) الاغانى ١٣٥ ج ١٢

(*) وانظر ترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٠ وكتاب الورقة (طبع دار المعارف)
ص ١١٢ والشعر والشعراء والموشح للمزباني ص ٢٩٩

مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : « فضحتنى ، أمثلنى بعمل مثلك على هذا ؟ » فضحك وقال : « ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت : « هذا منصور النمرى (تلميذك وراويتك) قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وانت ههنا كما ترى » فأنشد يقول :

تلوم على ترك الغنى باهليسة زوى الفقر عنها كل طرفٍ وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن فى الثرى مقلدة أعناقها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى مغصتها بالمرهفات البوارد
دعبنى تجتنى ميتى مطمئنة ولم أتجشّم هول تلك الموارد
ويرى صاحب الاغانى اضطرابا فى هذا الخبر . على انه كان يفد على
الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ منصور النمرى . أخباره فى
الاجانى ٢ ج ١٢ ، وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢ (*)

٢ - ربيعة الرقى

هو ربيعة بن ثابت الانصارى ، ولد فى الرقة ونشأ بها وكان شاعرا مطبوعا . وهو ضرير مثل بشار ، وكان منقطعا عن الحضارة بعيدا عن مجالسة الخلفاء فأخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم ، وأول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال جوائزهم . وكان ابن المعتز يرى ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس لأن فى غزل أبى نواس برذا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل ، ولذلك فان شهرته بلغت الى بلاط الخليفة ، وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر أحد فى عطائه هجاه ، وله فى ذلك حديث مع العباس بن محمد بن على من أمراء بنى العباس ، وذلك أن الرقى مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل « لا » وأنت مَخْلَدٌ ما قالها
ما إن أعد من المكارم خصلة إلا وَجَدْتُكَ عَمَّها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا فى بلدة كانوا كواكبها وكنْتَ هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حلت براحتيك عقالها
فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع أن يعطيه ألفى دينار ، فأعطى.

(*) وراجع فى العتابى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦١ ومعجم الشعراء ص ٣٥١ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ ومعجم الادباء فى كلثوم بن عمرو والموشع ص ٢٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٩ والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ (انظر الفهارس)

الدينارين الى الرسول على أن يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة سيف المحدث لتجري في الكرام كما جريت
فهنبا مدحة ذهب ضياعا كذبت عليك فيها وافترت
فأنت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد زنت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فأحضره الرشيد ، وهم بقصاصه ،
فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس ، وكان
ينوى أن يزوجه ابنته فتغير عليه وأمر للرقى بثلاثين ألف درهم وبغلة ،
وأوصاه ألا يذكر العباس تعريضا ولا تصريحاً . واتفق للرقى أيضا مثل
ذلك مع معن بن زائدة ، وقد لقيه في بعض قدماته الى العراق ، فمدحه ،
فلم يهش له ، فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يا ابن زائدة الكلب الذي في الذراع لا في البنان
لا تفاخر إذا فخرت بأبا ثك وافخر بعمك الحوفزان
ومن غزله أبيات يغنى بها وهى :

وتزعم أنى قد تبدلت خلقة سواها وهذا الباطل المتقول
لحى الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك إن تك تفعل
ستصرم إنسانا إذا ما صرمتى بحبك فانظر بعده من تبدل

وتجد أخباره في الاغانى ٣٨ ج ١٥ ، وخزانة الادب ٥٥ ج ٣ (*)

٣ - عمار بن عقيل : هو من الشعراء البدو في هذا العصر ، حفيد جرير
الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويזור
الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة .
وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد أخباره في الاغانى ١٣٨ ج ٢٠ ،
وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ - ناهض بن ثومة : هو من عامر ، شاعر بدوى فارس فصيح كان
يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللفة . وأخباره في الاغانى
٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغنا أخبارهم لانهم قضوا حياتهم في البادية
ولم يقدوا على أحد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة
من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين ، حتى الوزراء والخلفاء والولاة
والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت أشعارهم في ذلك العصر ، وبقي كثير

(*) وانظر في ترجمة ربيعة الرقى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥٧ ونكت الهميان ص
١٥١ ومعجم الادباء لباقوت وابن خلكان في ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة وروح بن حاتم

منها الى أواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مئات .
 من أولئك الشعراء ، فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة أسر ،
 تسلسل الشعر في أعقابها كآل أبي أمية ، وآل اللاحقي ، وآل أبي عيينة .
 المهلبى ، وآل المعذل ، وآل أبي العتاهية ، وطائفة من النساء
 وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق
 بتقدير الورقة صفحتين ، في كل منهما عشرون سطرا ، فذكر نحو مائة
 شاعر منهم بشار له ألف ورقة ، وأبو نواس ٨٠٠ ورقة ، وابن هرمة ٥٠٠
 ورقة ، وغيرهم ٣٠٠ وأقل الى ٥٠ أو ٢٠ ورقة على ما كان معروفا في
 عصره بأواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل ، فمن
 أراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدأ بصفحة ١٥٩ من الفهرست

العلم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديدده . أما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على أكثر علوم العربية ، كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصناعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم . وصاحب هذه العلوم أو أحدها كانوا يسمونه « أديب » (١) . وقالوا الفرق بين الأديب والعالم أن الأديب يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه ، والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه (٢) . ولكن التعريف الأول أقرب إلى المراد ، ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فنى المنثور والمنظوم . وقد شاعت هذه التسمية قبل أن تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت في أول أمرها مختلطة متشابهة ، ثم استقلت بالتدرج وتفرعت وصار كل منها علما ، له احكام مستقلة جريا على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في أول الاسلام جمع أقوال العرب وأشعارهم وأخبارهم وأمثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن الكريم وضبط الفاظه وتفهم أساليبه . . أخذوا بذلك من القرن الأول للهجرة . وكان ابن عباس يقول : « إذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب » (٣)

ثم وضع أبو الاسود الدؤلى النحو لضبط المعانى كما تقدم ، فزادت الحاجة الى جمع أقوال العرب وأشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية باحياء لغة العرب وآدابها ، وأخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية ، فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها أو يروونها ويبدلون لهم العطاء

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الأول ، لرغبة خلفائها الأولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم مقصورة على الشعر ، ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسمع أو لتعليم أبنائهم اللغة والنحو

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٢) معجم الادباء ١٧ ج ١ (٣) العمدة ١١ ج ٧

والشعر . فالمنصور استقدم شرقى القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب (١) فشب المهدي على حب الادب والادباء فألف له المفضل الضبي المفضليات . وكثيرا ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء في النحو أو اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرهما (٢) ثم عهد الى الكسائي بتعليم ابنه هارون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي باللغة (٣)

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذة حتى كان يجلسه على كرسى في حضرته ، وبأمره الا ينزعج لنهضته (٤) وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء ، فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وأبي عبيدة (٥) أو يدعو احد الرواة اذا أرق أو ضجر ليقص عليه أخبار العرب . . فاذا سره حديثه أجزل عطاه وأبلغه الى مائة ألف درهم أو نحوها فضلا عن الهدايا وغيرها ، وقد يجادله أو ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة (٦) . وكان الرشيد يحب أن يكون محاطا بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلمات ويعرضهن على الاصمعي أو غيره ليمتحنهن ويعلم درجته معارفهن (٨) . واعتبر ذلك أيضا في الوزراء والامراء ، فالبرامكة تنشيطهم للأدب أشهر من أن يذكر . والفصل بن الربيع فاضل بين الاصمعي وأبي عبيدة (٩) أما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب أهل الادب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسة أو الشعر أو الخطابة ، وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم أو قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطرية عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من أهل فارس والعراق وخراسان بالولاء أو بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى قواعد وشواهد لأنها ليست لغتهم . وأكثرهم مع ذلك أهل فاقة يلتمسون الرزق ، فتوافدوا للاشتغال بالادب على البصرة والكوفة لأنهما على حدود البادية أو هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداءة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لأنها جعلت قصبتها في العراق على مقربة من هذين البلدين ، وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب نزلوها في صدر الاسلام وأنزلوا مواليهم معهم . . فنبت من هؤلاء الموالي طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة وأكثرهم من موالي بني أسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

فمن أولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها ، وسمعوا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير ألفاظهم وأساليبهم . وأكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم وأسد والثقات

(٣) طبقات الادباء ٨٧

(٢) الاغانى ٧٦ ج ١٨

(١) طبقات الادباء

(٦) طبقات الادباء ١٦٢

(٥) طبقات الادباء ١٤٥

(٤) المزه ٢١١ ج ٢

(٩) طبقات الادباء ١٦١

(٨) طبقات الادباء ١٥٧

(٧) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طيء . ولم يأخذوا شيئاً عن الحضرة ولا من البدو المجاورين ، فلم يأخذوا من لخم وجذام لمجاورتهم أهل مصر ، ولا من قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية ، ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ، ولا من عبد القيس والازد وعمان لأنهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم

فأهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو أساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك إلى البادية ، يحادثون العرب ويستطلعون أخبارهم وأشعارهم ويعودون بها إلى البصرة . وكان أولئك العرب في أول الأمر لا يرون بأساً من أملاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك أجراً . ثم علموا أن الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالا . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم أنفسهم على البصرة يقيمون فيها أو في ضواحيها ، تخفيفاً لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقاً إلى التكبسب من أملاء ما يعرفونه من اللغة أو الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفى بالاختصاص بالوافدين فيرحل إلى البادية ليأخذ عن أهلها . بدأوا بذلك من أواخر العصر الأموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية إلى البصرة وبغداد . . . وكان أكثر وفودهم في العصر العباسي الأول أولاً إلى البصرة ، فأصبحت غاصنة بالآداب والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

- فمن الفصحاء الذين أخذ عنهم الرواة في ذلك العصر أو حواليه :
- ١ - أبو البيداء الرياحي : أعرابي نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة وأقام بها عمره يؤخذ عنه العلم
 - ٢ - أبو مالك عمرو بن كركرة : أعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضرة ، وكان يحفظ اللغة
 - ٣ - أبو عرار : أعرابي من بني عجل ، فصيح يقرب من أبي مالك في معرفة اللغة
 - ٤ - أبو زياد الكلابي : أعرابي بدوي ، قدم بغداد أيام المهدي
 - ٥ - أبو سوار الغنوي : كان فصيحا ، وأخذ عنه أبو عبيدة
 - ٦ - أبو الجاموس ثور بن يزيد : أعرابي كان يفد على آل سليمان بن علي ، وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة
 - ٧ - أبو الشمخ : أعرابي بدوي ، نزل الحيرة
 - ٨ - شبيل بن عرعة الضيعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم ، مات بالبصرة

٩ - أبو عدنان : وهو أبو عبد الرحمن عبد الأعلى ، كان راوية أبي البيداء الرياحي

١٠ - أبو ثوبة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي

١١ - أبو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدى نزل الحيرة

١٢ - أبو شبل العقيلي : اعرابي فصيح ، وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة

١٣ - نصر بن مضر : من بني أسد

١٤ - أبو محلم الشيباني : اعرابي من أعلم الناس بالشعر واللغة ، كان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقته

١٥ - أبو مهدية : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون

١٦ - أبو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافدا على الحسن بن سهل

١٧ - الوحشى العكلى : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية

١٨ - أبو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل

١٩ - البهدلي : كان راجزا فصيحاً راوية وعنه أخذ الاصمعي

٢٠ - جهم بن خلف المازني : عاصر خلفا والاصمعي

٢١ - الجرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة

٢٢ - أبو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبدالله بن طاهر في خراسان

٢٣ - الفقعي : راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها أدرك المنصور ، ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد

٢٤ - ابن أبي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد ومات بها ، أخذ عنه العلماء

٢٥ - ربيعة البصري : بدوي تحضر ، وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد أسمائهم ، (١) ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعراب كتب ألفوها في اللغة أكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الإنسان لم يصلنا منها شيء

الرواة الذين نقلوا عنهم

أما الرواة الذين أخذوا عن أولئك الفصحاء بالبصرة أو رحلوا في طلب اللغة الى البادية فأكثرهم من الموالى منهم :

١ - اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب ، وعنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام

٢ - الاموى : هو عبدالله بن سعيد ليس من الاعراب ، لقي العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ - أبو المنهال : أحد الرواة

٤ - خلف الأحمر : مولى أبى موسى الأشعري وسنعود اليه

٥ - اليزيديون : هم أسرة تنسب الى كبير منها سمى اليزيدى لانه صاحب يزيد بن منصور خال المهدي ، ولهم مؤلفات كثيرة فى اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ، ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم أو أخبارهم . وأكثر من وصلنا أخبارهم الرواة المقربون من الخلفاء أو الوزراء فى بغداد كالاصمعي وأبى عبيدة وغيرهما ، وربما كان بين الذين ضاعت أخبارهم جماعة أولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب وأخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان ، يلتقون في البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون أخبار العرب وآدابهم وأشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الأول الى ثلاثة ، هم عمدة الرواة وأئمة الناس في تلك العلوم ، وعنهم روى الرواة وأخذ الآخذون ، وهم : أبو زيد الانصارى ، وأبو عبيدة ، والاصمعي . وكلهم أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة - اللغة والنحو والشعر ، ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي ، وجاء بعدهم القاسم بن سلام . واليك تراجمهم حسب سنى الوفاة :

١ - قتادة بن دعامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الاكمه من أهل البصرة ، كان عالما كبيرا مقصدا للطلاب والباحثين ، لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بنى أمية تنيخ ببابه لسؤال عن خبر أو نسب أو شعر . وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير فائد ، وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية أن قالوا لم يأتنا من علم العرب شيء أصح مما أتانا به قتادة (١) لكنه لم يخلف أثرا . وهو من أهل العصر الاموي ، لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ (*)

٢ - أبو عمرو بن العلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زيان بن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين التميمي المازني ، أحد القراء السبعة . وكان من أشراف العرب ووجوهها ، مدحه الفرزدق

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (*) وراجع في قتادة طبقات ابن سعد ص ٢ من القسم الثاني من الجزء السابع وطبقات القراء لابن الجوزي ج ٢ ص ٢٥ واللباب لابن لائمر ج ١ ص ٥٣٧ ومرآة الجنان ج ١ ص ٢٥١ ونكت الهميان ص ٢٣٠ وانباء الرواة على النحاة للقفطي (طبع دار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٣٥ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٥١ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٥ ، ومعجم الادباء (طبع القاهرة) ج ١٧ ص ١

وغيره ، وكان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب ، وكانت دقاتره الى السقف ثم تنسك فأحرقها (١) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب وأشعارهم . وعامة أخباره عن اعراب أدركوا الجاهلية ، ومع ذلك فقد قال : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا أقله » (٢) وعنه أخذ أكثر نحاة ذلك العصر فضلا عن رواته وأدبائه ، لكنه لم يخلف أثرا مكتوبا . وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣١ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ ، والفهرست ٢٨ (*)

٣ - أبو عبيدة معمر بن المثنى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التيمى مولى بنى تيم من قريش ، ولد سنة ١١٠ هـ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد ، وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ ، استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين . وأخذ عنه جماعة من علمائها أشهرهم : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو عثمان المازني ، وأبو حاتم السجستاني . وكان أبو عبيدة يقول : « ما التقى فرسان في جاهلية أو اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما » (٣) وهو الذي روى أخبار أيام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن ، (٤) وروى أشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبدالله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب ، فكان يملئ شعر كثير بثلاثين دينارا . (٥) وكان أبو عبيدة شعوبيا أى متعصبا على العرب ، ويرى رأى الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا أنشد بيتا لم يقم اعرابه . وكان شديد الطعن حاد اللسان ، فلم يسلم شريف من طعنه وألف كتابا في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخا ، مدخول الدين والنسب ، لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مائة مؤلف وخمسة في موضوعات شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وأيامهم والتراجم وغيرها ، لم يصلنا منها الا :
١ - كتاب نقائض جرير والفرزدق : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، وقد طبعت النقائض في لندن سنة ١٩٠٥ رواية أبي عبدالله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، (٦) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

(١) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (*) وأنظر في أبي عمرو كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ١٢٦ والبيسان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٣٢٠ وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٢٨ وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي (طبع الخانجي) ص ٢٨ وكتب طبقات النحاة الاخرى مثل البغية للسيوطي وكتب طبقات القراء ودائرة المعارف الاسلامية
(٢) طبقات الادباء ٣٣
(٣) الزهر ٢٠٣ ج ٢
(٤) العقد الفريد ٤٧ - ٩٣ ج ٣
(٥) الاغانى ٢٨ ج ٢
(٦) الاغانى ٦٨ ج ٥

وتجد أخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٣٧ ، والفهرست ٥٣ (*)

٤ - الاصمعي

توفي سنة ٢١٤

هو عبد الملك بن قريب من قيس ، وقد اشتهر بكنيته « الاصمعي » .
ولكثر ما يروى عنه أصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ « الراوى » . وكان
أتقن القوم وأعلمهم بالشعر وأحضرهم حفظا ، تعلم نقد الشعر على خلف
الاحمر ، وقد روى عنه كثيرون . وهو من أهل البصرة ، وقدم بغداد في
أيام الرشيد مع أبي عبيدة ، ف قيل لأبي نواس ذلك فقال : « أما أبو عبيدة
فاذا أمكنوه قرأ عليهم أخبار الاولين والآخرين ، وأما الاصمعي فلبل يطربهم
بنغماته » وكان الاصمعي شديد الحفظ ، يحفظ ١٢٠٠٠ أرجوزة ، وإذا
انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقا (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قد
عاد الى البصرة ، فاستقدمه ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فكان يجمع
المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . وأخباره كثيرة

أما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفا وأربعين كتابا في موضوعات
مختلفة ، ذهب معظمها . على ان حظه من البقاء خير من حظ أسلافه من
الرواة . أما كتبه الباقية مما بلغ خبره اليها ، فبعضها شعرية والبعض
الآخر كتب لغوية في دلالات الالفاظ . أكثرها موضوع في مجاميع ، كل
كتاب في باب خاص من الاسماء ، بعضها لأسماء الوحوش والآخر للابل
وغيرها وهي :

١ - الاصمعيات : هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في
ليبسك سنة ١٩٠٢ (***)

٢ - رجز العجاج : رواية الاصمعي ، منه نسخة خطية في المكتبة
الخدوية

٣ - كتاب أسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨

٤ - كتاب الابل طبع في بيروت سنة ١٣٢٢

٥ - كتاب خلق الانسان طبع في بيروت سنة ١٣٢٢ هـ (٢)

٦ - كتاب الخيل طبع في فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية

(*) وراجع في ترجمة ابن عبيدة اخبار النحويين البصريين ص ٦٧ وانباء الرواة ٣ ص ٢٧٦
وبغية الوعاة ص ٣٩٥ وتاريخ بغداد ١٣ ص ٢٥٢ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٢٨
وتقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٥١ وطبقات الزبيدي ص ١٢٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ومرتبة
الجنان ج ٢ ص ٤٤ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ١٩ ص ١٥٤ ودائرة
المعارف الاسلامية

(١) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

(**) نشر عبد السلام هرون الاصمعيات بدار المعارف بالقاهرة

(٢) هذان الكتابان طبعا معا باسم الكنز اللغوي

- ٧ - كتاب الشاء طبع سنة ١٨٩٦
 ٨ - كتاب الدارات طبع في بيروت
 ٩ - كتاب الفرق طبع في فينا
 ١٠ - كتاب النبات والشجر طبع في بيروت
 ١١ - كتاب النخل والكرم طبع في بيروت سنة ١٩٠٢
 ١٢ - كتاب الغريب منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
 . وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٥٠ ،
 والفهرست ٥٥ ، والدميري ٣١٠ ج ٢ (*)

٥ - أبو زيد الانصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري من أهل البصرة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللفظة ، وكان سيبويه اذا قال : « سمعت الثقة » فانه يريد أبا زيد الانصاري ، وعنه أخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة أيضاً ، ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة الا أبو زيد ، (١) فقد روى عن الفضل الضبي أكثر كتابه « النوادر في اللغة » . على ان أكثر رواياته عن العرب أنفسهم (٢) وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه أبي عبيدة والاصمعي بالثقة ، فانه كان أوثقهم كما كان الاصمعي أحفظهم وأبو عبيدة أجمعهم ، (٣) وجاء أبو زيد بغداد حين قيام المهدي (٤) وقد ألف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

- ١ - كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤
 ٢ - كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت
 ٣ - كتاب اللبن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

(*) وانظر في الاصمعي أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٥٨ وبغية الوعاة للسيوطي ص ٣١٣ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٠ وطبقات النحويين للزبيدي ص ١١٧ وانباء الرواة ج ٢ ص ١٩٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٦ والمعارف ص ٢٣٦ وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤١٥ والانساب للسماعني ٥١ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٧ وروضات الجنات ص ٤٥٨ وطبقات القراء ج ١ ص ٤٧٠ واللباب لابن الاثير ج ١ ص ٥٦ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٦٤ وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٣٠ ودائرة المعارف الاسلامية

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزهري ٧٥ ج ١

(٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١ (٤) الفهرست ٥٤

وتجد أخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ ، وطبقات الأدباء ١٧٣
والفهرست ٥٤ (*)

٦ - أبو عبيد القاسم بن سلام

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان أبوه عبدا روميا لرجل من أهل هراة . وقد اشتغل أبو عبيد بالحديث والادب والفقه ، وكان متدينا ورعا متفنا في أصناف علوم الاسلام والقراءات والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن أحد في شيء من دينه . وهو يصح أن يعد من رجال الحديث لولا أن كتبه كان لها شأن لغوى . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة ، وروى عن أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي والكسائي والفراء وغيرهم . وألف بضعة وعشرين كتابا في القرآن والحديث وغريبه والفقه ، وهو أول من ألف في غريب الحديث . وانقطع إلى عبد الله بن طاهر ، وكان كلما ألف كتابا أهدها إليه فيحمل له مالا كثيرا . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنته ابن طاهر ، وقال : « ان عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لتحقيق ألا يخرج عنا إلى طلب المعاش » فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتابا في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو لم يصلنا منها الا ما يأتي :

- ١ - كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة.
- ٢ - كتاب غريب المصنف : تكلم فيه على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطيور والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤ سنة ، وفيه ألف فصل و ١٢٠٠ شاهد ، منه نسخة خطية في مكتبة اياصوفيا بالاستانة وفي المكتبة الخديوية
- ٣ - كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالاستانة ، وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري

٤ - كتاب فضائل القرآن وأدبه : في مكتبة برلين

٥ - كتاب المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك

وتجد أخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ ، وطبقات الأدباء ١٨٨ ،
والفهرست ٧١ (**)

(*) وأنظر في أبي زيد كتب طبقات النحاة مثل أخبار النحويين البصريين ص ٥٢ وأنباء الرواة ج ٢ ص ٣٠ وبغية الوعاة ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ٩ ص ٧٧ ومعجم الأدباء لياقوت ج ١١ ص ٢١٢ والمعارف ص ٢٣٧ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١١٥ وشدرات الذهب ج ٢ ص ٣٤ وطبقات الزبيدي ص ١١٦ وطبقات القراء لابن الجوزي ج ١ ص ٣٠٥ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٥٨ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٠

(**) وراجع في أبي عبيد بن سلام أنباء الرواة ٣ ص ١٢ وبغية الوعاة ص ٢٧٦ ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ٢٥٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٨٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ١٦ وطبقات الزبيدي ص ١٣٨ وشدرات الذهب ج ٢ ص ٥٤ وروضات الجنات ص ٥٢٦ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣١٥ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٥ وكتب التاريخ في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

رواية الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على ما سواه من علوم العربية ، فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه أو حفظوه . وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته . . وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثيرين ، عددنا منهم مائة وبعض المائة ، وهم أكثر من ذلك لضياع أخبار الباقيين منهم في أثناء ظهور الاسلام ، بسبب كثرة من قتل منهم ومن روايتهم في الحرب والغزو على عهد الرسول والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معانى الالفاظ في التفسير والقراءة ، عمدوا الى جمع أشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر ، وعلى البعض الآخر شواهد النحو ، أو الامثال ، أو رواية اللغة . فأخذوا يطلبونها في أماكنها وينقلونها عن أصحابها أو من سمع عنهم . والمشهور أن أخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدونا في صحف عند أهل الحيرة من أيام المناذرة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ إلينا خبره : حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، وقد عاصر الدولتين الأموية والعباسية . وعاصر أبا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الأحمر ، والمفضل الضبي ، وغيرهما ، وهذه تراجمهم :

١ - حماد الراوية

توفى سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة ، أصله ديلمى من موالى بنى بكر بن وائل . نشأ في الكوفة ، وكان في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصار ، فقرأه حماد فأعجب به وحفظه ، ثم طلب الادب والشعر وأيام الناس . ولغات العرب بعد ذلك . . وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تميزا له عن نفر بهذا الاسم

وكان قوى الحافظة الى درجة بعيدة ، ومن أعلم الناس بأيام العرب . وأشعارها وأخبارها . . لكنه اختص بجمع الشعر ، وكان ضعيفا في العربية يلحن في كلامه . وكان بنو أمية يقدمونه ويستؤيرونه على البريد .

وينال منهم الجوائز ويسألونه عن أيام العرب وأشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوما : « بم استحققت أن تدعى الراوية ؟ » فقال : « بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروى لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشدنى أحد شعرا قديما ولا محدثا إلا ميزت القديم من المحدث » فقال له : « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ » قال : « كثير ، ولكننى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : « سأمتحنك فى هذا » . ثم أمره بالانشاد ، فأنشده حتى ضجر الوليد ، فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبره الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب فى الكوفة ، وكانوا متهمين بالزندقة جميعا . فلما آل الامر الى بنى العباس « كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزينا على موت أخيه أبى العباس ، وأراد أن يرثيه بأبيات كان يعلم أن هفان بن همام قالها فى رثاء أبيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور ، فبعث فى طلب حماد ليرويها له فجاءه وأنشده اياها فبكى وقال : « هكذا كان أخى رضى الله عنه (١) » . وظل حماد حيا الى أيام المهدي وكان يستدعيه اليه ، ويستنشده كما يستنشد الفضل الضبى . وكان يؤثر الفضل عليه لانه أصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد فى أشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتى خبر ذلك

وهو الذى جمع المعلقات التى بين أيدينا وجمع أشعار أكثر القبائل وأكثر شعراء بنى أمية ، وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر فى كتاب . . فكان عنده كتاب لشعر قریش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم (٢) ، لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئا وإنما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد أخباره فى الاغانى ١٦٤ ج ٥ ، وابن خلكان ١٦٤ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٤٣ (*)

٢ - الفضل الضبى

توفى سنة ١٦٨ هـ

هو الفضل بن محمد الضبى ، كان ثقة من أكابر الكوفيين أخذ عنه أبو زيد الانصارى من البصريين لثقته . وقد أدرك المهدي العباسى ققره وأدناه ، فجمع له الاشعار المختارة التى سماها الفضليات كما جمع

(١) الاغانى ١٦٦ ج ٥ (٢) الاغانى ١٧٤ ج ٥
(*) وانظر فى حماد المعارف (طبعة وستنفلد) ص ١٦٩ ، ٢٦٨ والشعر والشعراء ص ١٥٧ ، ٤٨٢ وخزانة الادب ج ٤ ص ١٢٨ والفهرست ص ٩١ ودائرة المعارف الاسلامية

أبو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة ، وأما المفضل فأخذ أكثرها عن اللسنة . . وهو غير المفضل بن سلمة اللغوى الآتى ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ - المفضليات وتسمى الاختيارات : وهى عبارة عن مائة وست وعشرين قصيدة ، وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت فى ليبسك سنة ١٨٨٥ وفى مصر . ولها شرح خطى فى المكتبة الخديوية لآبى بكر بن الأنبارى

٢ - كتاب الامثال : طبع فى الآستانة سنة ١٨٨٢

وتجد أخباره فى طبقات الادباء ٦٧ ، والفهرست ٦٨ ، والعقد الفريد ١٣١ ج ٣ (*)

٣ - خلف الأحمر

توفى سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان ، كان مولى أبى بردة وأصله من فرغانة ، لكنه حفظ كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده ، وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلته كلامه كلامهم . وكان من أهل البصرة ، وقد أخذ الاصمعى وسائر أهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الإشعار وتعيين أصحابها . وهو أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء الى حماد الراوية فسمع منه (١) . وكان ضئيلا بأدبه . وهو معدود أيضا بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتابا واحدا عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد أخباره فى طبقات الادباء ٦٩ ، والفهرست ٥٠ ، والشعر والشعراء ٤٩٦ ، والعقد الفريد ١٠٧ ج ٣ (***)

٤ - أبو عمرو الشيبانى

توفى سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالى ، واسمه اسحق بن مرار . كان يؤدب فى أحياء بنى شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللفة ثقة بالحديث كثير السماع . وقد جمع دواوين أشعار القبائل وعنه أخذت . وكان له بنون

(*) وراجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٢١ وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٤٩٨ والانساب للسمعاني ٣٦١ أ وبغية الدعاة ٣٩٦ وطبقات الزبيدي ص ١٣٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ٣٠٧ واللباب فى الانساب ج ٢ ص ٨١ ولسان الميزان ج ٦ ص ٨١ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ١٩ ص ١٦٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢٩٨ وذيل الامالى للقالى ص ١٣١ (١) طبقات الادباء ٧٠

(**) وأنظر فى خلف طبقات الزبيدي ص ١١٣ والمعارف ص ٢٣٧ والامالى للقالى ج ١ ص ١٥٦ واللالى لآبى عبيد البكرى ص ٤١٢ وبغية الوعاة ص ٢٤٢ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٦٦ وروضات الجنات ص ٢٧٠ وتهذيب اللغة للازهري ج ١ ص ٤ وانباء الرواة ج ١ ص ٣٤٨ والافانى (أنظر الفهرس)

وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر أحد أولاده ان أباه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة ، وكان كلما جمع أشعار قبيلة وأخرجها للناس كتب مصحفا وجعله في مسجد الكوفة . وعاش أكثر من مائة سنة ، وكان يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ، ولم يصلنا منها الا : كتاب الجيم في اللغة ، منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة اجزاء

وتجد أخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ، ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ ، والفهرست ٦٨ (*)

هؤلاء هم عمدة رواة الأشعار في ذلك العصر ، وان لم يقتصروا عليها . وعنهم أخذ من ألف في طبقات الشعراء أو دون أشعار الافراد أو القبائل . فضلا عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللفويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم . وقد يجمع أشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية أو الأشعار أو الاخبار ، فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . . كما حدث في شعر امرئ القيس ، فقد رواه أبو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات أبو سعيد السكري ، وصنعه أيضا أبو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها ، نخص منهم بالذكر اثنين من أهل العصر العباسي الاول هما : محمد بن سلام ، وابن أبي الخطاب القرشي

هـ - محمد بن سلام

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري ، كان عالما بالشعر والاخبار فألف كتابا في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين . . هو أقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات ، وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين أحدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين . وذكره صاحب الاغانى مرارا كثيرة واستشهد بأقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء ، وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في أماليهما مرارا . وعول عليه السيوطي في كتابه « المزهرة » ونقل عنه أقوالا تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين ألفوا في طبقات

(*) وراجع في أبي عمرو الشيباني تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٢٩ وبغية الوعاة ص ١٩٢ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٢١ وتهذيب اللغة للزهري ج ١ ص ٦ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٨٢ وخلاصة تدهيب الكمال ص ٢٨٤ وروضات الجنات ص ١٠٠ وطبقات الزبيدي ص ١٣٤ ومراة الجنان ج ٢ ص ٥٧ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ج ٦ ص ٧٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣

الشعراء . وهو أول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب انه ضاع لاننا لم نجده في مكاتب أوربا ولا الأستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها ، ثم علمنا بوجود نسخه خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص (١) ، وتصفحنها فإذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات (*) ، تبدأ بنقد الشعر ثم بأول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى جاهليين واسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات في كل طبقة أربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

- الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى
 الثانية : سقط بعضها في النسخ ، ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة (**)
 الثالثة : نابغة بنى جعدة وأبو ذؤيب الهذلي والشماع بن ضار ولبيد ابن ربيعة
 الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبده وعدي بن زيد
 الخامسة : خدّاش بن زهير والاسود بن يعفر وأبو يزيد المخبل وتميم ابن أبي بن مقبل
 السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن أبي كاهل (وسقط الرابع) (***)
 السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
 الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب وأوس بن غلفاء وعوف بن عطية
 التاسعة : ضابى بن الحارث وسويد بن كراع والحويدرة الذبياني
 وسحيم عبد بنى الحسحاس
 العاشرة : أمية بن حرثان وحريث بن محفص والسكيت بن معروف وعمرو بن شأس
 وأضاف الى ذلك أصحاب المراثي وجعلهم طبقة وهم : متمم بن نويرة والخنساء وأعشى باهلة وكعب . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

(١) فيها الى وجودها هناك مصطفى الرافعي الشاعر فنشكره على صدق رغبته في خدمة آداب اللغة

(*) طبعت هذه الطبقات بعناية يوسف هل سنة ١٩١٣ وطبعت أخيراً بدار المعارف طبعة محققة بقلم محمود محمد شاكر

(**) الطبقة الثانية في طبعة دار المعارف هي أوس بن حجر وبشر بن أبي خازم وكعب بن زهير والحطيئة

(***) الرابع في الطبعة السابقة هو عنتره . أنظر ص ١٢٨

وجعل الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخلط وغيرهم

الثانية : البعث والقطامي وكثير وذو الرمة

الثالثة : كعب بن جعيل وعمرو بن احمر وسحيم بن وثيل واوس بن مفرء

الرابعة : نهشل وحמיד بن تور والاشهب وعمر بن لجأ

الخامسة : أبو زبيد الطائي والعجير السلولى وعبد الله بن همام ونفيع ابن لقيط

السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدى بن الرقاع

الثامنة : عقيل بن علفة المرى وبشامة بن الفدير وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش

التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلي وأبو النجم والعجاج ورؤبة ابنه

العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وأبوداود الرؤاسي والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاصل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتابا في بيوتات العرب وآخر في ملح الاشعار

وتجد أخباره في طبقات الادباء ٢١٦ ، والفهرست ١١٣ (*)

٦ - ابن أبي الخطاب

صاحب جمهرة أشعار العرب

اسمه أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته (***) ، ولكن يظهر أنه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة . . . وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه « جمهرة اشعار العرب » في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا على طبقات الشعراء في الجزء الاول ، والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ ، وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن وأقوال الشعراء ، وفي الشعر والشعراء وأقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

(*) وانتظر في ترجمه ابن سلام تاريخ بعدد ج ٥ ص ٢٢٧ وطبقات الزبيدي ص ١٢٧ واللباب ج ١ ص ٢٣٦ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٨٢ ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي (طبعة أبي الفضل ابراهيم) ص ١٠٨ وانباء الرواة ج ٣ ص ١٤٣ وبغية الوعاة ص ٤٧ والانساب للسمعاني ١٣٤ ب وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٥٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٨٥ ومعجم الادباء ج ٨ ص ٢٠٤

(**) لم يدرج اسم أبي الخطاب القرشي بين الرواة الاقدمين ، ويغلب على الظن أنه كان يعيش في القرن الرابع الهجري ، فقد ذكره ابن رشيقي المتوفى بمنتصف القرن الخامس الهجري في كتابه « العمدة في صناعة الشعر ونقده » . ويتضح من المقدمة التي وضعها بين يدي كتابة « الجمهرة » أن بينه وبين القرن الثاني نحو جيلين من الرواة

ما هو مدى صدق الرواة واصطناع الاشعار (*)

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل الينا على أيدي الرواة الذين ذكرناهم ، فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم ، فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون في روايتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة ، وان كان ما وصل الينا من اشعار الجاهلية لا يخلو من المنسوب لغير أصحابه . ولذلك سببان : يتصل أحدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة ، والثاني يتصل بالرواة أنفسهم . فالعرب لما قام الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم ، فلما انتقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقتضت سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم . كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه ، فأخذ أبناء الشعراء أو بعض أهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ، ولم يكن يخفى ذلك على أهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمر ابن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة ، فأثاه بعض الرواة وسأله عن شعر أبيه فلم يرو بعضه حتى أدركوا المصنوع منه (١) لكن كثيرا من الاشعار تنسب لغير أصحابها اعتباطا لتشابه القافية والوزن والمعنى ، فكثير من اشعار كثير تنسب لمجنون ليلي . وكذلك سائر العشاق تتشابه اشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها وأوزانها اختلطت وصعب تمييزها كقصيدة ابن الحدادية اليائية التي مطلعها :

سقى الله اطلالا لنعم ترادفت بهن النوى حيث حللنا المظاليا
فان بعضهم يدخل أبياتا منها في قصيدة مجنون ليلي (٢) التي مطلعها :
تذكرت ليلي والسنين الخوالي وأيام لا أعدي على الدهر عاديا
وقس على ذلك وأمثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعرا أو أربعين

تعهد الانتحال

والرواة يتفاوتون ثقة . فمنهم الثقة المحقق ، ومنهم من يتعجل في التصديق ، وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء ، فينظم الابيات على لسان

(*) ناقش طه حسين في كتابه « في الادب الجاهلي » الانتحال في الشعر الجاهلي مناقشة واسعة . ومن كتب في هذا الموضوع مرجليوث ، فقد نشر بمجلة الجمعية الملكية الاسيوية (عدد يوليو سنة ١٩٢٥) مقالا في اصول الشعر العربي زعم فيه ان الشعر الجاهلي لم ينظم في عصره ، انما نظم في العصور التالية . وعلى النقيض منه عنى كيال في مقدمته للمفضليات وديوان عبيد بن الابرص بتصحيح هذا الشعر وتوثيق نسبه الى عصره . وأنظر مصادر الشعر الجاهلي (طبع دار المعارف) لناصر الدين الاسد

بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالى أو غرض آخر. وأشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما ، وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت . فكان حماد كثيرا ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم ، يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أو سيادة في عصره . . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسرى ، وكان خالد شديد العصبية لقومه من اليمنية على القيسية . فنظم حماد أبياتا ينسبها الى ابن الحدادية ، يمدح بها أسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسرى المذكور وأسد بن كرز أبو جده . فأورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه أصابوا دما في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على أسد بن كرز ، فأواهم وأحسن اليهم ، وذكر أن ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها ، الى آخر الحديث (١) ، ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذى تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعا في المال . قال ابن الكلبي : « أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كرز ، وكانت أمة بغيا لبنى أسد يقال لها زينب . . فقلت له هي زينب بنت عريرة بن خزيمة بن نصر بن قعين ، فسر بذلك ووصلني » (٢)

وقد شهد المفضل الضبى وهو معاصر لحماذ أيضا قال : « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا » فقليل له : « وكيف ذلك أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ » قال : « ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد وأين ذلك »

وقد بلغ قول الضبى الخليفة المهدي فأكد له بالامتحان بين يديه ، فاعترف حماد بأبيات زادها في أشعار زهير بن أبى سلمى . فأمر المهدي بإبطال روايته لانه يدخل بأشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الأحمر كان يفعل فعل حماد ، وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها غير أصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من أشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعرا مجيدا فينظم القصائد الجيدة ويدخلها في دواوين الشعراء ، ويقال انه صاحب القصيدة المنسوبة للشنفرى التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى أهل سواكم لأمنيل

وقال أبو حاتم كان خلف الأحمر شاعرا ، وقد وضع على عبد القيس شعرا مصنوعا عبثا منه . وأدخل أيضا على غيرهم من القبائل أبياتا وقصائد ، وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان تمكنه

من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذى يضعه له . وتنسك في أواخر أيامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوما الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعملهم وعرفهم بالاشعار التى قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا : « أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة » ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقى بن القطامى ، سئل ابن القطامى : « ماذا كانت العرب تقول في صلاتها على موتاهها ؟ » فقال : « لا أدري » ف قيل له : « اكذب ؟ » فقال : « كانوا يقولون رويدك حتى تبخت الخلق باغته » فشاع ذلك وتحدثوا به (٢) . حتى الرواة الثقات كالاصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ، قد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين . . ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب . وقد قال محمد بن سلام الجمحى : « في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرا به » (٣)

على ان المحققين في العصر العباسى الثانى كآبى الفرج الاصبهانى وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر ، بينوا أماكن الضعف فى كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطا (٤) فى الاسناد والاخذ والتحقيق لا محل لها هنا . وانتقد محمد بن سلام شيئا من ذلك فى مقدمة طبقاته

ولابى القاسم عمر بن حمزة البصرى المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب فى انتقاد الرواة سماه « التنبيهات على أغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التى وقعت فى نوادر أبى زياد الكلابى ، ونوادر أبى عمرو الشيبانى ، وكتاب النبات لآبى حنيفة الدينورى ، والكامل للمبرد ، والفصيح لثعلب ، والغريب للقاسم بن سلام ، واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفى المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب واذ فرغنا من الكلام على الرواية بأنواعها وهى أصل علم الادب ، فلننتقل الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللفظ . . فان أصحابهما كانوا فى الاصل من جملة الرواة ، ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذاك

(٣) الزهر ٨٥ ج ١

(٤) الزهر ٧١ ج ١

(١) الزهر ٢٠٣ ج ٢

(٢) الزهر ٨٥ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب ، لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة . . فوضعه أبو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي ، وقد نضج وصار علما في أيام العباسيين على أيدي أدباء البصرة والكوفة . وأهل البصرة أسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو وألفوا فيه . ومنهم أبو الاسود واضعه ، وابن أبي اسحق الحضرمي أول من علله ، وعيسى بن عمر الثقفي أول من ألف فيه ، وهارون بن موسى أول من ضبطه ، وسيبويه أول من أجاد في تأليفه . ثم قلدهم الكوفيون ، وخالفوهم في بعض قوانينه ، وقامت المناظرة بين البلدين ، وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور (*) . وأهل البصرة أرسخ قدما وأوسع علما وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية ، فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم ويفضلونهم على نحويي البصرة ويختارون منهم أساتذة لاولادهم ، فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من أهل الكوفة وقد علموا أبناء الخلفاء ، ولولا الغرض السياسي ما كان لهم ذكر . وتحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي (**) بشأن النحلة والزنبور ، وهي أشهر من أن تذكر (١)

أول من علله

فالبصريون أصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك أبو الاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الأدباء أو القراء . . فكان أبرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري ، فأقبل

(*) أنظر في مذهبي البصريين والكوفيين كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ومقدمة فيل weil له ، وهي مقدمة نفيسة ، وراجع ضحي الاسلام ، الجزء الثاني

(**) لم تكن هذه المناظرة في مجلس الامين ، انما كانت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي كما سيجيء

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ - ٣

الناس يطلبون النحو على يده ، فتفقه عليه جماعة كان أبرعهم ميمون الاقرن (١) ، فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقينا بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من علله ، أي ذكر أسباب اعرابه ، عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ ، والغالب في اعتقادنا ان تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن بصدده

اول من ضبط قواعده وألف فيه (*)

أما ضبط قواعده فأول من أقدم عليه هارون بن موسى ، وهو يهودي من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . وأول من ألف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان فصيحاً يتقعر في كلامه ، فيقال انه ألف كتابين أحدهما الجامع والآخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما أحد (٢)

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب ، الا ان بعضهم كان يميل الى النحو أكثر من سواه وربما دخل في جملة ما يكتبه في الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض . . فقد أتى على أشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في أمثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كأبي عمرو ابن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه ، كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ هـ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء . . وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلقي فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب ، فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى ألف فيه سيبويه كتابه المشهور . وهالك أشهر نحاة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو في العصر العباسي الاول

١ - سيبويه

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالى ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، مولى بني الحارث ابن كعب . وسيبويه بالفارسية معناه رائحة التفاح . نشأ في البصرة وطلب الآثار والفقه ، ثم طلب النحو وأخذ عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر

(١) طبقات الادباء ١٦

(*) أنظر في نشأة النحو العربي وأهم من وضعوا قواعده وعلله، ضحى الاسلام الجزء الثاني

(٢) طبقات الادباء ٢٨

حتى برع فيه ، وألف كتابه الذي لم يسبقه أحد الى مثله ، ونسب فيه الى كل من أساتذته أقواله واعتمد على أبي زيد الانصارى وكان يسميه الثقة . . فكان لذلك وقع جميل عند أهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى التهادى به . واشتهر حتى أصبح قائلهم اذا قال : « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعنى كتاب سيبويه . وكان أبو العباس المبرد اذا أراد احد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ، يقول له : « هل ركب البحر ؟ » تعظيما للكتاب واستصعابا لما فيه . وقال أبو عثمان المازنى : « من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعسد كتاب سيبويه فليستح » . وأخذ العلم عنه جماعة من المشاهير أشهرهم أبو الحسن الاخفش وكان أكبر سنا منه ، وقطرب وكانت له معها ومع سواهما مناظرات

وكان أهل الكوفة فى أثناء ذلك قد عنوا بالنحو ، فأخذوه عن أهل البصرة واشتغلوا فيه . . فنبغ معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ ، وأبو جعفر الرؤاسى ابن أخى معاذ ، فوضع كتابا فى النحو ، وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين ، والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

أما كتاب سيبويه فانه باق ، ومنه عدة نسخ خطية فى المكتبة الخديوية وغيرها ، وقد طبع فى باريس سنة ١٨٨٣ - ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج فى مجلدين كبيرين ، فى ١٠٠٠ صفحة كبيرة ، علق عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنسية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ ، وفى كلكتا ١٨٨٧ . وقد نقله الى الألمانية الدكتور ياهن ، وطبع فى برلين سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٨ ، وفى الكتاب ٧٢ فصلا ، يحتوى الجزء الاول منه على الكلم وأقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحوال والظرف والجبر والبدال والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدأ والخبر والاسماء التى بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفى بلا والاستثناء وباب لكل حرف من أحرف الجبر . وفى الجزء الثانى ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصود والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيادات والوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من ألفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . وهو على غير الترتيب المألوف عندنا ، لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثال للأبنية حتى قالوا أصل الكتب المؤلفة فى النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لانتقاد كتاب سيبويه منهم المبرد (١) . وقد ألف أبو بكر الزبيدى كتابا سماه كتاب الاستدراك على كتاب سيبويه ، انتقد فيه مواد هامة ، طبع فى روما سنة ١٨٩٠ بعناية الاستاذ جويديى المستشرق الايطالى . وقد شرح الكتاب السيرافى ، ومن هذا الشرح بضع نسخ فى

المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير
وأخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٧١ ،
والفهرست ٥١ ، والدميري ١٢٤ ج ٢ (*)

٢ - معاذ الهراء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو أبو مسلم عم أبي جعفر الرؤاسي من أساتذة الكسائي الآتي ذكره ،
ولم يخلف مؤلفا وإنما ذكرناه لانه أول من وضع التصريف
وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج ٢ ، وطبقات الادباء ٦٤ ، والفهرست
٦٥ (**)

٣ - الكسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أشهر نحاة الكوفة ، واسمه على بن حمزة ، مولى بني أسد ، وأصله
من فارس. أخذ النحو عن أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما .
وخرج الى البصرة ولقى الخليل بن أحمد ، فأخذ عنه وعشق النحو . وهو
من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم أبناءهم ،
وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرض بسيبويه وكتابه حتى كانت
مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائي ، وجمع
الرجلين فتناظرا في حضرته ، وشهد بدوى بصحة رأى سيبويه لكن الامير
تعصب لمعلمه حتى اضطر سيبويه الى الفرار في حديث طويل (***) .
وألف الكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم
يصلنا منها الا رسالة في لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين ، وقد
طبعت في برسلاو

(*) وراجع ترجمة سيبويه في أخبار النحويين البصريين ص ٤٨ وأنباء الرواة ج ٢ ص ٣٤٦
وبغية الوعاة ص ٣٦٦ وطبقات الزبيدي ص ٣٨ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ١١٤
وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ٢٠٦ وطبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٦٠٢ والفلاحة
والمفلوكين ص ٨٣ ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٤٨ والمزهر للسيوطي « طبعة الحلبي » الجزء الثاني
في مواضع منفرقة وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٢ وتهذيب اللغة للزهري ج ١ ص ٩ وروضات
الحنات ص ٥٠٣ وتاج العروس ج ١ ص ٣٠٥ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٩٥ وكتب التاريخ في
سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر في معاذ أنباء الرواة ج ٣ ص ٢٨٨ وبغية الوعاة ص ٣٩٣ وشذرات الذهب
ج ٢ ص ٣١٦ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ٢٤٨ ومرآة الجنان ج ١ ص ٤٠٣ وطبقات
الزبيدي ص ٨٧ والمزهر ج ٢ ص ٤٠٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ وكتب التاريخ في سنة وفاته
(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

(***) إنما كانت هذه المناظرة في مجلس يحيى بن خالد البرمكي اذ اختلف سيبويه
والكسائي في قول العرب : « كنت أظن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو هي أو فاذا هو
اياها » . والكر سيبويه التعبير الثاني وصححه الكسائي وشهد له العرب الثقات ، فغلب على
صاحبه . والمناظرة مبسوبة في ترجمتهما بكتب طبقات النحاة وفي المغني لابن هشام باب « اذا »

وأخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٨١ ، والفهرست ٢٩ و ٦٥ (*)

واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثيرون ، وأبو الحسن الاخفش ، وأبو عمر الجرمي ، وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصارا لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضير وابن السكيت وهاك أشهرهم :

٤ - الفراء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي ، من موالى بني أسد في الكوفة وأخذ عن الكسائي ، وكان اماما ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب واتباع ومريدون . قال أبو العباس : « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » وقال أبو بكر بن الانباري : « لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء ، لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة ، فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنه النحو واقترح عليه أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جوارى وخداما للقيام بما يحتاج اليه وسير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب « الحدود » في سنتين ، ثم خرج للناس وأملى كتاب « المعاني » فحزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما أبوا اخراج كتابه أخذ يملى كتابا آخر في المعاني أطول وأوسع ، فخاف الوراقون فرضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ، ثم اصطالحا على أن يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له ذلك ، فقال : « لقد أردت منعهما ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما »

(*) وراجع في ترجمة الكسائي الانساب للسمعاني ٤٨٢ أ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٣ وتهذيب اللغة للازهري ج ١ ص ٧ وروضات الجنات ٤٧١ وأنباء الرواة ج ٢ ص ٢٥٦ وبغية الوعاة ص ٣٣٦ وطبقات الزبيدي ص ٨٨ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ١٤٧ وطبقات الفراء ج ١ ص ٥٣٥ واللباب ج ٣ ص ٤٠ ومرآة الجنان ج ١ ص ٤٢١ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ١٣ ص ١٦٧ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٢١ وكتب التاريخ في سنة وفاته (١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

ولم يكن الفراء مقتصرًا في معرفته على النحو ، فانه كان ماهرا في النجوم والطب وأيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة أى ٦٠٠٠ صفحة ، كان يملئها على تلامذته بدون كتاب لانه كان قوى الحافظة . وكان أكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره ، فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة وأقام بها ٤٠ يوما يفرق ما جمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ ، وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو واللغة لم يصلنا منها الا :

١ - كتاب معانى القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية (*)

٢ - بلغنا أن في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم : أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز ، وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات ، وغيرهما . وأكثرهم ألفوا في النحو وضاعت كتبهم

وتجد أخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٢٦ ، والفهرست ٦٦ (**)

٥ - ابن السكيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر ، أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . أخذ النحو عن أبى عمرو الشيباني ، والفراء ، وابن الاعرابي ، الآتى ذكره بين اللغويين . ولقى الاعراب وأخذ عنهم ، وعلم عبدالله بن طاهر وغيره ، وغضب عليه المتوكل في آخر أيامه لجرأته في الدفاع عن على بن أبى طالب وآله . . . وذلك أن المتوكل سأله يوما وهو يعلم ابنه : « يا يعقوب ايها أحب اليك ابنائى هذان أم الحسن والحسين ؟ » فأجابه : « أن قنبرا خادما على خير منك ومن ابنك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفا في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ - كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا والاستانة وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في مصر سنة ١٩٠٧

٢ - كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو ، يبحث

(*) تنشر دار الكتب المصرية الان هذا الكتاب ، وقد ظهر منه الجزء الاول (***) وانظر في ترجمة الفراء كتب طبقات النحاة المختلفة وطبقات القراء ومعجم الادباء ج ٢٠ ص ٩ وشذرات الذهب لابن العماد الجزء الثاني وتهذيب التهذيب ، الجزء الحادى عشر ، ودائرة المعارف الاسلامية

في أحوال الألفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية في مكتبتى باريس ولندن .
وقد طبع في بيروت بعناية الأب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع
شروح للتبريزي ، وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر
تهذيب الألفاظ

وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ ، وطبقات الأدباء ٣٢٨ ، والفهرست
٧٢ (*)

فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الأدب ،
فانه كان لا يزال مشتتا مضطربا وسينضج في العصور الآتية . وكذلك علم
اللغة كما سنبينه في مكانه

(*) راجع في ابن السكيت بغية الوعاة للسبوطي وطبقات الزبيدي ص ٢٢١ ومعجم الأدباء
ج ٢٠ ص ٥٠ وكتب التاريخ في سنة وفاته ودائرة المعارف الإسلامية

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

نريد بعلم اللغة الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها ، وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ، ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما ألفه الادباء من الكتب في ألفاظ الموضوعات الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ، ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الازهان من قراءة أسمائها انها كتب في علم الحيوان أو التشريح ، ولكنها كتب لغوية يحوى كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ، ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من أماكنه ، اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثرونها بين أيديهم في هذه الموضوعات كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خاصته ومسامريه فقال : « أيكم يأتيني بحروف المعجم في بـدنه وله على ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال : « انا لها ياأمير المؤمنين » فقال : « ما عندك ؟ » قال : « أنف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غيبة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين انا أقولها في جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « اما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم انا أقولها ثلاثا » فقال له : « لك ما تتمنى » فقال : « أنف . أسنان . أذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . ثمرة . تينة . ثغر . ثنايا . ثدى . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرّة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . صغيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق

عائق . غيبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم .
 قفا . كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب .
 منخر . نفنوخ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة .
 ورك . يمين . يسار . يافوخ . ثم نهض مسرعا وقبل الارض بين يدي
 عبد الملك . فقال : « والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى » ثم أجازته وأنعم
 عليه وبالع في الاحسان اليه

أوليات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ ألفاظ اللغة ، وحمل الآخرين
 على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . . فكتاب النخل
 والكرم مثلا لا يبحث في طبائع النخل والكرم ومعالجتهما أو زراعتهما ،
 وإنما هو يبحث في أسماء أنواعهما وأغصانهما وما يتعلق بهما من اسم أو
 فعل . وهالك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :

« من صفار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودى والهرء
 والفسيل ، وإذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من
 خسيس النخل والعرب تسميها الراكب . فإذا قلعت الودية من أمها بكربها
 قبل ودية منعلة . فإذا غرسها حفر لها بئرا فغرسها ثم كبس حولها بترنوق
 المسيل والدمن ، فتلك البئر هي الفقير يقال : فقرنا للودية فقيرا ، والأشياء
 من صفار النخل

« ومن نعوت سعفها وكربها وقلبها يقال للفسيلة إذا أخرجت قلبها قد
 انسفت . ويقال للسعفات اللواتي يلين القلب « العواهن » في لغة أهل
 الحجاز . أما أهل نجد فيسمونها « الخوافي » وأصول السعف الفلاظ
 الكرائيف الواحدة كرنافة . والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي
 الكربة وشحمة النخلة هي الجمار . فإذا صار للفسيلة جذع قيل قد
 قعدت وفي أرض بنى فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند
 أهل الحجاز وأحدثه جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب الليف
 وأحدثه خلبة . . . » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل
 على أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى . فهي من قبيل
 المعاجم المعنوية التي تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تميزا لها عن
 المعجمات اللفظية التي تجتمع فيها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب
 الأبجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبي ، والمخصص لابن
 سيده ، وهي أتم مما فعله الاصمعي وأترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد
 بها وسيأتي ذكرها في مكانها . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر
 والكرم وخلق الانسان وأشباهاها من كتب النوادر والأمثال والاضداد

واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ، ونحوها ،
عول واضبعو المعجمات في ضبط الالفاظ ومعانيها فضلا عن تحريهم للمفردات
عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة في العصر العباسي الاول :

١ - الخليل بن أحمد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي ، سيد
أهل الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه . وكان
من تلامذة أبي عمرو بن العلاء ، وعنه أخذ سيبويه . وعامة الحكاية في
كتاب سيبويه عن الخليل ، وكلما قال سيبويه « سألته » أو « قال » من
غير أن يذكر القائل فهو يعني الخليل . وأخذ عنه أيضا النضر بن شميل ،
ومؤرج السدوسي ، وعلى بن نصر ، وغيرهم

وقد علمت انه أول من ضبط اللغة ، وهو أيضا أول من استخراج علم
العروض الى الوجود ، وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥
بحرا . ثم زاد فيه الاخفش بحرا سماه الخبب . وقد ضبط أوزان الشعر
ووقعها على المقاطع والحركات ، واستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي
الساعات في حجرته وهو يوقع بأصابعه ويحركها . . . روي ان ابنه دخل
عليه مرة وهو في هذه الحال فظن أنه أصيب بالجنون فقال له الخليل :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك

وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا ، وذكروا ان سليمان بن
علي وجه اليه من الاهواز لتأديب ولده ، فأخرج الخليل الى رسول سليمان
خبزا يابسا وقال : « كل ، فما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لي
الى سليمان » فقال الرسول : « فما أبلغه » فقال :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
سختي بنفسى أني لا أرى أحدا يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذلك الغنى في النفس والمال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

وأهم مؤلفاته كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل الاصمعي وسيبويه وسواهما من الادباء والنحاة .. فله فيها كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفا في أيامه من الفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على حروف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفيتين ، وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه (※) : ع ح ه ح غ ق ك ش ص ض س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي . فكان الخليل حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية ، فانهم يبدأون بأحرف الحلق وينتهون بالأحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من الفاظه ، ككتاب الجيم للهرودي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (١) ، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ، ومثلهما كتاب الفين ، وكتاب الميم ، ويستفاد من ترتيب الحروف في كتاب العين أن الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة في أيامه ، فقد نقل عنه السيوطي انه احصى فيه عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، فبلغ ١٢٤١٢ ر ٣٠٥ كلمة ، ولعله أراد ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها ، فكانت نتيجة درسه أن عدد الالفاظ العربية ٦٠٠ ر ٦٩٩ لفظ لا يستعمل منها الا ٦٢٠ ر ٦٢٠ لفظا والباقي وهو ٦٨٠ ر ٦٩٣ لفظا مهملا . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ	المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	٤٨٩	١٦١
١٩٦٥٠	٤٢٦٩	١٥٣٨١
٣٣٤٠٠	٨٢٠	٣٠٢٥٨٠
٦٠٠ ر ٣٧٥	٤٢	٦٠٠ ر ٣٧٥
٦٤٢٩٤٠٠	٥٦٢٠	٦٨٠ ر ٦٩٣

(※) نقل المؤلف هذا الترتيب السنسكريتي الذي يظن أن الخليل تأثر به في ترتيب معجمه اذ رتبه على حروف الحلق . غير أن هذا الترتيب يخالف من بعض الوجوه الترتيب الذي ذكره ابن منظور لكتاب العين في مقدمته للسان العرب، ولعل الخليل أحدث في الترتيب الذي أخذه به نحاة السنسكريتية بعض الاختلاف

ومن النظر الى هذا الجدول ، يتبين لك أن الزبيدي عنى بعدد الفاظ اللفة ما عناه الخليل وإن كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذاك ، فانك تجد أكثرها مهملا .. فهو يريد بالمهمل الالفاظ التى يمكن أن تتركب من الحروف الهجائية كما تقدم لا التى تركبت واستخدمها الناس زمانا ثم أهملت لسبب من الاسباب (*)

ولم يصل إلينا من كتاب العين الا قطع قليلة والا ما نقل عنه فى كتب اللغة كالمزهر للسيوطى وكتاب النحو لسيبويه . ولم ينبغ نحوى ولا لغوى ولا أديب فى عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون فى حقيقة نسبته إليه ، وفى صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم فى الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع فى البصرة كتاب العين سنة ثمانى وأربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان فى ثمانية وأربعين جزءا ، فباعه بخمسين دينارا وكان قد سمع بهذا الكتاب وانه فى خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان ، فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روى فى شيء من الاخبار انه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صاحب الخليل مدة يسيرة ، وان الخليل عمله له وأخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطى آراء القوم فى أصله وحجج القادحين ، فلتراجع فى المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب فى سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما واتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل .. وكل سبق محسود . فلا خلاف فى فضله على الاطلاق ، وهب أنه لم يتم الكتاب فى حياته فله الفضل فى تبويبه والشروع فيه

وأكثر ما جاء فى الكتاب من قواعد النحو على مذهب الكوفيين مع ان الخليل بصرى .. فخالف ما جاء فى كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن فى الكتاب ، وانه ليس لل خليل . ويرى الاكثرون انه له ، وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . وقد ألف فى انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة ، وعبدالله بن محمد الكرمانى ، وابن دريد ، وغيرهم . وقد اختصره أبو بكر الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ اختصارا لطيفا ، وشاع مختصره وأقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده أبو على القالى فى البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدى حذفه الشواهد

(*) واضح من هذا الجدول الذى ساقه المؤلف عن الزبيدى أن به ضربا من الاختلال ، إذ لا يعقل أن يكون المستعمل من العربية نحو خمسة آلاف لفظة ، بينما المعروف أن القاموس المحيط يشتمل على نحو ٦٠ ألف مادة ، وفى كل مادة من الزيدات والمشتقات نحو عشرين لفظة (١) الفهرست ٤٢

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب ، وللخليل فضل كبير في وضعه . وللأسف ضاع ، وقد كان موجودا حتى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكتبات الخاصة

أما مختصره للزبيدي ، فمنه نسخة خطية في مكتبة برلين ، وأخرى في الاسكوريال باسبانيا ، وكذلك في مدريد ، وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة وذكر له ابن النديم من المؤلفات أيضا كتاب النغم ، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في أوربا مما ينسب الى الخليل :

- ١ - كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
 - ٢ - شرح حروف الخليل في مكتبة برلين قطعة منه
 - ٣ - جملة آلات العرب في مكتبة أيا صوفيا بالاستانة
 - ٤ - قطعة من كلام عن أصل الفعل في مكتبة اكسفورد (بودليان)
- وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ ، وطبقات الادباء ٥٤ ، والفهرست ٤٢ ، وابن خلدون ٤٨٢ ج ١ (*)

٢ - مؤرج السدوسي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسي ، كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبي زيد الأنصاري وصحب الخليل بن أحمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية ، قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية . وأول ما تعلم ذلك في حلقة أبي زيد ، وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعرا . وصحب المأمون من العراق الى خراسان ، وسكن مدينة مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشايخها وله من المؤلفات كتاب الانواء ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب جماهير القبائل ، وكتاب المعاني ، وغيرها لم يصلنا منها شيء وتجد أخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٧٩ (**)

(*) وراجع في ترجمة الخليل أخبار النحويين البصريين ص ٣٨ والانساب ٤٢١ ١ وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٦٣ وتهذيب اللغة للزهري ج ١ ص ٤ وروضات الجنات ص ٢٧٢ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٧٥ وطبقات الزبيدي ص ٢٢ وأنباء الرواة ج ١ ص ٢٤١ والفلاكة والمفلوكين ص ٦٩ وطبقات الشعراء لابن الجوزي ج ١ ص ٢٧٥ واللباب ج ٢ ص ٢٠١ ومروءة الجنان ج ١ ص ٣٦٢ والمعارف ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٧٢ والمزهر للسيوطي ج ٢ ص ٤٠١ ومراتب النحويين ص ٤٣ وطبقات ابن قاضي شهاب ج ١ ص ٣٣٥ وشرح مقامات الحريري للشريشي ج ٢ ص ٢٤٦ وكتب التاريخ في سنة وفاته وتهذيب الاسماء للنووي « طبعة وستنفلد » ص ٢٣٠ وخلاصة تهذيب الكمال ص ٩١ ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر في ترجمة مؤرج اخبار النحويين البصريين ص ٥٢ وبغية الوعاة ص ٤٠٠ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٨ وطبقات الزبيدي ص ٤٧ وطبقات ابن قاضي شهاب ج ٢ ص ٢٦١ ومراتب النحويين ص ١٠٧ والمعارف ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٩٦ وأنباء الرواة ج ٣ ص ٣٢٧

٣ - النضر بن شميل

توفي سنة ٢٠٣ هـ

هو أبو الحسن النضر بن شميل التميمي البصري ، من تلامذة الخليل . . أخذ عنه وعن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وأبي الدقيش ، وأقام في البادية أربعين سنة في هذا السبيل . وعنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام الآتي ذكره . وبعد أن أقام في البصرة مدة ضاق به الرزق ، فنزح عنها إلى خراسان فأصاب بها مالا عظيما . وكانت اقامته في مرو ، وله مع المأمون في أثناء اقامته هناك حكايات ونوادر لأنه كان يجالسه ، وله عدة كتب ذهب خبرها ، عدا كتاب غريب الحديث ، أخذ الثعالبي عنه وأخباره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١١٠ ، وفهرست ٥٢ (*)

٤ - قطرب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي ، كان من كبار علماء اللغة . . أخذ عن سيبويه وجماعة من أهل البصرة ، وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

١ - كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ - ما خالف فيه الانسان البهيمية : طبع في فينا سنة ١٨٨٨ م

٣ - كتاب الأزمنة : في المتحف البريطاني

٤ - مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتا تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل سهام وسهام ، ولكل منها معنى وهو أول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب لندن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في أكثر مكاتب أوربا الكبرى (***)

(*) وراجع في ترجمة النضر طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٩ ومراتب النحويين ص ١٠٧ والعارف ص ٢٣٦ وبغية الوعاة ص ٤٠٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ٣٤٨ والفلاكة والمفلوكين ص ٦٤ وطبقات القراء ج ١ ص ٢٤١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ٢ ص ٢٧٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٣٧ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٤٤ والمسزهر ج ٢ ص ٤٠٥ وكتب التاريخ في سنة وفاته

(**) انظر في ترجمة قطرب اخبار النحويين البصريين ص ٤٩ وطبقات الزبيدي ص ٦٩ ومراتب النحويين ص ١٠٨ وبغية الوعاة ص ١٠٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢١٩ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٩٨ وتهذيب اللغة للازهري ج ١ ص ١٤ وروضات الجنات ص ٥٩٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٥ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ١٢٦ ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٧٨ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٠٠ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٥٢ وكتب التاريخ في سنة وفاته

٥ - ابن الاعرابي

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن زياد من موالى بنى هاشم ، وكان من اكابر ائمة اللغة بالكوفة . ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته ، وكان ربيبا للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب ، وطريقته طريقة الفقهاء والعلماء ، وله من الكتب الباقية الى الان :

١ - كتاب أسماء البئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية ، وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكرى الالوسى

٢ كتاب أسماء الخيل وأنسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٠٧ ، والفهرست ٦٩ (*)

(*) وراجع ترجمة ابن الاعرابي في طبقات الزبيدي ص ١٣٥ ومراتب النحويين ص ١٤٩ وبغية الوعاة ص ٤٢ وانباء الرواة ٣ ص ١٢٨ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢ وتهذيب اللغاة للارهرى ج ١ ص ٩ وروضات الجنات ص ٥٩٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٦ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ٢ ص ٥٠ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١٨٩ والمزهر ج ٢ ص ٤١١ ، ٤٦٤ وكتب التاريخ في سنة وفاته

الإنشاء والمنشآت

الإنشاء من فنون الأدب ، وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر صدر الإسلام والامويين . ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالها من المدنية أو الجاهلية ، ومن الحضارة أو البداوة . والعرب على اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر ، واللغة أكبر مساعد على ذلك .

كان الإنشاء في صدر الإسلام مقصورا على مكاتبة الخلفاء وأمراءهم وقوادهم ، أو مع سواهم في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض . فلما صار الإسلام دولة ، تفرعت الكتابة إلى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها . فصارت الكتابة خمسة أنواع ذكرناها في الجزء الأول من تاريخ التمدن الإسلامي . وأهمها بالنظر إلى الإنشاء والبلاغة ، كتابة الرسائل . وصاحبها يسمى كاتب السر ، وهو يد الخليفة ومستودع أسرارهم . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية ، آخرهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم

فلما صارت الدولة إلى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة ، وانتقل كرسى الخلافة وتنوعت أغراض الخلفاء - كما بينا ذلك في مكانه - أصاب الإنشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب . وأهم ظواهره الاستبحار في المدنية والأغراق في الحضارة بالنظر إلى الدولة الاموية . وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين ، كما ظهر في قرائح الشعراء

أول ثمار الرخاء

فالإنشاء في صدر الدولة العباسية أخذ في النزوع إلى ثمار الرخاء والترف ، وأهمها التطويل والاطناب . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تانقا في العبارة ، ونزوعا عن أسلوب البلاء في صدر الإسلام وفي العصر الاموي وأخذوا يضمنون رسائلهم الاشعار والأمثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الأول شيء من الاطراء والتفخيم ، وخصوصا فيما كانوا يكتبونه إلى الأمراء يستعطفونهم أو يطلبون نوالهم ، كما فعل إبراهيم بن سيابة في رسالة كتبها إلى يحيى بن خالد بن برمك توخى فيها التسجييع فضلا عن الاطراء فقال في مطلعها (*) :

(*) الغريب في القطعة التالية :

الاصيد : السيد ، الواري الزناد : الكريم ، الطاحل : ذو المروة

« للأصيد الجواد ، الوارى الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ،
 الأشم البازل ، اللباب الحلاحل ، من المستكين المستجير ، اليأس
 الضّير ، فإنى أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ،
 بالرحمة العامة ، والبركة التامة .. أما بعد ، فاغنم واسلم ، واعلم إن كنت
 لا تعلم ، أن من يرّحم يرّحم ، ومن يحرم يحرم ، ومن يحسن يغنم ،
 ومن يصنع المعروف لا يعدم . وقد سبق إلى تغضبك على ، واطراحك لى
 وغفلتك عنى بما لا أقوم له ولا أقعد ، ولا أتتبه ولا أرقد ، فلست بحىّ
 صحيح ، ولا بميت مستريح ، فررت بعد الله منك إليك ، وتحملت بك
 عليك » .. إلى آخر الرسالة

وهى كما ترى أشبه بما صار إليه الانشاء فى أواسط الدولة العباسية .
 ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر
 لشككنا فى صحتها . فالظاهر أن ابن سيابة بالغ فى تنميق عبارته حتى
 خرج عن الأسلوب المألوف فى عصره ، فأعظم الناس اقتداره وعملوا على
 حفظ أقواله فقد ذكر الجاحظ أن البغداديين ، حتى عامتهم ، كانوا
 يحفظون هذه الرسالة فى تلك الأيام . ولا يصح أن تعد مثالا لأسلوب ذلك
 العصر ، وإنما امام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى
 ذلك ..

وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين فى الدولة العباسية بتنوع
 العلوم ، فأصبح للفقيه أسلوب وألفاظ وتراكيب .. ومثل ذلك الجندي
 أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب ، لتعود كل منهم على مصطلحات علمه
 وفنه ، كما هو شأننا لهذا العهد ، فان للصحافى أسلوبا خاصا ومثله للمؤلف
 والروائى والعالم والمحامى وغيرهم ، تظهر فيه صبغة المهنة الخاصة بكل
 منهم . ولكن هذه الأساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار
 أصحابها الى تقليد أساليب القرآن وألفاظ العرب العرباء

التوقيعات

وظل الميل الى الإيجاز متغلبا فى نفوس الأدباء ولا سيما فى التوقيع ، ويراد
 به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضحات) . وكان الخلفاء
 فى صدر الإسلام هم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرؤن كتابهم بتدوينه .
 والغالب فى توقيعهم أن يكون اقتباسا من آية أو حديثا أو حكمة مشهورة
 أو من الشعر الحكيم . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن أبى وقاص عامل العراق
 كتب الى عمر بن الخطاب كتابا يستأذنه فيه أن يبنى دارا فوق فى أسفل

الكتاب : « ابن ما يكنك من إلهواجر وأذى المطر » ووقع أيضا لعمر بن العاص عامله على مصر جوابا على كتاب كتبه اليه : « كن لرعيك كما تحب أن يكون لك أميرك » . وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بضرب أعناقهم ، فوقع في ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بنى العباس ، فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الأنبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في بناء ، أمر به ولم يعطوا أثمانها ، فوقع : « هذا بناء أسس على غير تقوى » وأمر باعطائهم الاثمان . وشكا أهل الكوفة الى أبى جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم ، فوقع على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة : « سل الله من رزقه » . وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في أسفله : « استبدل بكاتبك والا استبدل بك » . وكتب صاحب أرمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه ، فوقع في الكتاب : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه إهمال عامله على خراسان ، فوقع على شكواهم : « أنا ساهر وأنت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان : « داو جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخى يوسف ، فيأتيك منه ما لا قبل لك به ، ومن الله أكثر منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوقع على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكى لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله : « لقد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل او اسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضربا من الانشاء نضج في العصر العباسى الاول ، نعنى الانشاء المرسل في تأليف الكتب أو كتابة المقالات الطويلة في الوصف أو الموعظة أو الفلسفة ، وهو غير أسلوب المراسلات . . فان هذا أقرب الى الخطابة أو الشعر منه الى الأسلوب المتناسق الذى يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الأسلوب المرسل الا فى العصر العباسى الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم ، بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الأخرى . وأشهر من فعل ذلك فى العصر المذكور عبدالله ابن المقفع فى نقل كتاب كيلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقا في الفارسية عالما بآدابها متمكنا من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيدا . وقد نشأ في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء ، فبرع في اللغة العربية وآدابها ، وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كيلة ودمنة من الفارسية الى العربية ، جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه في الموضوعات الادبية باللغة العربية

وكتاب كيلة ودمنة أقدم ما وصل اليها من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد ، هو من أدباء الفرس . ونظرا لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره أو ما بعده من كتب الادب ، يغلب على ظننا انه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الاخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قل من جاء بمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه في بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي وما نبغ فيه من علية الكتاب المشاهير ، مما يدل على أن الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : منشئو الرسائل ، ومؤلفو الكتب

منشئو الرسائل (*)

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والأمراء والوزراء والشعراء . واشتهر بانشاء الرسائل في هذا العصر من الأمراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم أبو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر ، وخصوصا طاهر بن الحسين

١ - طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ ، وكان من نوابغ المنشئين ، وله مجموع مراسلات ، ضاع خبرها الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبد الله ، لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما ، أوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب : « ان العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل في ثمانى صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

(*) لم يفصل المؤلف الحديث في كتاب الرسائل الديوانية أثناء العصر العباسي الاول ويمكن الرجوع اليهم في كتاب الوزراء والكتاب للجهمي ، وانظر تطور الاساليب النثرية لانيس الفندسي ، ومن خير الكتب التي تتضمن رسائل هذه الفترة كتاب جمهرة رسائل العرب لاحمد زكي صفوت

٢ - عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفى سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون، كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني . وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد . وقد أثرى في خدمة المأمون حتى قيل انه خلف بعد موته ٨٠٠٠٠٠ درهم ، فقيس ذلك للمأمون ، فقال : « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ، وأحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالا من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١ ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد . وذكر ابن النديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم : غيلان جمعت رسائله في ألف ورقة ، وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لفائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت . ثم ان كتاب ديوان الرسائل أكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلقاء ، كابن عبد الملك الزيات الوزير ، وأبى على البصير وأحمد بن يوسف كاتب المأمون ، وحميد بن مهران كاتب البرامكة ، وابن يزداد وزير المأمون ، وموسى بن عبد الملك ، وميمون بن ابراهيم ، وغيرهم (١)

الكتاب المؤلفون

١ - عبد الله بن المقفع

توفى سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره ، وكان في بادئ أمره مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اختص بالمنصور ، وكتب له حتى قتل (*) وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة ، لكنه خلف آثارا حفظت ذكره قرونا ولا تزال .. أهمها :

كتاب كلیلة ودمنة (**)

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس ، وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرنا لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ، ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندرية وطفى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه ، فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور

(١) فهرست ١١٥ - ١٢٥

(*) هذا سهو من المؤلف فان ابن المقفع لم يكتب للمنصور، انما كتب لعنه عيسى بن علي، وهو الذي أسلم على يديه ، وظل في خدمته الى أن قتله والى البصرة

(**) أنظر في تحقيق هذا الكتاب وترجمة ابن المقفع له وأصوله السنسكريتية وما زيد عليه من فصول مقدمة عبد الوهاب عزام لكلیلة ودمنة طبع دار المعارف ، وراجع دائرة المعارف الإسلامية

على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة.. فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الأرواح . والمظنون أن معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه ..

وترجع موضوعات النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس اليه في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمام ووخامة عاقبة الأشرار ومنافع الأصحاب وعدم جواز الأمن من كيد العدو ومضار الإهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقى العواطف في حكايات ، يتفرع بعضها عن بعض ..

وقد كتب أولا باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ بابا ، ونقل الى لغة التيب ، فاللغة السريانية ، ثم الى الفهلوية أي الفارسية القديمة ، وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وأفاض في التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسون ويتناقلونه ، وكان علماء اللغة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم بعضهم على نقله ثانية ، واشتغل غيره بنظمه شعرا تسهيلا لحفظه ، وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على أن الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا ، وقد تعدلت بتوالي الأزمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ بابا بعضها هندي الأصل والآخر فارسي والآخر عربي

فالأبواب الهندية ١٢ وهي : باب الأسد والثور ، الحمامة المطوقة ، البوم والغربان ، القرد والفيل ، الناسك وابن عرس ، الجرذ والسنور ، الملك والطائرة فنزة ، الاسد وابن آوى ، اللبؤة وبلاذ وبرخت ، السائح والصائغ ، ابن الملك وأصحابه

والفارسية ثلاثة : مقدمة برزويه ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية ، نعني مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلى بن الشاه الفارسي ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن أمر دمنة ، وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطلة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الأصل الهندي والترجمة الفهلوية ، ولم يبق غير العربية ، وعنها أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى السننها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية

واللاتينية والاسبانية والمقلية والانجليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلا ضافيا في الهلال سنة ١٤ ج ٧

وطبع كتاب كليله ودمنة في العربية مرارا من أواخر القرن الثامن عشر الى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الآن من خيرة الكتب في الانشاء ، وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كليله ودمنة

أقدم من نظم هذا الكتاب في العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي، ممن خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان له الفضل في خزانة الحكمة بأيام الرشيد ، وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليله ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب ، فقال : «نقله أيضا عبد الله بن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ ، ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه أجازته بألف دينار » وقد ذكرنا في ترجمة أبان اللاحقي الشاعر انه نظم كليله ودمنة شعرا

ثم نظمته على بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمر . وكل هذه المنظومات ضاعت . ثم نظم ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هـ في كتاب سماه «كتاب نتائج الفطنة في نظم كليله ودمنة» كان منه نسخ مشتتة في الأستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة أخرى عن نسخة أخرى في بعبداء (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الأسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعا لم ينظمها ابن الهبارية ، منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين (١)

ثم نظم ابن مماتي المصري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وضاع نظمهم . وجاء بعده عبد المؤمن بن الحسن من أهل القرن السابع للهجرة فنظمه أو شيئا منه أو كتابا على مثاله سماه « درر الحكم في أمثال الهند والعجم » منها نسخ خطية في فيينا وميونخ ، ثم نظمهم جلال الدين النقاش من أهل القرن التاسع . ومن نظمهم نسخة في مكتبة الالباء اليسوعيين في بيروت ، وأخرى في المتحف البريطاني

وعارض كليله ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره ، فنظم كتابا على مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع ، (٢) ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية أيضا :

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤

(٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

٢ - كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ والفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية مضبوطا بالشكل الكامل بتحقيق أحمد زكى (باشا) كاتب أسرار مجلس النظار ، وقد صدره بمقدمة انتقادية في أسلوب الكتاب ونسبته الى كيلة ودمنة

٣ - كتاب الدرة اليتيمة ويسمى أيضا كتاب الادب الكبير (**) : هي رسائل في النصيح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب القارئ : « وأنا واعظك في أشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقا أن تعلمها وإن لم تخبر عنها ، ولكن أحببت أن أقدم اليك فيها قولا لتروض نفسك على محاسنها قبل أن تجرى على عادة مساويها . فان الانسان قد تبتدر اليه في شببته المساوىء وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

وقد طبعت الدرة اليتيمة مرارا في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للأمير شكيب ارسلان . وهي تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكى (باشا) . ولها تمة لابن العربي سماها : « عظمة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ - رسالة في الأخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالآستانة

وله كتب أخرى أدبية وأخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . . . لكن منها نتفا نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . وتجد أخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ ، وتراجم الحكماء لابن القفطى ١٤٨ ، والفهرست ١١٨ (***)

٢ - سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوى الدستيميسانى ، فارسى الاصل انتقل الى البصرة ثم أقام في بغداد ، وكان متحققا في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيما فصيحاً شاعرا شعوبى المذهب

(*) طبع الادب الكبير لابن المقفع باسم اليتيمة ، فظن المؤلف كما ظن كثيرون أنهما كتاب واحد ، وهما كتابان . . يدل على ذلك ما فى المنشور والمنظوم لابن طيفور من فصول نقلها عن اليتيمة ، وليست فى الادب الكبير المنشور

(**) وراجع فى ابن المقفع خزانة الادب ج ٣ ص ٤٥٩ والوزراء والكتاب للجهمياري طبع الحلبي من ١٠٣ . رسائل البلغاء لمحمد كرد على وأمرأ البيان له أيضا وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى وذخى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الاول ، وكتابنا « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » الفصل الثالث من القسم الاول ومن حديث الشعر والنثر لطف حسين وابن المقفع لعبد اللطيف حمزة وهيارت Hyart فى كتابه الادب العربى ص ٢١١ والمجلة الاسيوية ، المجموعة العاشرة ، المجلد السابع عشر (١٩١١ م) ص ٥٥٤ ودائرة المعارف الاسلامية

شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضلته ويصف براعته وفصاحته ويحكي عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل ، وكتاب ثعلبة وعفرة المتقدم ذكره ، وكتاب الهذلية والمخزومي ، وكتاب النمر والثعلب ، وغيرها كثير لم نقف عليها . وأخباره في الفهرست ١٢٠ ، والدميري ٣١٣ ج ١ (*)

ومنهم على بن عبيد الريحاني ، له اختصاص بالمسامون وكان يرمى بالزندقة ، وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفا ضاعت كلها . وللمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى والغناء (***)

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . . . وعند العرب استعداد فطري لها ، لحدة احساسهم وشدة تأثرهم . وكان لهم في جاهليتهم ألحان توافق خشونتهم ، فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل أو ترجمة . وأول من فعل ذلك عبد مكي اسمه سعيد ابن مسحج ، كان حسن الصوت مفرما بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها على عهد عبد الله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس في ترميم الكعبة ، فسمع ابن مسحج بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الألحان الرومية والفارسية واستبعله منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي ، وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين ، فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في أواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والفريض ومعبد وحكم الوادي وفليح بن أبي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابة وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند ، فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علما له أصوله . وقد جمعوا بين ألحان اليونان والهنود والفرس

(*) وانظر في سهل معجم الادباء لياقوت ج ١١ ص ٢٦٥ وشرح العيون طبع المطبعة الوطنية ص ١٣٢ والبيان والتبيين والحيوان والبخل للجاحظ «انظر الفهارس» وكتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » الفصل الثالث من القسم الاول

(**) من خير المراجع في هذا الموضوع كتاب فارمر عن « تاريخ الموسيقى العربية » وقد ترجمه حسين نصار ، وأرجع الى كتابينا « الشعر الغنائي في المدينة » و « الشعر الغنائي في مكة » ففيهما حديث واسع عن الغناء والمغنين في العصر الاموي وتأثيرهما في الشعر والشعراء

والعرب ، فألفوا من ذلك علما خاصا بالتمدن الاسلامى بلغ درجة حسنة من الاتقان ، فألفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلا عما استنبطوه من الالحن أو اخترعوه من الآلات

ففى العصر العباسى الاول صار للعرب مذاهب فى الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علما قائما بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب ، أصله فارسى وصار مولى لعمر بن الزبير . نشأ فى المدينة وكان أبوه فقيها أسلمه الى الديوان فكان من كتابه ، وأخذ الغناء عن معبد ، ولم يكن فى أصحاب معبد أحدق ولا أقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتابا فى الاغانى وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه . وللخليل بن أحمد كتاب فى الموسيقى جمع فيه أصناف النغم وحصر به أنواع الالحن ، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات اعداده وقد ضاع هذا أيضا

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن أبى منصور الموصلى ، فألف كتابا فى الاغانى على الحروف ، وآخر فى العود والملاهى لم تقف على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الالحن التى حدثت فضلا عن الاصوات القديمة ، لان المغنى كان اذا برع واشتهر استنبط الحانا حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلى . فأصبح هو امام المغنين ، وينسبون اليه كتابا كبيرا فى الاغانى يشك الناقدون فى نسبته اليه . وألف يحيى بن مرزوق المكى كتابا فيه ١٢٠٠٠ صوت أهداه الى محمد ابن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين ألف درهم . وشاع هذا الكتاب

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسى الاول فى زمن الرشيد والمأمون وأطلقت اللسنة والافكار ، أخذ المغنون يفكرون فى تعديل الالحن واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، وكان من الطامعين فى الخلافة . فلما استتب الامر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء ، كما انصرف خالد بن يزيد الاموى الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتا ، وهو يعد من الطبقة الاولى فى عصره . . لكنه كان مقصرا عن أداء الغناء القديم على طريقة الموصلى . فكان يحذف نغم الاغانى الكثيرة العمل حذفاً شديداً أو يخففها على قدر طاقته ، وانما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « انا ملك ، أغنى كما أشتهى » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث ، وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون فى ذلك الى قسمين ، وأصحاب فن الغناء كانوا يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افسادا فى هذه الصناعة ، لانهم كانوا يفضلون القديم فأخذوا فى الرجوع اليه

على أن ذلك بعثهم على أعمال الفكرة والتعمق في هذا الفن وانتهى ذلك إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني ، وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الأوائل والموسيقى والهندسة .. فوضع كتابا في النغم وعلل الاغانى سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى أو الغناء ، قبل كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصبهاني وسيأتى ذكره (١)

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج ٣ و ٣٢ ج ٥

العلم الإسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بنى العباس . وكان أكثر أئمة الفقه في المدينة . وفقه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير ، فاستفتاه أهلها في أمر المنصور فأفتى بخلع بيعته فخلعوها ، وبايعوا محمد بن عبد الله من آل علي . وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد . فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهرا ، وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبنى العباس . وعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط (١)

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من أبنائها من درس الفقه والفتيا ، ولكنهم ما زالوا عيالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس في حفظ الحديث وقراءة القرآن . وكان الحديث قليلا في العراق على الخصوص . والمسلمون غير العرب هناك ، أكثرهم من الفرس ، وهم أهل تمدن وعلم ، فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث . فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقاليد ، فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصا مالكا بعد أن أفتى بخلع بيته أنه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس ، وكان كبيرهم يومئذ أبا حنيفة النعمان في الكوفة ، فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه . وكان أبو حنيفة لا يعاب بشيء سوى قلة العربية

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه (**) وهم المعروفون بأهل الرأي أو

(١) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

(**) يبالغ المؤلف هنا في تصوير هذه الخصومة بين المنصور وفقهاء المدينة وعلى رأسهم مالك . والمعروف ان الذي أمر مالكا بتأليف كتابه « الموطأ » عمدة أهل الحديث ومرجعهم الاول هو أبو جعفر المنصور ، وكان يجلس مالكا ويكبره . أنظر في ذلك مقدمة طائفة الزرقاني على الموطأ . أما مسألة انقسام الفقهاء الى أهل حديث في الحجاز وأهل رأي وقياس في العراق فان ذلك يرجع الى ظروف البيئتين لا الى عمل خليفة أو خلفاء ، وقد بدا هذا الاختلاف بين البيئتين منذ العصر الاموي وقبل تحول الخلافة من دمشق الى بغداد

القياس، ازداد مالك تمسكا برأيه ، وتبعه فقهاء الحجاز، وهم أهل الحديث .
وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين : أهل الحديث ، وأهل الرأي ، وزعيم أهل
الحديث مالك وأنصاره من أهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان
الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد . وعرفوا بأصحاب
الحديث لانهم بذلوا عنايتهم في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام
على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبرا أو
أثرا . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدتم لى
مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي ، فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم
محمد بن الحسن الشيباني ، وأبو يوسف القاضي ، وزفر بن الهذيل المتوفى
سنة ١٥٨ هـ ، واللؤلؤي ، وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ ، وأبو مطيع
البلخي ، وعافية القاضي وغيرهم . وقد سموا أهل الرأي لان عنايتهم كانت
توجه الى تحصيل وجه من القياس ومعنى مستنبط من الاحكام وبناء
الحوادث على ذلك وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الاخبار (١)

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس الشافعي ، فرحل
الى العراق ، وخالط أصحاب أبي حنيفة ، وأخذ عنهم ، ومزج طريقة أهل
الحجاز بطريقة أهل العراق ، واختص بمذهب ، خالف فيه مالكا في كثير من
مذهبه . ثم جاء بعده أحمد بن حنبل وكان من عليّة المحدثين وقرأ أصحابه
على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفرة بضاعتهم من الحديث فاختصوا
بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ، وتولدت منهم
مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي ، والمالكي ، والشافعي ، والحنبلي
واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ - أبو حنيفة النعمان

توفي سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت ، مولى بني تيم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ
وكان خزازا يبيع الخبز ، وكان عالما عاملا زاهدا كثير الخشوع دائم التضرع ،
فاتصل خبره بالخليفة أبي جعفر المنصور فبعث اليه ، فلما جاءه أراد أن يوليه
القضاء فحلف انه لا يفعل ، وقال : « لن أصلح في قضاء » . وكان حسن الوجه
حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لآخوانه . وكان ربعة في الرجال ،
وقيل كان طويلا تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقا وأحلام نفمة .
وكان قوى الحجة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته في هذه
السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » . وكان طلق اللسان جهورى الصوت ،

إذا سأله عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دويًا وجهارة وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعا ، وعمدته فيما قاله القياس . وكان بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا بسوء ، ولو كان عدوا له . وكان واسع العلم في كل العلوم الإسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفيا لانه من أهل الكوفة . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ - الفقه الاكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في لكتناو الهند مع ترجمة هندستانية * وهو من قبيل أصول الدين ، وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي القاري . وأكد لنا غولتير أن نسبة هذا الكتاب الى أبي حنيفة خطأ

٢ - مسند أبي حنيفة : جمعه تلامذته ، ومنه عدة نسخ خطية بالمكتبة الخديوية

٣ - وصيته لأصحابه : في الأصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس ، وعليها شروح في مكاتب غوطا وإياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ - وصيته لابنه : منها نسخة في باريس

٥ - الخارج في الحيل : في الفقه رواها تلميذه أبو يوسف ، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

تجد أخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ ، والفهرست ٢٠١ وغيرهما (*)

٢ - مالك بن أنس

توفي سنة ١٧٩ هـ

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ، ولد سنة ٩٥ هـ . أخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه أهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية . وكان مالك بن أنس ورعا تقيا ، إذا أراد أن يحدث تواضاً ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضي الحقوق . وهناك يجتمع اليه أصحابه يأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه أخذ الامام الشافعي . وكان مالك بن أنس

(*) وراجع في ترجمة أبي حنيفة تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٤٣ وتذكرة الحفاظ للمذهبي ج ١ ص ١٦٠ ومناقب الامام الاعظم أبي حنيفة للموفق المكي وفجر الاسلام وضعي الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثاني ، وتاريخ التشريع الاسلامي لمحمد الخضرى وبحثا لابی زهيرة فيـه وبحثا آخر فيه لمحمد يوسف موسى وآخر لعبد الحليم الجندي وتاريخ الفقه الاسلامي لمحمد يوسف موسى الجزء الثالث ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

شديد البياض مع ميل الى الشقرة ، طويلا عظيم الهامة ، أصـلـع يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ، وله من الكتب :

١ - كتاب الموطأ : أساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه تلامذة كثيرون ، ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا . وقد طبع في دلهي بالهند سنة ١٢١٦ هـ ، وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ م ، وله شروح للبطلوسى ولابن العربى والقرطبى والزرقانى . وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ وغيرها في أربعة مجلدات . وقد رواه الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، ورد فيه على ما يخالف مذهب مالك . وطبع فى لكانا الهند سنة ١٢٩٧ ، وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح أخرى لا فائدة من ذكرها

٢ - رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكى ، منها نسخة في الاسكوريال وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ - كتاب المسائل على لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا وترجمته فى ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ ، والفهرست ١٩٨ (*)

٣ - الامام الشافعى

توفى سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى ، وينتهى نسبه الى هاشم بن عبد المطلب بن مناف القرشى . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفى في مصر سنة ٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور . وقدم بغداد سنة ١٨٥ هـ ، وبعد سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فأقام بها شهرا . ثم قدم مصر فأقام فيها ، وما زال بها الى أن توفاه الله . وكان الامام الشافعى كثير المناقب ، جم المفاخر ، حاز من العلوم الاسلامية أقصاها وأدناها من العلم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللفة والشعر حتى أقر له بالسبق الاصمعى الراوى الشهير ، وأحمد بن حنبل الامام . وأقال أبو عبيد : « مارأيت رجلا قط أكمل من الشافعى » وسأل عبد الله بن أحمد بن حنبل والده عنه فقال : « يابنى ، كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للبدن » وهو أول من تكلم في أصول الفقه ، وهو الذى استنبطه . وقد ذكر له الفهرست نيفا ومائة مؤلف ، لم يصل اليها منها الا :

١ - كتاب الام : رواه عنه الربيع بن سليمان ، فانه يبدأ هكذا : أخبرنا أبو على الحسين بن حبيب بن عبد الملك فى دمشق سنة ٣٣٧ ، قال أخبرنا

(*) وانظر فى مالك كتاب المعارف لابن قتيبة «طبعة وستفيلد» ص ٢٥٠ و ٢٩٠ والانساب للسمعاني ٤١ ١ وحاشية الزرقانى على الموطأ والمدارك للقاضى عياض والديباج المذهب لابن فرحون وفجر الاسلام وضحى الاسلام وبحثا فيه لابی زهرة وتاريخ التشريع الاسلامى لمحمد الخضرى ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٧٥ ج ١ وملحق أ ص ٢٩٧

الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ « وهو كتاب ضخيم ،
منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، وطبع بمصر في سبعة مجلدات .

٢ - السنن المأثورة : في مكتبة كوبرلي بالآستانة

٣ - أصول الفقه : هي رسالة في الاصول طبعت بمصر

٤ - مسند الشافعي ، في الحديث : منه نسخة خطية في بني جامع
وكوبرلي ، وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير

٥ - قصيدة تنسب اليه : في ليدن

وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ ، والدميري ٢٥ ج ١ ، وسير
الملوك ١٥٠ ، والفهرست ٢٠٩ (*)

الامام أحمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١ هـ

هو الامام ابو عبد الله أحمد بن حنبل ، يتصل نسبه بشيبان من ربيعة ، ولد
في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، وكان من اصحاب الامام الشافعي ، وشهد له الشافعي
عند خروجه الى مصر بقوله : « خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه
من ابن حنبل » . وظهر في أيامه القائلون بخلق القرآن فدعى للقول بقولهم فلم
يجب ، ف ضرب وحبس وهو مصر على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة ،
يخضب بالحناء خضبا ليس بالقاني ، في لحيته شعيرات سود . . ودفن في
بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي ، وأهم مؤلفاته الباقية :

١ - المسند في الحديث : رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطأ في
أكثر مكاتب أوربا والآستانة والمكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر وهو
مرتب حسب الرواة ، فيقسم الى مساند أولها مسند أبي بكر فعمر
فعثمان الى غيرهم من الصحابة

٢ - كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : مكتبة برلين

٣ - كتاب الزهد : في برلين

وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ ، والفهرست ٢٢٩ (**)

(*) وراجع في الشافعي الانساب للسماعي ، الورقة ٣٢٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ٩٥
وطبقات التفسيرين ٢٢٧ ومعجم الادباء ١٧ ص ٢٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع
وبحثا فيه لابي زهرة وفجر الاسلام وضحي الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثاني ، وتاريخ
النشريع الاسلامي للخضري ، والفقه الاسلامي لمحمد يوسف موسى ، وبروكلمان ١٧٨ ج ١
وملحق ١ ص ٢٠٣

(**) وانظر في أحمد بن حنبل تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٢ ومختصر طبقات الحنابلة لابن
أبي بعلی ص ٣ ومختصر تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٢٨ ومناقب أحمد لابن الجوزي وصفة
الصفوة له ايضا ج ٢ ص ١٩٠ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧ وطبقات الشافعية للمسكي
ج ١ ص ١٩٩ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧٢ وشذرات الذهب لابن العماد ج ٢
ص ٩٦ ، وتاريخ الطبري وابن الاثير « أنظر فهرسيهما » . وله ترجمة مطولة في تاريخ الاسلام
للذهبي نقلها الشيخ أحمد شاكر في مقدمته للمسند « طبع دار المعارف » وراجع بروكلمان ١٨١
ج ١ وملحق ١ ص ٣٠٩

ونبغ طائفة من تلامذة أولئك الأئمة وأصحابهم وقد ذكرنا بعضهم ، وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر إلا ثلاثة : اثنان من أصحاب أبي حنيفة ، والثالث من أصحاب مالك ، وهم :

١ - القاضي أبو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري . ولد سنة ١١٣ هـ ، وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحباً للامام أبي حنيفة وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً أخذ عن كثيرين من الفقهاء ، ولكن غلب عليه مذهب أبي حنيفة وإن يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس : المهدي ، والهادي ، والرشيد . وهو أول من دعى بقاضي القضاة ، وميز العلماء بلباس خاص . . وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر أبو أحمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف تكلم عن نفسه قائلاً : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاءني أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فأنصرفت معه فقال : يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة ، فإن أبا حنيفة خبزه مشوى وانت تحتاج إلى المعاش » فقضت في كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي ، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعهد مجلسه . فكلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لي : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست ، فلما أنصرف الناس دفع إلى صرة وقال : استمتع بها ، فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، وقال لي : الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني ، فلزمت الحلقة . فلما مضت مدة يسيرة دفع إلى مائة أخرى ، ثم كان يتعهدني وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت » أهـ . والباقي من مؤلفاته : كتاب الخراج ، وفيه مقدمة يخاطب بها الرشيد ، رواه تلميذه الشيباني . . منه نسخ خطية في برلين وباريس وأياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلي وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ . وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ ، والدميري ١٢٩ ج ١ (*)

٢ - محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيسه الحنفي ، ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي المشهور . وكان مولده في واسط بالعراق ، وأصله من قرية عند باب دمشق في وسط

(*) وراجع في أبي يوسف الفهرست لابن التديم وابن قطلوبغا طبعة قلوغل رقم ٢٤٩ وضحى الاسلام الجزء الثاني والفقه الاسلامي لمحمد يوسف موسى ودائرة المعارف الاسلامية ١٧١ ج ١

غوطتها . ونشأ بالكوفة ، وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقه على أبي يوسف المتقدم ذكره ، وألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره ، وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا إنه « إذا تكلم خيل إلى سامعه أن القرآن نزل بلفته » وقد عاصر الإمام الشافعي ، وجرت بينهما أحاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الإمام الشافعي : « مارأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه ، إلا محمد ابن الحسن » وخلف مؤلفات جمة أشهرها :

- ١ - كتاب المبسوط : وهو كتاب الأصل في الفروع منه نسخ خطية في أياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي
- ٢ - كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة
- ٣ - الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية وبنى جامع ، ولها شروح وتلخيصات متفرقة في مكاتب أوروبا والآستانة والخديوية
- ٤ - الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ - كتاب الآثار في المكتبة الخديوية

- ٦ - كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ، ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١ (*)

٣ - عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقي ، تفقه على الإمام مالك ، فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته . وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم ، وهي كتاب ضخيم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين ، طبعت بمصر ، ولها شروح منها شرح على موادها المشكلة ، منه نسخة في المكتبة الخديوية وغيرها . وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ ج ١ (**)

ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة ، لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لا ينسب إلى إمام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ، وله كتاب الخراج ، طبعه جونبول في لندن سنة ١٨٩٦

(*) رانظر في محمد بن الحسن المعارف لابن قتيبة ص ٢٥١ وتاريخ الطبري « طبعة ديجويه » القسم الثالث ص ٢٥٢١ والفهرست ص ٢٠٣ والانساب للسمعاني ٣٤٢ ومناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة « طبعة جيدر آباد » ج ٢ ص ١٤٦ - ١٦٧ وابن قطلوبغا رقم ١٥٩ ، والفقيه الإسلامي محمد يوسف موسى ، ودائرة المعارف وما بها من مراجع

(**) وراجع في ابن القاسم ترجمة أسد بن الفرات في كتاب معالم الإيمان لأبي النجاشي « طبعة تونس » ج ٢ ص ٢ - ١٧ ودائرة المعارف الإسلامية وما بها من مراجع

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم وأقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ، ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم (**) فان الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا في زمن يوستينيان ، وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم يتضح علم الحديث ويتم تكمونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني ، وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه ، وقد اشتغل الأئمة الاربعة المتقدم ذكرهم بالحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه . فالامام أبو حنيفة زعيم أصحاب الرأي لم يصح عنده فيما يقال الا كتبهم . فأبو حنيفة ألف كتاباً في الحديث خاصة . وأما مالك بن أنس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم ذكره . وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن

واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة في أنحاء المملكة الاسلامية أكثرهم في المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة ، هالك أشهرهم حسب سنى الوفاة ومكانها :

ابن جريج من الموال	١٤٩	بغداد	الواقدي مولى	٢٠٧	بغداد
الاوزاعي عربى	١٥٧	بيروت	ابن نافع الصنعاني مولى	٢١١	اليمن
سفيان الثوري عربى	١٦١	البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢٢١	مصر
زياد البكائي عربى	١٨٣	الكوفة	عبد الله بن مسلمة عربى	٢١٤	البصرة
ابن عياش عربى	١٩٣	الكوفة	كاتب الواقدي	٢٣٠	بغداد
سفيان بن عيينة مولى	١٩٨	مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣	المدينة
السمان فارسي	٢٠٣	البصرة			

وبعض هؤلاء سيأتى ذكرهم في الابواب الاخرى ، ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الاوزاعي ، فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطى في المكتبة الخديوية . ويلى هؤلاء الأئمة في الحديث أصحاب الكتب الستة ، وهى عمدة المحدثين ، وسيأتى الكلام عليها فى العصر الآتى :

التفسير والقراءة

فلما اشتغل القوم بالتفسير فى هذا العصر (**) ، ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس فى الجزء الاول ، وهو يبدأ

(*) انظر فى الفقه وتكونه مادة فقه فى دائرة المعارف الاسلامية وكتاب العقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسيهر وتاريخ الفقه الاسلامى لمحمد يوسف موسى

(**) هذه مبالغة من المؤلف فقد عنى العلماء بالتفسير كما عنى بالحديث والفقه ، ويوضح كتاب مذاهب التفسير الاسلامى لجولدتسيهر نشاطهم الواسع فى هذا الباب

هكذا : « أخبرنا عبد الله الثقة بن المأمون الهروي ، قال أخبرنا أبي ، قال أخبرنا أبو عبد الله ، قال أخبرنا أبو عبد الله محمود بن محمد الرازي ، قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي ، قال أخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال . . » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في أثناء الكلام على الموضوعات الأخرى لاشتغال الأدباء والمؤرخين والنسائيين به . والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية إلا في العصر الآتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم ، لكنهم لم يشتغلوا الا فيما دعتهم اليه دولتهم واغراضها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لاجل العطاء ونحوه ، ولم يصل اليها منه شيء للذهاب ذلك في اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار الامويين أو لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على ان التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكمينه حتى في العصر العباسي الاول الذي نحن بصددده . انما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة (*) . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العزب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فاهل المائة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما اخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التي نزلت فيها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث ، فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لانها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بشئون الخراج اختلفوا في البلاد هل فتحت عنوة أو صلحا أو امانا ، فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين اخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١٢٣

١ - الشيخ أبو اسماعيل الأزدي

أقدم كتب الفتوح التي وصلت اليها كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة ، طبع في كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ ، وهو عظيم الأهمية ، وقد ذكرناه مفصلاً في باب الانشاء من عصر صدر الاسلام ، والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانجليزية

(*) أنظر في التاريخ عند العرب وتكوينه وتطوره مادة تاريخ في دائرة المعارف الإسلامية وفصل التاريخ عند العرب في كتاب علم التاريخ ترجمة العبادي «طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر»

٢ - الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ هـ

يليه الواقدي وهو مولى من موالى بنى هاشم فى المدينة ، واسمه أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالما بالحديث والمغازى والفتوح وقد قرّبه المأمون وولاه القضاء بشرقى بغداد فى عسكر المهدي وتوفى هناك . وكان المأمون يرعاه ويبالغ فى إكرامه ، لكن المحققين يستضعفون حديثه ، وله مؤلفات عدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتابا ، هاك ما وصلنا منها :

١ - كتاب المغازى : يشتمل على غزوات الرسول ، طبعه كرامر فى كلكتا سنة ١٧٥٦ فى ٤٠٠ صفحة ، وله خلاصة انجليزية طبعها ولهاوزن فى برلين سنة ١٨٨٢

٢ - كتاب فتوح الشام : وهو بالقصص أشبه منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات ، لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد فى سواه من كتب الفتوح ، وقد طبع مرارا ، أحداها فى الهند سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٠ فى ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعليقات بقلم المستشرق نساو . وطبع أيضا فى مصر سنة ١٨٨٢ وغيرها

٣ - فتح إفريقية : طبع فى تونس سنة ١٣١٥ فى مجلدين

٤ - فتح العجم : طبع فى الهند سنة ١٢٨٧

٥ - فتح مصر والاسكندرية : طبع فى ليدن سنة ١٨٢٥

٦ - تفسير القرآن : منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى

٧ - عدة كتب فى الفتوح تنسب اليه ، كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبع فى مصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم تقف عليه ، ولكن المؤرخين نقلوا عنه . وأكثر كتبه محشوة بالمبالغات ولا يعول عليها . وفى مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية فى الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جريدة الفائدة

وترجمة الواقدي فى ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ ، والفهرست ٩٨ (*)

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر وأعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموى طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ ، وهو كالقصة داخل فى كتاب فتوح الشام للواقدي ، وسنذكر سائر كتب الفتوح فى أماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن وقراءاته والحديث والنحو

(*) وراجع فى الواقدي كتاب المعارف ص ٢٥٨ والأنساب للسمعاني ٤٧٧ ب ومعجم الادباء ١٨٥ ص ٢٧٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمين ١٣٥ ج ١ وملحق ١ ص ٢٠٧ ، ٢ ص ٧٣

والادب ، ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في أسانيدھا والتفريق بين ضعيفھا ومتينھا . . فجرھم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجمھم وسائر أحوالھم ، حتى أصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها وأسانيدھا ، والاحاطة بأحوال النقلة والرواة عدولھا وثقاتھا ومطعونھا ومردودھا ، والاحاطة بالوقائع الخاصة بها . . فقسموا رواة كل فن الى طبقات ، فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرھم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات المحدثين واللفويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسائيين والاطباء حتى الندماء والمغنين وغيرھم ، والفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون أكثر أمم الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

وأقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره ، كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكتاب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ هـ

هو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صاحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين أو كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في لندن سنة ١٣٢٠ - ١٣٢٥ هـ . وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهوروفتش وليبرت وسترسين وبروكلمن . ويقسم الى عدة أقسام في ثمانية أجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدرين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهدوا بدراً وأسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم أهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) فصفحات الكتاب كله نيف وألفا صفحة كبيرة غير التعليقات والفهارس ونحوها وهي نحو ألف صفحة أخرى . والطبقات تحتوي على سيرة الرسول وغزواته وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها سلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسين الدمياطي . وأسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . وأكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام .

وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ، ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطة وبرلين والأستانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ ، والفهرست ٩٩ (*)

الانساب وكتابتها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ ، دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ما كان منها في الجاهلية ، وفي العصر الأموي ، وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدره جماعة أشهرهم :

١ - هشام الكلبى

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ، نشأ في الكوفة ، وكان نسابة عالما بأخبار العرب وأيامها ومثاليها ووقائعها . أخذ عن أبيه محمد ابن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة في التفسير والأخبار وأيام الناس ، معدودا بين المفسرين والنسابين . توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتابا في تفسير القرآن اما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلة (صفحة ٩٦ - ٩٨) وقسمها الى أبواب بعضها في الأحلاف والبعض الآخر في الآثار والبيوتات والمنافرات والمؤودات وبعضها في أخبار الأوائل . وبعضها في أخبار الجاهلية وغيرها في أخبار الإسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب وفي الأسماء والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوى على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلا عن الانساب المفردة لأشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه ، لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها الا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب ، منها :

١ - جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها

٢ - نسب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام : منه نسخ في غوطة والاسكوريال وفيينا

٣ - كتاب الأصنام : أو كتاب تنكيس الأصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان ، وهو يشير هناك الى مصدره ومنه نسخة في جملة كتب زكى (باشا) في ٢٩ ورقة (**) (*)

(*) وانظر في ابن سعد تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٣ ودائرة المعارف الإسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٣٦ ج ١ والملحق ج ١ ص ٢٩٨
(**) نشر أحمد زكى (باشا) هذا الكتاب

وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١١٦ ، والفهرست ٩٥ (١٥٠)

ومن النسابين أيضا في هذا العصر :

٢ - الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب

٣ - المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ذكر له أيضا كثيرا من المؤلفات تزيد على ما ذكره لهشام الكلبي

٤ - ابن عبدة

٥ - علان الشعوبي وغيرهم ..

ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات ، لم يصلنا منها غير ما يرد ذكره عرضا منقولاً عنهم في كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح كالطبري والبلاذري وياقوت وأبي الفرج صاحب الاغانى وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازى » وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في أواخر القرن الاول وفي النصف الاول من القرن الثانى للهجرة .. لم يصح منها الا كتاب المغازى للزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، وقد ضاع . وكتاب المغازى لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الفزوات النبوية ، ومنها قطع منتخبة طبعت في أوروبا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

وأما سيرة الرسول كاملة ، فأقدم من كتب فيها محمد بن اسحق وقد اعتمد على سيرته عبد الملك بن هشام في سيرته التى اتفقوا على صحتها ، وفيها أيضا نسب الرسول وكثير من أخبار الجاهلية وأنسابهم وعاداتهم وأديانهم ونحوها ، الا أن بها بعض الشعر المنحول نقله عن ابن اسحق وقد ذكر صاحب الفهرست أنهم كانوا ينظمون الاشعار ويأتون بها اليه ويسألونه أن يدخلها في كتابه في السير فيفعل

عبد الملك بن هشام

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى ، كان مشهوراً بعلم النسب والنحو ، أصله من البصرة وأقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفى بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذى روى سيرة الرسول

(*) وراجع في هشام الكلبي معجم الادباء ج ١٩ ص ٢٨٧ ، ودائرة المعارف الاسلامية في مادة الكلبي

من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها ، وهي الموجودة في أيدي الناس وتعد أقدم المصادر التي بين أيدينا عن الرسول وأوثقها . وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ (*)

محمد بن اسحق

أما ابن اسحق صاحب السيرة الاصلية ، فهو أبو بكر محمد بن اسحق ابن يسار المطلبى بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر ، وكان ابن اسحق ثبتا في الحديث والمغازي فسمع عن أكثر العلماء ، أتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ . ومن كتبه في المغازي أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن بصدددها . وترجمت في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١ (***)

وقد طبعت السيرة مرارا أضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية وستنفيلد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . والحقا بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلها عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضا في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستجارت سنة ١٨٦٤

وأما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق ، فالظنون أن منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالاستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم ، طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق أديب من ادباء ذلك العصر الا واثى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الأصمعي وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيرا من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي ، فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه ، وأكثرهم من أبناء العصر العباسي الاول ، ولم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين ، فانه عثر على الجزء السادس من

(*) وانظر في عبد الملك بن هشام بغية الوعاة للسيوطي ص ٣١٥ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٤ بين أئمة النحو واللغة ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع
(**) وراجع المعارف لابن قتيبة «طبعة وستنفيلد» ص ٢٤٧ ومعجم الادباء لياقوت ج ١٧ ص ٥ ودائرة المعارف الاسلامية

كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه . . وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد أن ظل المستشرقون دهرًا يأسفون لضياعها ، وألفوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسية ، وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة الفقه ووضعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الان . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف أسلوبه وتولدت فيه أبواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة ، نعى علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلا عن الترجمات

وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع الفاظها وأخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . وأكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالى وأهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ في العصور الالية . وبعض العلوم التى ولدت في هذا العصر ستنضج فيما يلى ، وسيأتى الكلام على كل شيء في مكانه

ومما يلفت الانتباه من أخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعد بالمئات أو الالوف ولم يبق منها الا بضعة عشرات . وقد تقرأ لأحدهم مئات من أسماء الكتب التى ألفها ثم لا تجد منها الا كتابا أو بضعة كتب ، كما رأيت في أخبار المدائني وهشام الكلبي وأبى عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على أن هذا العصر أحسن حظا من العصر الاموى الذى سبقه . وستكون العصور الالية أحسن حظا منه

العصر العباسي الثاني

أو المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ ، وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ ، وقد يسمى العصر التركي لتسلط الأتراك فيه على أمور الدولة تميزا له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الأتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم (١) ، وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية ، وهم من الفرس ، فاستبد بهم وزاد في رعاية الأتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغراهم ابنه المنتصر - أو هم أغروه - على قتله فقتلوه ، وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر ، فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ، ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ . وقد استفحل أمر الأتراك استفحالا عظيما . ومما يحكى عن استبدادهم بالخلفاء انه لما تولى المعتز قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول انه يعيش وكم يملك ؟ » قال : « ما أراد الأتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك (٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شر قتلة ، فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده (٣) والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس (٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله أنهم حبسوه وهو ملتف بجبة قطن وفي رجله قبقاب خشب . فلا غرو اذا أصبح الخلفاء آلة في يد الأتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد أن كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة ، صار الخليفة يحلف لهم

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤

(٢) الفخرى ٢٢٠ (٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧

(٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ، ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم ، كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسونهم في القصور ليزيدونهم ضعفا . وكان الخلفاء من الجهة الأخرى يميلون إلى حبس أولادهم وأقاربهم خوفا من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عسير لهم في أثناء الحجر إلا الخدم والخصيان فألفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تتوقف في الأكثر على أمانة أولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصا الخصيان ، إذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفاني في خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم في الملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاية العهد إذا أفضت الخلافة إليهم بالفوا في تقريب الخدم بالعطايا والأكرام التماسا لحمايتهم إذا أراد الاتراك الفتك بهم . فعمدوا إلى الاستكثار من الخدم ، وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في أمورهم

واستكثروا منهم حتى ألفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله ، فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر ، فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي أيامه نبغ مؤنس الخادم ، فقدمه وكان يستشير في أموره . فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال ، واستبد في كل شيء لكنه على الإجمال خدم الخليفة المقتدر خدمات ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت إلى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك ، فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لأنها طوع إرادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده (١) ، ناهيك بالجاسوسية وسوء الأحكام . قال ذلك إلى طمع العمال والولاة في أعمالهم ، فأخذوا يستقلون . فتشعبت المملكة العباسية إلى إمارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن بصدده بدخول الديلم بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ ، وأنشأوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

والفساد الذي تقدم ذكره أثر في آداب اللغة ، ولا سيما في الآداب التي هي من آثار النفس أو أعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الأفكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة ، فضعفت الحرية وعمد الناس إلى التستر في أفكارهم خوفا على حياتهم خلافا لما كانوا عليه في أواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بأمر تمت فيه ، وهي :

١ - استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت اليها ، وقد وضعها أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .

٢ - ظهر أثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية ، فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم . وشق ذلك على أدباء اللغة ، فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما أفاد لأن ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب وسنين ذلك في مكانه * وراجع كتابنا « تاريخ اللغة العربية »

٣ - وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى الآن . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام (*) وشاعت بين أدباء العرب وضاعت في صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد أحمد بن عبدالله بن سلام (١) ، ورأينا بعض أدباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولا من أخبار الخليفة (٢) ، وربما ترجمها سواه أيضا . ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الآن . وأقدم ما وصل اليها من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا

سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد الفيومي في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون على مصر ، وكان اسرائيليا من الطائفة الربانية ، وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال . وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم ، فكتب كتبا كثيرة جدلية في العبرانية ، وأخيرا ترجم كتب موسى الخمسة وسفرى أشعيا وأيوب من الاصل العبراني للتوراة الى العربية توسيعا لدائرة أحزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الاستانة بالحروف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى ، وعرفت هذه الطبعة باسم « تتراغلوت » . ثم ظهرت في طبعة البوليفلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لأشعيا في جينا سنة ١٧٩١ ، وأما سفر ايوب فمنه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد . وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنسية بعناية ديرنبورج بباريس سنة ١٨٩٣

(*) أكبر الظن ان هذه مبالغة ، وراجع كلمة توراة في دائرة المعارف الاسلامية (١) الفهرست ٢٢ (٢) كتاب المعارف ٤

أشهر الشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ - ظهرت في هذا العصر شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر فيه يثير النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والأمراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون أصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من أهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزئهم مدائحهم هزء الكماة عوالي المران
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم فالأريحية منهم بمكان (١)

٢ - كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعبيراتها لتفشى علوم الاقدمين بين المسلمين على أثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا العصر . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتقلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على أن الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الآتي ذكره

٣ - ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلا الا نزر يسير . على أن البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلا عن الشعر ، لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنيات (٢) . ولكن المشهور ان أول من فتح البديع بشار بن برد وابن هرمة ، ثم أتبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمرى ومسلم بن الوليد وأبو نواس وأتبع هؤلاء أبو تمام والبحترى ، ثم ابن المعتز فأنتهى البديع اليه (٣) فإنه ألطف أصحابه شعرا وأكثرهم بديعا وهو من شعراء العصر العباسي الثاني

٤ - نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته ، وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص . فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعين النقد . ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بشر من السريانية الى العربية . وأكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء . وسيأتى ذكرهم في باب الادب . أما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر

٥ - وفي هذا العصر تقدم الشعراء خطوة أخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضيبا من الريحان :

(٣) السبعة ٨٥ ج ١

(٢) البيان ١٧٥ ج ١

(١) قيمة الدهر ٩ ج ١

قضيـب" من الريحان شابه لونه إذا ما بدا للعين لون الزمرّد
وشبهته لما تأملت حسنه عذاراً تدلّى في عوارض أمرّد
وقول البحترى :

وَرَقٌ " تغنى على خضرٍ مهدّلةٍ تسمو بها وتمس الأرض أحياناً
تخال طائرَها نشواناً من طربٍ والعصن من هزّه عطفيه نشواناً

وقد رأيت كثرة الشعراء في عصر بني أمية للاغراض السياسية التي
اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب
البداءة على أنفسهم . ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال
الدولة من البداءة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر
وسائر فنون الادب ، وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في
كل عصر

أما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صددده ، فقد ضعفت تلك
الاسباب واشتغل الخلفاء بأنفسهم ورجالهم . فلم ينبغ من فحول الشعراء
فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ،
ولشعرهم صيغة تلائم ذلك العصر ، وهم :

١ - ابن الرومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح أو جورجيس ، ويعرف بابن
الرومي نسبة الى أصله ، وهو من موالى بني العباس . اشتهر بالتوليد في
الشعر لانه أتى بكثير من المعاني التي لم يسبق اليها . ومن مميزاته أنه
لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلاً ، ولد في بغداد سنة
٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ ، وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات
بسببه لانه هجا القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد ، فدس اليه ابن فراش
فأطعمه خشكناجة مسمومة وهو في مجلسه . فلما أحس بالسم نهض
فقال له الوزير : « الى أين ؟ » فقال : « الى الموضع الذي بعثتني اليه » فقال
له : « سلم على والدي » فقال : « ما طريقى على النار » وأتى منزله فأقام فيه
أياماً ومات (*) . ومن بديع شعره في المديح قوله :

المنعمون وما مكثوا على أحدٍ يوم العطاء ولو مكثوا لما مكثوا
كم ضنّ بالمال أقوام وعندهم وفرّ وأعطى العطايا وهو يدان
وله أيضاً ، وقال ما سبقني أحد الى هذا المعنى :

(*) أكبر الظن أن هذه القصة في موت ابن الرومي موضوعة ، إذ الصحيح انه مات ميتة
طبيعية ، سبب أمراضه التي اصطليحت عليه

أَرَأَيْتُمْ وُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا بَدَوْنَ نَجُومًا
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحٌ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتِ نَجُومًا
وَمِنْ مَعَانِيهِ الْبَدِيعَةُ قَوْلُهُ :

وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأًا لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ هَجَاءَهُ
لَوْ لَمْ يَقْدِرْ فِيهِ بَعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ لِمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي ذَمِّ الْخَضَابِ ، وَهُوَ مِمَّا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ :

إِذَا دَامَ لِلْمَرْءِ السَّوَادُ وَأَخْلَقَتْهُ شَبِيبَتُهُ ظَنَّ السَّوَادَ خِضَابًا
فَكَيْفَ يَظُنُّ الشَّيْخَ أَنْ خَضَابَهُ يَظُنُّ سَوَادًا أَوْ يَخَالُ شَبَابًا
وَلَهُ فِي بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَقَدْ سَأَلَهُ حَاجَةٌ فَقَضَاهَا لَهُ ، وَكَانَ لَا يَتَوَقَّعُ
مِنْهُ خَيْرًا :

سَأَلْتُكَ فِي أَمْرِ فَجَدْتَهُ بَيِّدُهُ عَلَى أَنِّي مَا خَلْتُ أَنَّكَ تَفْعَلُ
وَأَلْزَمْتَنِي بِالْبَذْلِ شُكْرًا وَإِنِّهِ عَلَيَّ مِنَ الْحَرَمَانِ أَدْهَى وَأَعْضَلُ
لِئَن سَرَّعَنِي مَا نَلْتَ مِنْكَ فَإِنَّهُ لَقَدْ سَاءَنِي إِذْ أَنْتَ مِمَّنْ يُؤَمِّلُ
وَمِنْ نَظْمِهِ فِي الْحُكْمِ :

أَرَى فَضْلَ مَالِ الْمَرْءِ دَاءً لِعَرَضِهِ كَمَا أَنَّ فَضْلَ الزَّادِ دَاءٌ لَجَسْمِهِ
فَلَيْسَ لِدَاءِ الْعَرَضِ شَيْءٌ كَبِذْلِهِ وَلَيْسَ لِدَاءِ الْجَسْمِ شَيْءٌ كَحَسْمِهِ
وَمِنْ بَدِيعِ مَعَانِيهِ :

دَهْرٌ عَلا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ وَتَرَى الشَّرِيفَ يَحِطُّهُ شَرْفُهُ
كَالْبَحْرِ يَرْسِبُ فِيهِ لَوْلَاؤُهُ سَقْفًا وَتَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفُهُ
وَيَمْتَازُ ابْنُ الرُّومِيِّ بِتَفْضِيلِهِ الْمَعْنَى عَلَى اللَّفْظِ كَالْمُتَنَبِّئِيِّ ، فَيَطْلُبُ صَحَّةَ
الْمَعْنَى وَلَا يَبَالِي حَيْثُ وَقَعَ مِنْ هَجْنَةِ اللَّفْظِ (١) وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنْتَ تَجِدُ فِي نَظْمِهِ
سَهُولَةً وَمَتَانَةً

وَكَانَ شَعْرُهُ غَيْرَ مَرْتَبٍ رَوَاهُ عَنْهُ الْمُتَنَبِّئِيُّ ثُمَّ جَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّوَلِيُّ وَرَتَبَهُ
عَلَى الْحُرُوفِ . وَجَمَعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ وَرَاقُ بْنُ عَبْدِ دُوسٍ وَزَادَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ
تَحْوِ الْفَ بَيْتًا ، مِنْهُ نَسْخَةٌ خَطِيَّةٌ فِي الْمَكْتَبَةِ الْخَدِيوِيَّةِ فِي نَحْوِ ٤٠٠ وَرَقَةٍ ،
صَفْحَاتُهَا مَزْدُوجَةٌ كَبِيرَةٌ بِخَطِّ قَدِيمٍ كَتَبَتْ فِيهَا الْآبِيَّاتُ فِي نَهْرَيْنِ كُلُّ نَهْرٍ
فِي شَطْرَيْنِ . وَأكْثَرُ شَعْرِهِ فِي عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ ، وَالْحَسَنِ بْنِ

عبيد الله بن سليمان ، وأبى القاسم التوزي الشطرنجي ، والمعتضد ،
والقاسم بن عبيد الله ، وابن المدبر ، وغيرهم ممن عاصروه . وله أهاج
شديدة ومدائح بليغة ، وقد أبدع في وصف الاخلاق والعواطف وفي العتاب ،
وله مراث مؤثرة بعضها في ابنه وأمه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على
٣٠٠ بيت ، أكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال ،
واخرى في مكتبة طوب قبو وفي نور عثمانية بالآستانة . ومن الغريب ان
هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد (*)

وأخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ ، والفهرست ١٦٥ (***)

٢ - البحتري

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ، ولد بمثبع من أعمال الشام وتخرج
بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله ،
وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء . وأقام في بغداد دهرا طويلا ثم عاد الى
الشام . وله أشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد أدرك
أبا تمام بحمص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذا الغرض .
فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال
له : « أنت أشعر من أنشدني » وأوصى به أهل معرة النعمان فصار اليهم
فأكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة
الأولى ، ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضل
على أبي تمام . وسئل هو مرة : « من أشعر : أنت أم أبو تمام ؟ » فقال :
« جيده خير من جيدي ، ورديثي خير من رديئه » وسئل أبو العلاء المعري ،
« أي الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحتري أم المتنبي ؟ » فقال : « المتنبي
وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحتري » . على انه امتاز بقوة التصوير ،
فانه كان يصور أخلاق المدوح تصويرا لم يسبقه أحد الى مثله . ومن
أحسن شعره في المتوكل قصيدة مطلعها :

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر وألام في كمدٍ عليك وأعذِرُ

ويقول منها (***) :

بالبرِّ صتَ وأنت أفضلُ صائم وبُسْنَةِ الله الرضيَّة تَفْطِرُ

(*) نشر كامل كبلاني ثلاثة أجزاء من هذا الديوان ، وهي مختارات مختلفة منه

(**) وراجع في ابن الرومي الموشح للبرزباني ص ٣٥٨ ومعتمد التنصيص ج ١ ص ٤٣
وزهر الاداب للحصري ج ٢ ص ١٧١ وما بعدها والكشكول لبهاء الدين العاملي ص ٥٨ وسر
النصاحة ص ٧٢ والعمدة لابن رشيق في مواضع متفرقة ورسالة الغفران لأبي العلاء « أنظر
الفهرس » وطبقات النحويين للزبيدي في ترجمة الاخفش على بن سليمان ص ١٢٦ وراجع ابن
الرومي لعبس العقاد ومن حديث الشعر والنثر لطلح حنين والفن ومذاهبه في الشعر العربي
ولرافون جيبست بحث فيه بعنوان : Life and Works of Ibn El-Rumi وكذلك

لمحمد عبد الغني حسن بحث فيه نشرته دار المعارف في سلسلة نوايخ الفكر العربي
(***) الغريب في هذه الابيات : الجحفل : الجيش الضخم ، اللجب : كثير الصياح ،
البيض : السيوف ، تزه : تضيء ، العجاج : الغبار ومثله العثير

فاتنعم بيوم الفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ
 أظهرت عزَّ الملك فيه بجَحْفَلٍ
 خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
 فالخيل تصهَّل والفوارس تدعى
 والأرض خاشعة تמיד بثقلها
 والشمس طالعة توقد في الضحى
 حتى طلعت بنور وجهك فأنجلي
 فافتن فيك الناظرون فإصْبَعْ
 يجدون رؤيتك التي فازوا بها
 ذكروا بطلعتك النبيَّ فهلَّلوا
 حتى انتهيت إلى المصلَّى لأبْسَأْ
 ومشيت مشية خاشع متواضع لله
 فلو ان مشتاقًا تكلف فوق ما في
 وَسُئِلَ لِمَ شِئَ إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

وظل البحتري في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ،
 وله الحرمة التامة حتى قتلا ، فرجع الى منبج . وقد قلده أبا تمام في
 البديع وكان يعده اماما له ويقدمه على نفسه كما رأيت . ثم صارت له
 طريقة في الجزالة والعدوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به ، قلدها
 معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام ، وكان
 صاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ أشعار أصحابها ويستملئ
 الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفترًا ضخماً الحجم
 فيها كان لا يفارق مجلسه ولا يملأ منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه
 على طرف لسانه وفي سن قلمه ، فطورا يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته
 وتارة يحله أو يورده في مراسلاته كما هو

وكان البحتري بخيلاً وسخ الثوب ومن أبغض الناس انشادا ، يتشادق
 ويتزاور في مشيه مرة جانبا ومرة القهقري ، يهز رأسه مرة وكتفه أخرى
 ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول : « أحسنت والله مالكم لا تقولون
 أحسنت ؟ » فضجر المتوكل منه

وما زال شعر البحتري غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي ورتبه
 على الحروف . وجمعه أيضا على بن حمزة الاصبهاني ورتبه على الانواع .
 وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطا بالشكل
 الكامل في جزئين كبيرين . أكثره في مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد
 ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالفزل

وللبحتري حماسة مثل حماسة أبي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الأب شيخو ، وقد ذيلها بالفهارس . وهي تمتاز على حماسة أبي تمام من أوجه كثيرة : منها كثرة الابواب ، لان حماسة أبي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحتري من ١٧٤ بابا تتضمن معظم المعاني الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر اكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البديئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاهما . . كأن البحتري جمعها لشبيبة هـسفه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة بالتصوير في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحتري أيضا كتاب معاني الشعر ، وألف الحسن بن بشر الأمدى المتوفى سنة ٣٧١ كتابا انتقاديا في الموازنة بين أبي تمام والبحتري تعصب فيه على أبي تمام ، وجد في طمس محاسنه وتزيين مردول البحتري ، طبع في الاستانة سنة ١٢٨٧ هـ

وأخبار البحتري في ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ ، والافغانى ١٦٧ ج ١٨ ، والفهرست ١٦٥ (*)

٣ - ابن المعتز

توفى سنة ٢٩٦ هـ

هو أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين ، تحزب له جماعة من الجند والأتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ ، وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضى بالله أقام يوما وليلة . ثم تحزب أصحاب المقتدر وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري المشهور يومئذ . فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم ، فقتله ودفعه الى أهله ملفوفا في كساء . وكان ابن المعتز منحرفا عن العلويين ، وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطلعها :

ألا من لعينٍ وتسكابها تشكى القذاة وتسكى بها
الى أن يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون بأهدابها

(*) انظر في ترجمة البحتري طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٩٤ والموشح للمرزباني ص ٣٣٠ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٨١ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٧٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٦ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٢٤٩ والموازنة بين الطائيين للأمدى واعجاز القرآن للباقلاني ، ودائرة المعارف الاسلامية وراجع في شعره الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ومن حديث الشعر والنثر لطله حسين

لکم رَحْمٌ یابنی بِنْتِهِ وَلَکِنْ أَرَى الْعَمَّ أُولَى بِهَا
بِهِ نَصَرَ اللَّهُ أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَبْرَأَهَا بَعْدَ أَرْصَابِهَا

وعارضه صفی الدین الحلّی بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

أَلَا قُلْ لَشَرٍّ عِبَادِ الْإِلَهِ وَطَاغِي قَرِيشٍ وَكَذَّابِهَا

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد ، ومزيتة على الخصوص بما في شعره من أنواع البديع كقوله في وصف مليح :

وَجَاءَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتْرَأً يَسْتَعْجِلُ الْخَطُو مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ

فَقُمْتُ أَفْرَشَ خَدَّيْ فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى الْأَثَرِ

وَلَا حِ ضَوْءٌ هَلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلَ الْقَلَامَةِ قَدْ قَدَّسَتْ مِنْ الظُّفْرِ

ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

وَمُقَرَّرٌ طَقٍ يَسْعَى إِلَى النُّشْدَاءِ بِعَقِيقَةٍ فِي دُرَّةٍ بِيضَاءِ

وَالْبَدْرِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَدَرِهِمْ مَلْقَى عَلَى دِيَابِجَةِ زُرْقَاءِ

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ سَرَنِي بِمَبِيتِهِ عِنْدِي بَلَا خَوْفٍ مِنَ الرِّقَبَاءِ

ومن تشابيهه قوله :

خَلِيلِي قَدْ طَابَ الشَّرَابُ الْمُرْدُ وَقَدْ عَدْتُ بَعْدَ النُّشَاكِ وَالْعُودِ أَحْمَدَ

فَهَاتَا عَثْقَارًا فِي قَمِيصِ زَجَاجَةٍ كِيَاقُوتَةٍ فِي دُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ

يَصُوغُ عَلَيْهَا الْمَاءُ شِبَاكُ فَضَةٍ لَهُ حَلَقٌ بِيضٌ تَحُلُّ وَتَعْقَدُ

وَقَتْنِي مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ بِنَفْسِهَا وَذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِهَا لَيْسَ يَجْحَدُ

وكان ابن المعتز شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل

اللفظ جيد القريحة ، ومن مزاياه الابداع للمعاني . وكان أيضا من الادباء

والعلماء تثقف على المبرد وتعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والادب ، فألف

فيهما بضعة عشر مؤلفا وصلنا منها :

١ - كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٢ - كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال (*)

٣ - كتاب البديع : وهو أهم كتبه بالنظر الى اختصاصه في هذا الفن ،

منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال (***)

(*) نشرت دار المعارف هذا الكتاب وهو رقم ٢٠ من سلسلة ذخائر العرب

(**) نشر كراتشكوفسكى كتاب البديع سنة ١٩٣٥ - وقد طبع في مصر كما طبع له كتاب فصول التماثيل الاثني ذكره

٤ - كتاب أشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق أهلوارت وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين كتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ، ولم يذكره له مؤرخوه . وعنى لانغ الألماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الألمانية وطبعه في المجلة الألمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ ، وفعل ذلك أيضا لوث وطبعه في ليبسك سنة ١٨٨٢

وقد جمعت أشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والفخر وغيرهما . وكل منها مرتب على الأبجدية ، منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها ، وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطا ونجد أخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٩٩ ، وفوات الوفيات ٢٤١ ج ١ ، والاغاني ١٤٠ ج ٩ ، والفهرست ١١٦ (**)

٤ - البسامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ، ويعرف بابن بسام أيضا . وهو غير ابن بسام الاندلسي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، وأما البسامي فأمه بنت حمدون النديم . وكان شاعرا هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير . وقد هجا أباه وأخوته وسائر أهل بيته ، فمن ذلك قوله في أبيه :

هَبَكَ عُمِّرَتْ عَمْرٍ عَشْرِينَ نَسْرًا أَتَرَى أَتْنِي أَمُوتَ وَتَبْقَى
فَلَنْ تَشْتِ بَعْدَ مَوْتِكَ يَوْمًا لِأَشَقْنَ جَيْبَ مَالِكَ شَقًا
وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ أُمِّيَّةٌ قَدْ أَتَتْ قَتَلَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا مَظْلُومًا
فَلَقَدْ أَتَاهُ بَنُو أَبِيهِ بِشَلِّهِ هَذَا لِعَمْرِكَ قَبْرَهُ مَهْدُومًا
أَسْفَوْا عَلَى أَنْ لَا يَكُونُوا شَارِكُوا فِي قَتْلِهِ فَتَبَّعُوهُ رَمِيمًا
وليس له ديوان معروف ، وله مؤلفات في مناقضات الشعراء وأخبار الأخوص وعمر بن أبي ربيعة ، لم يصلنا خبرها

وأخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ ، والفهرست ١٥٠ ، وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢ (**) (*)

(*) وانظر في ابن المعتز تاريخ ابن الاثير « راجع فهرسه » وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ والاوراق للصولي في أشعار أولاد الخلفاء وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢١ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ١٤٦ والطبرى ج ٣ ص ٢٢٨١ وما بعدها وعريب ص ٢٥ وما بعدها . وراجع أيضا من حديث الشعر والنثر وكتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي (***) وانظر في البسامي معجم الادباء ج ١٤ ص ١٣٩ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٦٣

٥ - الخبز أرزى

توفى سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن أحمد من أهل البصرة ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه * لكنه كان مطبوعا على الشعر ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس أشعاره . فمن غزله قوله :

خليئي هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشئى إلى عبدي
أتى زائرا من غير وعدٍ وقال لى أجلك عن تعليق قلبك بالوَجْدِ
فما زال نَجْمُ الوصل بينى وبينه يدور بأفلاك السعادة والسَّعدِ
فطورا على تقبيلِ رَجسِ ناظرٍ وطورا على تعضيضِ ثِقافة الخَدِ
وله أيضا :

رأيت الهلال ووجهه الحبيب فكانا هلالين عند النَّظَرِ
فلم أدر من حيرتى فيهما هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورث في الوجنتين وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر
وذكر له ابن خلكان كثيرا من الاخبار وأمثلة من الشعر في ترجمته
١٥٣ ج ٢ ، وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢ (*)

٦ - ابن العلاف

توفى سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن على ، كان ضريرا من أهل النهروان جيد الشعر ، واشتهر بقصيدة رثى بها هرا ، والمقصود بالثناء غلام كان له ، قتله على بن الحسين . والقصيدة من أحسن شعره مطلعها :

ياهرث فارقتنا ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عُدَّةً من العُدَدِ
تطرد عنا الأذى وتحرسنا بالغييب من حيَّةٍ ومن جرد
وتخرج الفأر من مكانها ما بين مفتوحها إلى السدد
يلقبك في البيت منهم مدد* وأنت تلقاهم بلا مدد

(*) وراجع في الخبز أرزى معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢١٨ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٩٦

وهي طويلة نشر ابن خلكان أكثرها في صفحة ١٣٨ ج ١ ، والدميري
٢٣٧ ج ٢

ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة
٢٦٠ هـ . وكانت تهاجى الشعراء ويجتمع عندها الأدباء ولها في الخلفاء
والملوك مدائح ، وكانت في أول أمرها تشيع وتتعصب لأهل مذهبها وتقضى
حوائجهم بجاهها عند الملوك . وعشقت سعيد بن حميد وكان منحرفا عن
أهل البيت فانتقلت الى مذهب . ولها أشعار نفيسة منها أمثلة في فوات
الوقيات ١٢٦ ج ٢ والأغاني (*) ١١٤ ج ٢١

(*) أنظر في ترجمة ابن العلاف طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٥٩ وكاريخ بغداد ج ٧
ص ٣٧١ ونكت الهميان ص ١٣٩ وشلوات الذهب ج ٢ ص ٢٧٧

الأدب والآداب

في العصر العباسي الثاني

خطا الأدب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع ، فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الأديب النحو واللغة والأخبار والأمثال معا . وقل من تفرغ لواحد منها ، إلا النحو فإنه استقل في ذلك العصر كما رأيت . ففي هذا العصر أخذ علم اللغة في الاستقلال ، علماء اشتغلوا بتعريف الألفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الأبجدية تمهيدا لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة إلا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة أقسام : الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والأمثال والأشعار وغيرها ، والنحو ، واللغة . فنتكلم عن كل منها على حدة وقبل التقدم الى ذلك لا بد لنا من التنبيه الى أمرين مهمين في تاريخ آداب اللغة : الاول ان الأغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر ، وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقريهما من البادية وسطا بين الحضارة والبداءة . واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين ، فأخذ الأدباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصا بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وخربها . والامر الثاني ان نقل العلوم الى اللغة العربية أكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها ، على مثال ما شاهدوه هناك من الكتب الجامعة لموضوعات مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لأصحاب العصر الاول أوفاهما ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر الموضوعات العلمية والأدبية والفلسفية والتاريخية وغيرها ، وإن لم ينضج التأليف على الإجمال إلا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر بأشياء أهمها :
أ - أنه كان في العصر الماضي مقصورا على النقل بلا تصرف ، فكان هم الأديب أن يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه . . كما كان يفعل حماد ، والأصمعي ، وأبو عبيدة . فأصبح يتدبر تلك الروايات

ويبنى عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوهما عن اليونانية (١)

٢ - ان ما ألم بالأمة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حول هم المفكرين الى نشر الحكم وأخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار ، مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فأخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ - أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف موضوعاتها ومصادرها في كتاب واحد أو بضعة كتب ، وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للأسباب التي قدمناها . . كما في الموشى والعقد الفريد

٤ - تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء ، فقد كان الغرض منه في الاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها . . فأصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف ، وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح في الاكثر الى الاشتغال بالنحو واللغة ، ولم ينقطع الاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه ، وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب ، مع اشتغالهم بفنون أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر ، وهذه تراجمهم حسب سنى الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ - الجاحظ

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى بالولاء ، من أهل البصرة ، ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته ، وكان جده أسود اللون جمالا وعمرو بن قلع الكنانى ، وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمة الادب . نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة وأصحاب اللغة ونبع في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل ، وكان عازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في « سر من رأى » . فلما رآه استبشع منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في أواخر أيامه بالفالج النصفى ، فكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الاخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به من شدة برده .

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٥٢ وما بعدها

وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي ، فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه . . فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة الا طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول : « وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني ، وله أساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به ، واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه قلده فيها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر ، كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول ، وسنعود الى ذلك

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة : جماعة المفكرين في ذلك العهد ، تلقى العلم على أبي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور . وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلاسفة وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد ، وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الإرادة . وان العباد لا يخلدون في النار . وان الله لا يدخل أحدا النار ، وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها . وان الله لا يريد المعاصي . ولا يريد بمعنى أنه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجواهر باقية ، ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

وخلف الجاحظ مؤلفات عدة طبع ونشر كثير منها ، وهاك أهمها :

١ - كتاب البيان والتبيين : في الادب والانشاء وأبحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنسك والزهاد وأمثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحنين وأحاديث ونوادير وغير ذلك ، وهو أصدق مثال للانشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع سنة ١٣٣١ وغيرها (**)

٢ - كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بأنه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٧ مجلدات (***)

٣ - كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والفرائب : في اللغة ، طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ، ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ - كتاب البخلاء : في الادب طبع غير مرة في أوروبا ومصر

(١) الشيرستاني ٤٠ ج ١

(*) وطبعة عبد السلام هرون طبعة محققة ، وهي التي نرجع اليها في التعليقات

(**) نشرت مكتبة الحلبي هذا الكتاب بتحقيق عبد السلام هرون

- ٥ - كتاب سحر البيان : في كوبرلى
 ٦ - كتاب فضائل الأتراك : في أيا صوفيا ، وطبع بمصر مضبوطا بالشكل
 سنة ١٨٩٨
 ٧ - كتاب سلوة الحريف فى المناظرة بين الربيع والخريف : طبع بالآستانة
 سنة ١٣٠٢ وفى مصر ، ٤٤ صفحة
 ٨ - كتاب العرافة والزجر والفراسة : على مذاهب الفرس ، خط فى
 مكتبة ليدن
 ٩ - المختار من كلام الجاحظ وحكم على : بمكتبة برلين
 ١٠ - رسالة من بنى أمية : فى المكتبة الخديوية
 ١١ - ثلاث رسائل : طبعت فى ليدن ، و ١١ رسالة طبعت بمصر (**)
 ١٢ - كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)
 ١٣ - كتاب التاج : فى جملة كتب زكى (باشا) ، وقد قام على طبعه
 وترجمة الجاحظ فى ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٥٤ (***)

٢ - السكرى

توفى سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء
 السكرى النحوى . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الأشعار ،
 وكان راوية البصريين وهو الذى جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين
 وصدر الاسلام الى أيامه عن القبائل والأفراد . فمن الأفراد الذين عمل
 السكرى أشعارهم أى جمعها فى دواوين : امرؤ القيس ، وزهير ، والناطقة ،
 والحطيئة ، ولبيد ، ودريد بن الصمة ، وعمرو بن معديكرب ، والاعشى ،
 والمهلهل ، ومتمم بن نويرة ، وأعشى باهلة ، وبشر بن أبى خازم ، والمتلمس ،
 والمسيب ، وحميد بن ثور ، وحميد الارقط ، وعدى بن زيد ، وعدى بن
 الرقاع ، وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم فى الفهرست

(*) نشرت للجاحظ بمصر ثلاث مجموعات كبيرة من رسائله ، وهى مجموعة السياسى
 والمكتبة التجارية ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهى تتضمن بعض الرسائل التى ذكرها له
 المؤلف ، ونشرت له أيضا رسالة العثمانية بتحقيق عبد السلام هرون ، ونشر له المجمع العلمى
 العربى بدمشق التبصر بالتجارة بتحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ونشر له المعهد الفرنسى
 بدمشق كتاب التربيع والتدوير بتحقيق شارل بلات

(**) وراجع فى ترجمة الجاحظ تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١
 والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٦٠ والملل والنحل للشهرستانى ص ٥٢ ومسروح الذهب
 للمسعودى ج ٤ ص ١٣٦ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ٧٤ وضحى الاسلام . الجزء الاول ، وتاريخ
 الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ٦٢ وكتاب أرنولد Arnold فى المعتزلة ص ٣٨ وما بعدها
 وكارادى فوفى كتابه «مفكر الاسلام» Les Penseurs de l'Islam ج ١ ص ٢٩٥ والفن ومذاهبه
 فى النشر انربى ، الفصل الثالث من الكتاب الاول ، وبحثا نشرته دار المعارف فى سلسلة
 نوايخ الفكر العربى وأمرء البيان لحمد كرد على وتطور الاساليب الثرية لانيلى المقدنى ودائرة
 المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٥٢ ج ١

مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري أيضا . ومن القبائل التي جمع السكري أشعارها : بنو ذهل ، وبنو شيبان ، وبنو ربيعة ، وبنو يربوع ، وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين أيدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه ، وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها . ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرئ القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضا . أما أشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين ، وقد وصل إلينا مقتضبا مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية في مكتبتى باريس وليدن . وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة ، تحتوي على أشعار نحو ثلاثين شاعرا من الهذليين وأخبارهم ، وعنوان هذا الجزء « شرح أشعار الهذليين صنعه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عنه » وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انجليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفصلية والحماسة . وهناك كتاب لما بقى من أشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤ (*)

وللسكري أيضا ، كتاب أخبار اللصوص : فيه أخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في لندن سنة ١٨٥٩ . وكتاب شرح ديوان جرّان العود النميري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية . وكتاب النبات ضاع وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ، ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ ، والفهرست ٧٨ و ١٥٧ و ١٥٩ (***)

٣ - ابن قتيبة

توفى سنة ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ ، وتثقف على أهلها ، وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالما في اللغة والنحو والشرع متفنا في العلوم صادقا فيما يرويه ، مستقل الفكر جريئا في قول الحق . وهو أول من تجرأ على النقد الادبي ، فألف في أكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع ، وبعضها من أمهات كتب التاريخ والادب . وهاك ما وصل إلينا خبره منها :

١ - عيون الاخبار : في عشرة كتب : كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع والاخلاق ، كتاب العلم بأخبار العلم والعلماء ، كتاب الزهد ، كتاب الاخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء ، طبع في وليمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن ، وفي مصر . ومنه نسخ خطية في

(*) نشرت دار الكتب المصرية ديوان الهذليين نشرة كاملة كما نشرت ديوان جرّان العود الاتي ذكره

(**) وانظر في السكري تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩٦ وطبقات الزبيدي ص ١٢٩ ومعجم الادباء ج ٨ ص ٩٤ وأنباء الرواة ج ١ ص ٢٩٢ وبغية الوعاة ص ٢١٨

مكاتب بطرسبرج والاستانة ، وهو أول كتاب من نوعه في أمهات كتب الادب.

٢ - كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن أقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وأنساب العرب وسيرة النبي ومغازيه وأخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف وأهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان وأخبار ملوك العرب والعجم ، وقد طبع في غوتنجن بعناية وستنفيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ - كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو أخبار الشعراء ، وكلها واحد . وهو يحتوى على تراجم «المشهورين» من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله « ويدخل في ذلك أخبار أشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى أيام المؤلف وأمثلة من أشعارهم ، وفيه نظر وانتقاد . وقد طبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ ، وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ - أدب الكاتب : يبحث فيما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بأيامه من الخطأ أو الوهم في معانى الالفاظ أو الاشتقاقات والتراكيب ، مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم . وقد قسم ذلك الى أبواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ، ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبترسبرج . وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انجليزية لسيرول ، وطبع أيضا في مصر مرارا . وله شروح عدة أشهرها شرح البطلينوس المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ، طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقتضاب

٥ - الامامة والسياسة : هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة الرسول الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ، وفي ليبسك ، ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ - كتاب الشراب أو الاشربة : في اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة أو يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية ، وطبع بمصر سنة ١٩٠٧ وفي دمشق بعناية محمد كردعلى

٧ - كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية ، نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا في صفحة ٧١ ج ٢ ، ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ - تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتى برلين وليدن

٩ - كتاب مشكل القرآن : منه نسخ خطية في مكتبة ليدن وكوبرلى (*)

١٠ - المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ - كتاب المسائل والجوابات : أكثره في الحديث ، منه نسخة في مكتبة غوطا

١٢ - كتاب اللبأ واللبن ، طبعه اليسوعيون

وقد ذكر صاحب الفهرست كتاباً آخرى لابن قتيبة أهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتاباً (**) ، وفي مكتبة أيا صوفيا بالآستانة ، نسخة من كتاب اسمه « الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو أو بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب ، وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة . ووقف الأب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره ، نعى كتاب « الرجل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وأبي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٧٢ ، والفهرست ٧٧ (***)

٤ - ابن أبي الدنيا

توفي سنة ٢٨١ هـ

هو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش ، كان يؤدب المكتفى بالله . وله علم بالاخبار ، وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الا :

١ - الفرج بعد الشدة : مجموع أخبار اتفقت لأناس أصابهم فيها بعد الشدة فرج . منه نسخ في برلين وليفن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ . نحا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ أول من ألف في هذا الموضوع . ثم قلدهما سواهما حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، فألف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ - مكارم الاخلاق

٣ - ذم الملاحى : من هذا الكتاب وسابقه نسختان خطيتان في برلين

٤ - فضائل عشر ذى الحجة : في لندن

٥ - كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

(*) طبع هذا الكتاب في الهند

(**) وراجع في ترجمة ابن قتيبة تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٧٠ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٨٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٦٩ ولسان الميزان ج ٣ ص ٣٥٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٧٠ والانساب للسمعاني ٢٤٣ أ وطبقات الزبيدي ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩١ واللباب لابن الاثر ج ٢ ص ٢٤٢ وانباه الرواة ج ٢ ص ١٤٣ وبغية الوعاة ص ٢٩١ وكتب التاريخ في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

- ٦ - اليقين : في كوبرلى بالاستانة
 ٧ - الشكر : في نور عثمانية
 ٨ - قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج
 وترجمة ابن أبي الدنيا في قوات الوفيات ٢٣ ج ١ ، والفهرست
 ١٨٥ (*)

٥ - قدامة بن جعفر

توفي سنة ٣٣٧ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ، كان أبوه نصرانيا وأسلم
 في أيام المكتفى (سنة ٢٨٩ - ٢٩٥) وتولى منصبا كبيرا في الدولة العباسية .
 وكان أدبيا شاعرا ، ألف كتب كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠)
 لم يصلنا منها الا :

- ١ - كتاب نقد الشعر : وهو أول كتاب مستقل في هذا الموضوع ،
 وسنعود اليه . طبع في الاستانة سنة ١٣٠١
 ٢ - كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان ، منه نسخة خطية في
 الاسكوريال (**) (*)
 ٣ - كتاب الخراج : سيأتى ذكره في الكلام على الجغرافية (***)

٦ - الوشاء

في القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحق الاعرابي الوشاء ، أحد الادباء
 الظرفاء في أواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار
 والاخبار ، ذكر له صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتابا في النحو والادب لم
 يصلنا منها الا كتابان :

- ١ - كتاب الموشى : وهو فريد في بابيه يمثل آداب ذلك العصر ، ويتخلله
 كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف
 الازياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من
 الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار
 على الثياب والاعلام والعصائب والزناير والمناديل والستور والوسائد حتى
 النعال ، وعلى المجالس وأنية الشراب والعييدان . فهو فريد في بابيه ،

(*) وانظر في ترجمة ابن أبي الدنيا ومؤلفاته دائرة المعارف الاسلامية
 (**) طبعت جامعة القاهرة هذا الكتاب وقد راجعه وقدم له طه حسين وعبد الحميد العبادي
 (***) راجع في ترجمه قدامة تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥ ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٢
 وكشف الظنون « طبعة لبسك » ج ٣ ص ٦١٩ وسنة وفاته في تاريخ ابن الجوزي وكتب
 التاريخ المختلفة

ومنه نسخة خطية في ليدن . وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ ، وفي مصر سنة ١٣٢٤ ، وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ - كتاب تفريج المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين . وتجد أخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ ، وطبقات الادباء ٣٧٤ (*)

٧ - ابن عبد ربه

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي ، صاحب العقد الفريد . أصله من موالى بنى أمية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ وكان من العلماء الكثيرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس . وكان شاعرا مطبوعا . وإنما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي أى سرد القصة شعرا ، وهو قليل في العربية . له فيه أرجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين . وكان معاصرا له ، وهى منشورة في الجزء الثانى من العقد الفريد

العقد الفريد

أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب وأوسعها ، أو هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر . . حتى الطب والموسيقى ، فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . وهو في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على ألف صفحة كبيرة وهو مقسم حسب الموضوعات وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية أبوابه ، فسمها بأسماء الججارة الكريمة تطبيقا لاسم الكتاب « العقد الفريد » . ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ . والثانى في التعازى والمرائى والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث في أخبار زياد والحجاج والطلبين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحن والنساء والمتنبئين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا تجد مثلها في كتب التاريخ ، فأخبار زياد والحجاج والطلبين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بأيام العرب وأعاريض الشعر وما هناك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك ، نقلا عن كتب ضاعت أصولها . فالعقد الفريد خزانة فوائد ، وهو من أمهات كتب الادب الموثوق بها . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة

(*) وانظر في الوشاء معجم الادباء ج ١٧ ص ١٢٢ والانساب ٥٨٤ ١ وأنباء الرواة ج ٣ ص ٦١ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥٣ وبغية الوعاة ص ٧ والمنتظم « تاريخ ابن الجوزى » في وفات سنة ٣٢٥ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٣٢ وطبقات ابن قاضى شعبة ج ١ ص ٢٨

يومئذ للاضمعى وأبى عبدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التى ترجمت الى العربية فى ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك فى كلامه . وقد طبع العقد الفريد مرارا ، وهو شائع . ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوروبا . وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه فى ابن خلكان ٣٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ، وبتيمة الدهر ٣٦٠ و ٤١٢ ج ١ (*)

٨ - أبو بكر الصولى

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولى ، ويعرف بالشطرنجى ، ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالما بفنون الادب حسن المعرفة بأداب الملوك ، حاذقا فى تصنيف الكتب ، وأمهر أهل زمانه فى لعب الشطرنج ، وكان نديما لجماعة من الخلفاء ، وجمع أشعار كثيرين كما فعل السكرى بأشعار القدماء ، وقد أشرنا الى شيء من ذلك فى أماكنه كديوان ابن المعتز وديوان أبى تمام وأبى نواس والبحترى . وألف فى أخبار الخلفاء وأشعارهم كتابا سماه « الاوراق فى أخبار آل العباس وأشعارهم » قال ابن النديم : « انه لم يتمه ، والذي خرج منه أخبار الخلفاء وأشعار أولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز » . ولكن فى المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولى هى من قبيل أخبار الشعراء (***) رتب اسماءهم على حروف الهجاء ، وفيه أخبار كثيرة عن ابان اللاحقى شاعر البرامكة وابنائهم الشعراء : كمحمد بن ابان ، وابان بن حمدان بن ابان ، وغيرهما . وأخبار أشجع ابن عمرو السلمى وأشعاره مرتبة فى ابواب ، وأحمد بن يوسف وزير المأمون وكاتب دولة بنى العباس وتوقيعاته وكلامه فضلا عن أشعاره . وجاء فى آخر الكتاب انه شرع فى ترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلى ، وتوفى قبل ان يتمها . وذلك يختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب أخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . وأخباره فى طبقات الادباء ٣٤٣ ، والفهرست ١٥٠ و ١٥٦ (***)

(*) وراجع فى ابن عبد ربه مطمح الانفس لابن خاقان « طبعة استانبول » ص ١٥ وبغية الوعاة لاسوطى ص ١٦١ وابن عبد ربه وكتابه العقد لجبرائيل جبوز ، وبحثا آخر فيه لفؤاد أفرام البسناني وانظر دائرة المعارف الاسلامية وكتاب تاريخ الفكر الاندلسى لبالنشيا ترجمة حسين مؤنس ص ٦٢ ، ١٦٩ وما بعدها

(**) نشرت قطع من هذا الكتاب بتحقيق دن Dunne كما نشر للصولى فى القاهرة أيضا كتاب أخبار أبى تمام وكتاب الورقة وكتاب أدب الكتاب

(***) وانظر فى ترجمة الصولى كتاب الانساب ١٣٥٧ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٤٢٧ وروضات الجنات ص ٦٠٩ وسننرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٩ والفلاكة والمفلوكين ص ١٠٣ واللباب فى الانساب ج ٢ ص ٦٣ ولسان الميزان ج ٥ ص ٤٢٧ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣١٩ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٠١ والنجوم الزاهرة « طبع دار الكتب » ج ٢ ص ٢٩٦ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢٣٣ ولسب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضا أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢هـ، وجحظة البرمكى (٣٢٦ هـ) وأبو بكر بن مروان الدينورى المالكى المتوفى سنة ٣١٠ . له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس . وابراهيم ابن ابى عون الكاتب توفى سنة ٣٢٢ ، وله كتاب لب الباب في جوابات ذوى الالباب منه نسخة في برلين . وأبو الازهر بن مزيد النحوى (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين فى الاسكوريال . (ولابى القاسم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم فى مكتبة برلين) وأبو بكر الخرائطى السامرى المتوفى سنة ٣٢٧ ، له كتاب اعتلال القلوب فى المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق فى ليدن

الانشاء فى العصر العباسى الثانى

رأيت ما كان من أسلوب الانشاء فى صدر الاسلام وما كان فيه من البلاغة والايجاز حتى انتهى فى العصر الاموى الى عبد الحميد الكاتب ، فأطال الرسائل وادخل التحميدات فى فصول الكتب . فلما كان العصر العباسى الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين فى ذلك العصر كما يظهر فى ترجمة كليله ودمنة ، وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

أسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا أراد التأنق فى الانشاء فى معرض الخطابة أو التهديد أو التنبيه ، عمد الى السجع ونوع عبارته تنويعا خاصا كما فعل فى كتبه الاخرى ولا سيما الادب الكبير والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى الادب الكبير :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . . فرأيت أمرا استقام بغير رأى ، وأعوانا جزوا بغير نبل ، وعملا انجح بغير حزم ، فلا يغرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة فى انفس أقوام وحلاوة فى انفس آخرين »

وقد يتفنن فى تقطيعه كقوله : «وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجسادا ، وأوفر مع أجسادهم أحلاما ، وأشد قسوة وأحسن بقوتهم للأمور اتقانا ، وأطول أعمارا وأفضل بأعمارهم للأشياء اختبارا »

وفى كل حال لابد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل أو المقالات الادبية ونحوها ، فانشاء الكتب لايزال مرسلا بلا سجع أو تقطيع مثل كتاب كليله ودمنة . وأما الرسائل أو المقالات الادبية أو الفصول التى يصدرن بها الكتب ، فهى من قبيل الخطب . . فالكاتب يتأنق فيها ويبذل جهده فى تنميقها ، كما فعل ابن المقفع فى كتابه الادب الكبير التى اتينا بالمثالين المذكورين منها . . فالتنويع الذى يصيب الانشاء بتوالى العصور انما يقع على هذا الانشاء فى الغالب ، وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما كان العصر العباسي الثاني، نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لا يشق لهم غبار ، امامهم الجاحظ . . وضع اسلوباً في الانشاء قلده فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر ، لكن بدون وزن ولا قافية ، أو هو سجع لا تشترط فيه القافية كقوله : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سببا وبين الصدق نسبا ، وحبب اليك التثبت ، وزين في عينك الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرده عنك ذل اليأس . . الخ » وقد ادخل الدعاء حشوا معترضا يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

« وليس حفظك الله مضره سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة ، وعن الحصر من فوات درك الحاجة ، والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »

وهذا الأسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ ، وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفهاني جامع ديوان أبي نواس - فانه من أهل العصر الثاني وأسلوبه كأسلوب الجاحظ - قال في مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك ، وزادك من أفضل ما خولك ، وأحسن ما منحك ، ولا أعدمك جميل ما عودك ، ان اصرف لك عنايتي الى عمل مجموع من شعر أبي نواس . . يشتمل على كل أشعاره ، وجل اخباره . وقد اسعفتك ايدك الله بطلبتك واجبتك الى ملتمسك . . الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلاغاً للمعنى وأشد تأثيراً في النفس ، حتى رأيانهم ينتقدون ما كان شائعاً من الإيجاز في صدر الإسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه في بيعته : « أما بعد . . فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب ، والصواب ان يطيل ويكرر ويعيد ويبدى ويحذر وينذر . . »

ولا يؤخذ من ذلك ان تكون أساليب الكتاب في ذلك العصر واحدة س كل وجه ، فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي ان يكون لكل كاتب أسلوب يعرف به . ولكن أبناء العصر الواحد تتشابه أساليبهم ، ويغلب ان يكون أحدهم مقدما يسرون على خطواته فيقلدونه في أسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام أهل الادب وقدة المتشئين

سعاد البضاعة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كساد كما أصاب الشعر ، للأسباب

التي قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط ،
وانصرف الناس الى الفلسفة والطبيعات والمنطق من العلوم الحسنة
عندهم ، وشيوع الشعوبية والطعن على العرب وكفائتهم وعلومهم ..
فأصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة
وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « رأيت كثيرا من كتاب زماننا كسائر
أهله قد استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، واعفوا أنفسهم من
كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر ، حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا
البغية بغير آلة . ولعمري لئن كان ذاك ، فأين همة النفس وأين الانفة من
مجانسة البهائم . وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب
اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه ، وارتضاه لسهرة فقرا عليه يوما كتابا .. وفي
الكتاب (ومطرنا مطرا كثر عنه الكلا) فقال له الخليفة ممتحنا : (وما
الكلا ؟) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال : (لا أدري) فقال له :
(سل عنه) وفي مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتابا ذكر
فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفا اضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه ، وذكر الشروط
اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية
والادبية فضلا عن اللغوية ، كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية
ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ، ومن اسمه
متطيرين ولاهله كارهين . أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم ، والشادي
تارك للازدياد ، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل في
جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين ، فالعلماء مغمورون وبكثرة
الجهل مقموعون ، حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر ، وبارت
بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه ، والفضل نقصا ، وأموال
الملوك وقفا على النفوس ، والجاه الذي هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق،
وأضت المروءات في زخارف النجد وتشديد البنيان ، ولذات النفوس في
اصطفاق المظاهر ، ومعاطاة الندمان . ونبلت الصنائع وجهل قدر
المعروف ، وماتت الخواطر ، وسقطت همم النفوس ، وزهد في لسان
الصدق ، فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط قوي الحروف،
وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا في مدح قينة أو وصف
كأس ، وارفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر
في شيء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو
لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب
وهو لا يدري من نقله .. الخ »

وتكاثرت دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة ، وتوهموا انه يحلو
بالاكتثار من اللفظ الغريب ، فأنحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . وأتى مثلا

على ذلك بقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امراته فقال له : « ان سألتك
 ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف
 ابن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط : « والله ان كانت الا اثيابا في اسيفاط
 قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب
 غرض ، والزمان زمان ، وأهله يتحلون فيه بالفصاحة ، ويتنافسون في
 العلم ، ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون ، فكيف به
 اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل
 للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابى على القالى . ونزید علیها
 العقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني لابى الفرج الاصفهاني . وإذا أريد
 الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع
 . ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني وأكثر أدبائه من المنشئين
 وسيخطو خطوة أخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدهم من النحاة لأنهم اشتغلوا في النحو ، وانما جعلنا أكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ، ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . . فانصرف قرائحهم الى ما دعت اليه المدنية من الاشتغال بالادب واللغة ، وأصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات وان كان قد ألف بعضهم فيه مختصرات أو في بعض أبوابه أو تعليقا على كتاب سيبويه . . فان أصحاب هذه المختصرات أو التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال بالنحو ، فنتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم ، وهم :

اشهر النحاة في هذا العصر

١ - أبو عثمان المازني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من أهل البصرة . . أخذ عن أبي عبيدة والاصمعي ، واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ أهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يصلنا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال ، لئلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ، ومن جملتها جائزة على أعراب

أظلم إن مصابكم رجلا أهدي السلام تحية ظلم

في حديث طويل . وكان المازني معاصرا لأبي عمر الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني أول من دون علم التصريف ، وكان قبل ذلك مندرجا في علم النحو

وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ ، وطبقات
الادباء ٢٤٢ (*)

٢ - أبو العباس ثعلب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى مولى بنى
شيبان ، ويعرف بثعلب ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتلقى العلم على ابن
الاعرابي . وكان حجة مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية
ورواية الشعر القديم ، فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين
والبصريين في زمانه ، أقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ ، وألف في
أكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتابا ذهب معظمها . واليك ما وصل إلينا
خبره منها :

١ - كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب ، اختار فيه الفصيح من
كلام العرب مما يجرى في كلام الناس ، طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو
٧٠ صفحة . وقد ألف انتقادا عليه أبو القاسم على بن حمزة البصرى
سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط ، منه نسخة خطية في
الاسكوريال . وللشيخ أبي سهل الهروى شرح على الفصيح ، سماه التلويح
في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ، ومعه ذيل على الفصيح لموفق
الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ . وشرحه أيضا أبو العباس الترمذى
شرحا سماه شرح غريب الفصيح ، منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية
بالأستانة . وقد كتب الزجاج نقدا عليه منه نسخة في كتب الشنقيطى
بالمكتبة الخديوية

٢ - كتاب قواعد الشعر : جاء في أوله أن قواعد الشعر أربع : أمر
ونهى وخبر واستخبار ، وأتى بأمثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول . .
منه نسخة خطية في الفاتيكان ، وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة

٣ - شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال (***)

٤ - شرح ديوان الاعشى : في تلك المكتبة أيضا (***)

٥ - كتاب الامالى : ذكره صاحب المزهرة وخزانة الادب ، منه نسخة
خطية في مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس
ثعلب في ١٣٢ ورقة (****)

(*) وراجع في ترجمة المازنى طبقات النحويين البصريين للسيرافى « طبعة كرنكو » ص ٧٤
والانساب ٥٠٠ ب وتاريخ بغداد ٧ ص ٩٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١٣ وطبقات القراء لابن
الجزرى ج ١ ص ١٧٩ والفلاكة والمفلوكين ص ٧٠ وطبقات الزبيدى ص ٥٧ ولسان الميزان ج ٢
ص ٥٧ وانباء الرواة ج ١ ص ٢٤٦ وبغية الوعاة ص ٢٠٢ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٨١
(**) طعت دار الكتب هذا الشرح لديوان زهير

(***) هذا الشرح أحد الشروح التى اعتمد عليها جابر فى نشر ديوان الاعشى

(****) نشر عبد السلام هرون هذه المجالس بمكتبة دار المعارف

أخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٩٣ ، ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ ، والفهرست ٧٤ (*)

٣ - أبو اسحق الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج . . سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج ، تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجر بمشقة لقلة ذات يده . ثم طلب بعضهم معلما من المبرد فدلهم عليه ، وصار مؤدبا للقاسم بن عبيد الله بن سليمان . . فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة ، هاء ما بقى منها :

١ - كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جدا ، تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره ما نصه : « قرأه على أبو جعفر أحمد بن محمد مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ . . » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج في الفهرست
٢ - كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة في غوطا

٣ - كتاب خلق الانسان في اللغة : وفيه أسماء أعضاء الانسان ، ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ - كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالآستانة وفي المكتبة الخديوية . وتجد أخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ، ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٠٨ ، والفهرست ٦٠ (**)

٤ - ابن الانباري

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري ، من أهل الانبار ، وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . كان أبوه أبو محمد الانباري من أهل الاخبار والنحو ، فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب .

(*) وانظر ترجمة ثعلب في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٤ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧ وطبقات الزبيدي ص ٩٩ وطبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ١٤٨ ومراة الجنان ج ٢ ص ٢١٩ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٥٢ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٢٧٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٣٣ وبغية الوعاة ص ١٧٢ وأنباء الرواة ج ١ ص ١٣٨ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وراجع في الزجاج أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠٨ والانساب ١٧٢ : ١ وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٨٩ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ١٧٠ وروضات الجنات ص ٤٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٩ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ١٦٥ واللباب ج ١ ص ٣٩٧ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٨ وبغية الوعاة ص ١٧٩ وطبقات الزبيدي ص ٨١ وانباء الرواة ج ١ ص ١٥٩ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته

وكان يضرب به المثل بسرعة الخاطر وحضور البديهة . وكان قوى الذاكرة يملئ علمه مما حفظه في ناحية ، وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد . وكان ابن الأنباري يحفظ ٣٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن ، وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن بأسانيدھا وذلك من غرائب الحفظ . وألف في النحو واللغة والأدب والقرآن والحديث . وكان يطيل التأليف ، فمن كتبه كتاب غريب الحديث ٠٠ قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما . واليك ما وصلنا من كتبه :

١ - كتاب الاضداد في النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ ، وفي مصر سنة ١٩٠٧ .

٢ - كتاب الزاهر : في معاني كلمات الناس ، منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة . وسيأتى ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي

٣ - شرح المفضليات : منه نسخ خطية في اياصوفيا ويني جامع والمكتبة الخديوية (*)

٤ - كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلي

٥ - كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ ، والفهرست ٧٥ (**)

٥ - ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجاج ، واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد ، من أهل مصر ، وقد توفي فيها . وخلف كتاباً في النحو اسمه المقصور والمدود ، منه نسخ خطية في برلين وباريس . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ ، وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء (***)

٦ - أبو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج ، وقد

(*) نشر ليال هذا الشرح مع مقدمة تفيصة

(**) وراجع في ترجمة ابن الأنباري الانساب ٤٩ أ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٨١ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٥ وطبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٠ واللباب ج ١ ص ٦٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٩٤ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٠٦ وروضات الجنات ص ٢٠٨ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢٠١ وبغية الوعاة ص ٩١ وطبقات الزبيدي ص ١١١ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ١٢٠ والنجوم الزاهرة - ٣ ص ٢٦٩ ودائرة المعارف الاسلامية في مادة الأنباري

(***) وأنظر في ابن ولاد طبقات الزبيدي ص ١٤٨ ومعجم الأدباء ج ٤ ص ٢٠١ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣١١ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٤٦ وانباء الرواة ج ١ ص ٩٩ وبغية الوعاة ص ١٦٩ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨

يسمى الصفار . وهو غير ابن النحاس النحوى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . أصله من مصر ورحل الى بغداد . فأخذ عن المبرد والاختش والزجاج وغيرهم ، ثم عاد الى مصر فأقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع ، وخلف مؤلفات كثيرة في اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

- ١ - شرح المعلقات السبع : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
 - ٢ - كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم
 - ٣ - كتاب معاني القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضا
 - ٤ - ناسخ القرآن ومنسوخة : فى المتحف البريطاني
- وتجد ترجمة النحاس فى معجم الادباء ٧٢ ج ٢ ، وابن خلكان ٢٩ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٦٣ (**)

٧ - أبو القاسم الزجاجي

توفى سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من أهل نهاوند ، أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم فى دمشق وطبرية ومات فيها . ولم يذكر له الفهرست الا كتابا فى القوافى لم نقف عليه . وقد وصل اليها مما ينسب اليه :

- ١ - كتاب الجمل فى النحو : هو أهم مؤلفاته ، منه نسخ خطية فى أكثر مكاتب اوربا (**) وله شروح منها شرح ابن العريف ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية ، وقد شرحه البطليوسى وانتقده هو وغيره . ومنها شرح لابن الضائع ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية قديمة الخط
- ٢ - الزاهر : جمع فيه ألفاظ الزاهر للانبارى المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتى ذكره مع تنقيح وتهذيب ، منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية فى ١٧٩ ورقة

- ٣ - الامالى فى اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤
- وترجمته فى ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٧٩ ، والفهرست ٨٠ (***)

(*) وراجع فى ترجمة أبى جعفر النحاس الانساب ١٥٥٥ وطبقات الزبيدى ص ١٤٩ وطبقات ابن قاضى شهبه ج ١ ص ٢٣٦ و امرأة الجنان ج ٢ ص ٣١١ وروضات الجنات ص ٦٠ وأنباه الرواة ج ١ ص ١٠١ وبغية الوعاة ص ١٥٧ وحسن الحاضرة ج ١٠ ص ٢٢٨ والزهر ج ٢ ص ٤٢٠ ، ٤٦٦ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٠ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٢٢ والفلاكة والمفلوكين ص ٨٠ (***) طبع هذا الكتاب طبقات مختلفة (***) وانظر فى أبى القاسم الزجاجي الانساب ٢٧٢ ١ وطبقات الزبيدى ص ٨٦ واللباب ج ١ ص ٤٩٧ وروضات الجنات ص ٤٢٥ وبغية الوعاة ص ٢٩٧ وأنباه الرواة ج ٢ ص ١٦٠ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر أغضينا عن تراجعهم ، لانه لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر : كابن الحائل وابي عمرو الزاهد ، والحامض ، واليزيدي ، وابن السراج ، ونفطويه ، والمنذري ، والاخفش الاصغر ، وابن المرزبان ، وعمر الجرمي ، وغيرهم

مذاهب البصريين الكوفيين في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدل بين البصريين والكوفيين (*) في قواعد النحو ، واختلفوا في كثير من أحكامه وشروطه . وقد ألف في ذلك الاختلاف كثيرون أشهرهم : كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ، وألف كتابا في « الانصاف في مسائل الخلاف » ، وأبو البقاء العكبري ألف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » ، وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتابين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر آباد الهند سنة ١٣١٧ هـ في أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسألة ومسألتين . . هذه أمثلة منها :

عند الكوفيين	عند البصريين
الاسم مشتق من الوسم	الاسم مشتق من السمو
معربة في مكانين	الاسماء الستة معربة في مكان واحد
المصدر مشتق من الفعل	الفعل مشتق من المصدر
يجمع	الاسم المنتهى بتاء التانيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون
معرب	فعل الامر مبني
المبتدأ يرفعه الخبر	المبتدأ مرتفع بالابتداء
يتضمن	الخبر ان كان اسما مختصا لا يتضمن ضميرا
يقام	لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول
اسمان	نعم وبئس فعلا مبنيان
يبني من السواد والبياض	لا يبني فعل التعجب من الالوان
لا يجوز	يجوز تقديم خبر ليس عليها
يجوز	لا يجوز تقديم الاستثناء في أول الكلام
يجوز	يقال قبضت الخمسة عشر درهما ولا يقال الخمسة عشرة درهما

(*) لم يحتدم هذا الجدل في العصر العباسي الثاني وما بعده فقط ، بل لعله احتدم في العصر العباسي الاول بأقوى مما احتدم فيما بعد ، بل لقد أخذ هذا الاحتدام يضعف من بعد أواخر القرن الثالث للهجرة ، فكان ثعلب خاتمة نحاة الكوفة المهمين ، كما كان المبرد خاتمة نحاة البصرة

اللغة والفويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يعد لغويو هذا العصر أيضا من النحاة أو الأدباء ، لكننا أفردناهم لاشتغالهم على الأكثر باللغة . . نعى اللفاظ من قبيل المعاجم ، أو ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الآتي ، على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فالف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم ، وهم :

١ - أبو عمرو الهروي

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي ، كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للشعار والخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء ، وإنما ذكرناه لانه ألف معجماً في اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره ، وقد ذكره صاحب طبقات الأدباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف (*)

٢ - أبو حاتم السجستاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، كان عالماً باللغة والشعر . أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والاصمعي ، ولم يكن حاذقاً في النحو . . لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً ، أكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في أصل مشترك تدخل في باب واحد : ككتاب الحشرات ، وكتاب خلق الانسان ، وكتب الوحوش ، والسيوف ، والابل ، والجراد ، والكرم ، ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي أو الطبي أو الزراعي ، وإنما يراد بها الوجهة اللغوية لتمييز المسميات بأسمائها واليك ما وصل إلينا من كتبه :

(*) وانظر في ترجمة أبي عمرو الهروي معجم الأدباء ج ١، ص ٢٧٤ وتهذيب اللغة للزهري ج ١ ص ١٢ وانباه الرواة ج ٢ ص ٧٧ وبغية الوعاة ص ٢٢٦

١ - كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ ، فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى أعمارهم . وبلغ عددهم مائة وعشرة رجال في جملتهم طائفة من الشعراء : كعبيد بن الأبرص ، ولييد ، وعمرو بن قميئة . وجماعة من السادة والفرسان : كأكثم بن صيفى ، وعامر بن الظرب ، ودريد بن الصمة ، وزهير بن جناب ، وغيرهم . والكتاب رواية أبى روق الهمداني ، لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . . طبع ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للأصل والباقي للمقدمة والتعليق . وطبع أيضا بمصر سنة ١٩٠٥

٢ - كتاب النخلة : طبع في بالرمو بإيطاليا سنة ١٨٣٧ ، وفي رومية سنة ١٨٩١ ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
وتجد ترجمة أبى حاتم السجستاني في طبقات الادباء ٢٥١ ، والفهرست ٥٨ ، وابن خلكان ٢١٨ ج ١ (*)

٣ - أبو العباس المبرد

توفي سنة ٢٨٥ هـ

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي ، نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد . ويعرف بالمبرد ، ولد سنة ٢١٠ هـ في البصرة ، وانتقل الى بغداد . وكان شيخ أهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وأبى عثمان المازني . وأخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوى الذاكرة كثير الحفظ معاصرا لثعلب المتقدم ذكره ، وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء (١) . وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب ، وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان . وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد . وكان المبرد كثير الأمالي يملئ علمه على الطلبة أو على من يدونه . وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفا في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك ، وهاك ما وصلنا منها :

١ - الكامل : هو كتاب في الادب وصفه المبرد بقوله : « هذا كتاب الفناء يجمع ضروبا من الآداب بين منشور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية أن يفسر كل ما يقطع فيه من كلام غريب أو معنى مغلق » فهو يعد من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه

(*) وراجع في ترجمة أبى حاتم أخبار النحويين البصريين ص ٩٣ والانساب ٢٩١ ب وتهذيب التهذيب - ٤ ص ٢٥٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٣٦١ وطبقات القراء ج ١ ص ٣٢٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٢٦٣ وطبقات الزبيدي ص ٦٤ وبغية الوعاة ص ٢٦٥ وانباء الرواة ج ٢ ص ٥٨ والفلاكة والمفلوكين ص ٨٦ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٢
(١) ابن خلكان ٥٩٥ ج ١

كثير من الفوائد التاريخية ، أهمها فصل في الخوارج يحوى حقائق هامة من تاريخ بنى أمية . وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ م ، وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ ، وفي مصر سنة ١٣٠٨ هـ

٢ - كتاب المقتضب : عليه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ ، منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ - كتاب التعازى والمراثى : منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٤ - رسالة فى الجواب على سؤال وجهه اليه الواصل بشأن الشعر والنثر ، منه نسخة خطية فى مكتبة ميونيخ وأخرى فى برلين

وترجمته فى ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٧٩ ، والفهرست ٥٩ (*)

٤ - الفضل بن سلمة

فى أواخر القرن الثالث

هو أبو طالب الفضل بن سلمة بن عاصم اللغوى . وكثيرا ما يقع الالتباس بينه وبين الفضل بن محمد الضبى الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب فى ذلك ما يجدونه فى ترجمة ابنه محمد فى ابن خلكان اذ زاد فى نسبه هناك لفظ « الضبى » ونظن ذلك سهوا من ابن خلكان أو من النساخ . لأن نسبه فى الفهرست وفى طبقات الادباء ليس فيه لفظ « الضبى » ويؤيد ذلك أن ابن خلكان لم يترجم الفضل الضبى الاديب . ووقع فيما نقله ابن خلكان من ترجمة الفضل بن سلمة تشويش فى أسماء مؤلفاته ، فجاء اسم كتاب الفاخر « الفاخر » وكتاب البارع « التاريخ » وهو خطأ فى النسخ أو الطبع . والفضل بن سلمة من لغوى العصر العباسى الثانى على مذهب أهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطأه فى كتابه . وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفا لم يصلنا منها الا :

١ - كتاب الفاخر : فى اللغة وموضوعه معانى ما يجرى على السنة العامة فى أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون معناه . . فيأتى بالمثل ويشرحه على نحو ما فى كتاب مجمع الامثال للميدانى ، منه نسخة فى كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية فى ١٤٦ صفحة كبيرة ، ونسخة أخرى من جملة كتب زكى (باشا) فى ١٣٥ ورقة

٢ - كتاب العود والملاهى : فى آلات الطرب ، وهل تعاطيها يخالف

(*) وراجع فى ترجمة المبرد طبقات النحويين البصريين ص ٩٦ والانساب للسمعاني فى « الثمالي » الورقة ١١٦ أ وتاريخ بغداد ٣ ص ٣٨٠ وسمط اللالى ٣٤٠ وشنرات الذهب ج ٢ ص ١٩٠ وطبقات القراء لابن الجرزى ج ٢ ص ٢٨٠ وطبقات ابن قاضى شسبه ج ١ ص ١٤٦ واللباب فى الانساب ج ١ ص ١٩٧ ولسان الميزان ج ٥ ص ٤٣٠ ومرآة الجنان ج ١ ص ٢١٠ والمزهر ج ٢ فى مواضع متفرقة ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١١١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٩ وروضات الجنات ص ٦٠٠ وطبقات الزبيدى ص ٧٠ وأنباه الرواة ج ٣ ص ٢٤١ وبغية الوعاة ص ١١٦ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

التقوى . وهو يرى انه جائز واتى بأدلة على ذلك . . منه نسخة في جملة كتب زكى (باشا)

وترجمة المفضل في الفهرست ٧٣ ، وطبقات الادباء ٣٦٥ ، وابن خلكان ٤٦٠ ج ١ (*)

٥ - ابن دريد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . ولد في البصرة سنة ٢٢٣ ، ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن أخي الأصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان ، وأقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس ، وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس . وألف لهما كتاب الجمهرة الآتى ذكره ، فقلداه الديوان . وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر الا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس . فأجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد في اللغة ، وكان من أكابرها مقدما فيها وفي الانساب والاشعار . وكان شاعرا كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه بن ميكال وولديه ، مطلعها :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرّةً صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسودّه مثل اشتعال النار في جزل العصى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتا ، وفيها كثير من آداب العرب وأخبارهم وحكمهم وأمثالهم

وعارضه فيها جماعة من الشعراء ، وشرحها كثيرون . وله قصائد أخرى ، وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان أكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام بها مقام الخليل بن أحمد ، وأورد أشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفا ، هاك ما بلغنا خبره منها :

١ - المقصورة : أو كتاب المقصور والمدود ، قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ ، وفي هردوفيكي سنة ١٧٨٦ ، وفي غيرهما . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب أوروبا ، أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطأ للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى

(*) وانصر في المفضل بن سلمة تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٢٤ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٥٤ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٦٣ ومراتب النحويين ص ١٥٧ وانباء الرواة ج ٣ ص ٣٠٥ وبنية الوعاة ص ٣٩٦ والمزهر ج ٢ ص ٤١٣

سنة ١٠٣٣ هـ ، واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب أوروبا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الأخرى

٢ - الجمهرة في اللغة : وهي أهم مؤلفاته بالنظر إلى اللغة لأنها معجم مرتب على أحرف الهجاء ، اتبع في ترتيبه كتاب العين للخليل . فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي فالرباعي فملحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد . ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على أبجدية الخليل . وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا ، فإنه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالأحرف الثلاثة التي أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع حروفها . فيقول : « ع ل ن الأمر يعلنه علنا . . . » واللعن أصله الإبعاد . . . والنعل معروف . . . ونعل الفرس ما أصاب الأرض من حافرة الخ . وقد سماه الجمهرة لأنه اختار فيه الجمهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية (*) في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي وبنى جامع ونور عثمانية وأيا صوفيا بالاستانة ، ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

٣ - كتاب الاشتقاق : في أسماء القبائل والعماثر وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم ، وفيه فوائد لغوية . طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ - صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩

٥ - كتاب الملاجن : طبع في هيدلبرج سنة ٢٨٨٢ ، وفي مصر

٦ - كتاب المجتبى : فيه أقوال الرسول موجودة في المتحف البريطاني واكسفورد

٧ - كتاب السحاب والغيث وأخبار الرواد : طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٣٢٢ ، والفهرست ٦١ (***)

٦ - عبد الرحمن الهمداني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني ، كان اماماً في اللغة والنحو وكاتباً لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي ، له مؤلفات جزيلة الفائدة

(*) طبعت الجمهرة في الهند

(**) وراجع في ترجمة ابن دريد الانساب ٢٢٦ ١ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٥ وشيخات الذهب ج ٢ ص ٢٨٩ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤٥ وطبقات ابن قاضي شهبة ٢ ص ٣٣ والذباب ج ١ ص ٤١٨ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٣٢ ومراة الجنان ج ٢ ص ٢٨٢ ومعجم الأدباء ١٨ ص ١٢٧ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٤٦١ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٦٢ والوافي بالوفيات «طبعة استانبول» ج ٢ ص ٣٣٩ وروقات الجنات ص ٦٠٥ وانباء الرواة ج ٣ ص ٩٢ وبغية الوعاة ص ٣٠ والفلاكة والمفلوكين ص ٧٣ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته ودائرة المعارف الإسلامية

لم يصلنا منها الا كتاب الالفاظ الكتابية . . وهو مما يستعان به في تنميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة ، كل منها مجموع في باب خاص من قبل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها (*)

ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لأبى الحسن الهنائى المعروف بكراع في أوائل القرن الرابع للهجرة ، رتبته على ستة أبواب في أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والأرض ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضا مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

(*) وانظر فى الهمدانى الفهرست وانباء الرواة ج ٢ ص ١٦٥ ومقدمة كتابه الالفاظ الكتابية

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت في كلامنا عن التاريخ في العصر الماضي أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات ، وذكرنا أشهر من ألف في ذلك . ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لأخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضي . وإنما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس (١) وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الأمم . وقد تقررت أحكام الشرع ، فلم تبق حاجة الى الخوض في الفتوح وأسبابها . . فاقصروا على تلخيص أخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها . وضعفت العصبية العربية لتسلط الأتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض في النسب وعلومه . وشاعبت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام ، فاتجهت الأفكار الى تأليف الكتب الخاصة في أحوال المدن وأحوال الأمم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرع عنه ، نعى أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعراءهم وسائر أحوالهم . فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر ، فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم . . كان من جملة فروعه ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر أو نحو ذلك . وتوسعوا فيه ، فصار تاريخاً ، لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم في جملة علماء الادب كالاصمعي وأبي عبيدة ، وإنما جعلناهم في جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام : (١) مؤرخو الفتوح (٢) مؤرخو أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها (٣) مؤرخو البلدان والأمم أي تاريخ كل بلد أو أمة على حدة . . أو التاريخ الخاص (٤) مؤرخو التاريخ العام . واليك أشهر من ألف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

اولا - مؤرخو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامي لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٦ ج ٣

الفتوح إلا ما كتبوه في فتح بعض المدن أو الممالك بعد فتح بيت المقدس أو نحوه أو نقل ما مضى . وهاك أشهر مؤرخي الفتوح :

١ - ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الإسلامية الخاصة في صدر الإسلام ، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من أهل مصر . كان أبوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيها من أصحاب مالك وأفضت إليه رئاسة المالكية ، وكان غنيا وجيها . وفي أيامه أتى الإمام الشافعي إلى مصر ، فدفع إليه ألف دينار ، وأخذ له من ابن عسامة التاجر ألف دينار ، ومن رجلين آخرين ألف دينار . وكان لعبد الله هذا ولدان : محمد صاحب الإمام الشافعي ، والآخر عبد الرحمن الذي نحن في صددده . وله مؤلف واحد كبير اسمه « فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح إفريقية طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة إنكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بإدارة لجنة تذكاري جيب الإنكليزية في لندن ، (*) وأخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١ (**)

٢ - البلاذري

توفي سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . وهو خاتمة مؤرخي الفتح ، ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة ، ونشأ في بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وعهد إليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور . وكان شاعرا وكاتبا ومترجما ينقل من الفارسية إلى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن بُرْدَ المصطفى إذ حوِيته يَظُنُّ لَظَنَ البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيتَه فلبسته نَعَمْ هذه أعطافه ومناكبِه

وذكر صاحب الفهرست أنه وسوس في آخر أيامه ، فأخذ إلى البيمارستان لأنه شرب تمر البلاذري على غير معرفة ، ومنه اسمه . ومات على الأغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ - فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر أنه مختصر من كتاب أطول منه ، كان قد أخذ في تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى

(*) طبع هنري ماسيه الجزء الخاص بمصر من هذا الكتاب سنة ١٩١٤ ثم طبعه تورى Torrey بجميع اجزائه في لندن سنة ١٩٢٢

(**) راجع في ابن عبد الحكم حسين المحاضرة للسيوطي ج ١ فصل من كان ببصر من الفقهاء المالكية ، والولاية والقضاة للكندي طبعة جيست Guest المقدمة ص ٢٢ ودائرة المعارف الإسلامية

بهذا المختصر . ذكر فيه أخبار الفتوح الإسلامية من أيام الرسول الى آخرها بلدا بلدا ، لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة . وضمنه فصلا عن الفتوح أبحاثا عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كأحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في لندن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق دى غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ ، وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها .

٢ - أنساب الأشراف : ويسمى أيضا الأخبار والأنساب ، وهو مطول في ٢ مجلدا لم يتم . وكان ضائعا فعثر المستشرق الألماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادى عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم ، فرجح انه من أجزاء كتاب البلاذرى الذى نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٥٠ صفحة . وفيه كثير من أخبار بنى أمية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير وأخيه عبدالله وأخبار الخوارج (*)

وترجمة البلاذرى في الفهرست ١١٣ ، وفي صدر طبعة فتوح البلدان (**)

ثانيا - مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه . والغالب في هؤلاء أن يكون ما يكتبونه مقصورا على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر أحوالهم ، ويدخل في ذلك أيضا أنساب العرب ٠٠ لان الأنساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل ، لم يبق لها شأن سياسى حيوى . وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدر عليه المال ، أصبح مقصورا على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في أوائل الدولة ، فأصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل في هذا الباب أيضا أخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو ما يتألف من ذلك كالطبقات ونحوها ، وهاك أشهرهم :

١ - محمد بن حبيب

توفى سنة ٢٤٥ هـ

هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية مولى بنى العباس . كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الأعرابى وقطرب وأبى عبيدة وكان مؤدبا . وقد ألف كتبا كثيرة ذكر منها ابن النديم

(*) وقد طبع أيضا الجزء الخامس من أنساب الأشراف في القدس وتقوم الان الجامعة العربية بنشره كاملا

(**) وانظر في البلاذرى معجم الادباء ج ٥ ص ٨٩ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلن ١٤١ ج ١

٣٣ كتابا في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة ، وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ - كتاب القبائل والايام الكبير : هو أهم كتبه ، ألفه للفتح بن خاقان ، وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست ، وقال في وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرات في نحو أربعين جزءا ، في كل جزء ٢٠٠ ورقة وأكثر . ولهذه النسخة فهرست لما تحتوى عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد ، وانما ذكرناه لأهميته لعل أحدا يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ - مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان أسماء القبائل المتشابهة لفظا ، المختلفة نسبا ، وضبط لفظها جيدا . وهو جزيل الفائدة مع صفه ، طبعه وستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٥٠

٣ - كتاب من نسب الى أمه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جنى (*)

٤ - كتاب المحبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن الرسول والصحابة والخلفاء ، منه نسخة خطية في المتحف البريطاني (**)

٥ - كتاب المفتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكى باشا ، ويسمى أيضا كتاب من قتل غيلة

وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦ (***)

٢ - الزبير بن بكار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو أبو عبدالله الزبير بن بكار ، ويتصل نسبه بعبدالله بن الزبير بن العوام . كان من أعيان العلماء في المدينة ، ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مرارا آخرها سنة ٢٥٣ هـ ، وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ . وكان شاعرا أدبيا جليل القدر ، بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده . وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت وعشرة بغال يحمل عليها رحله الى سر من رأى

(*) نشر عبد السلام هرون هذه الرسالة في سلسلة نواذر المخطوطات « المجموعة الاولى » كما نشر لابن حبيب في المجموعة السادسة والسابعة ثلاث رسائل أخرى هي كتاب أسماء المفتالين الذي سيأتى ذكره وكنى الشعراء ، والقبائل الشعراء .

(**) نشر هذا الكتاب في حيدرآباد بالهند

(***) وراجع في ترجمة محمد بن حبيب تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ وتحفة الابيه فيمن نسب الى غير أبيه ص ١٠٨ وطبقات الزبيدي ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٨ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٣٢ ربيعة الوعاة ص ٢٩ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١١٢ والوافي بالوفيات « طبعة استانبول » جزء ٢ ص ٣٢٥ وانباء الرواة ج ٣ ص ١١٩ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٢١

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفا في النسب والوفود والنوادر وأخبار الشعراء ونحو ذلك . واليك ما وصل إلينا منها :

١ - كتاب نسب قریش وأخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد (بودليان) وفي وبرلى بالاستانة (*)

٢ - الموفقيات : هي قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءا ، لم يصلنا منها الا أربعة أجزاء من ١٦ - ١٩ طبعها وستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠ (**)

٣ - عمر بن شبة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو أبو زيد عمر بن شبة ، ويقال له ابن ريطة النميري لانه كان مولى لبنى نمير ، ولد سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعرا اخباريا راوية صادق اللهجة . وتوفي في سر من رأى سنة ٢٦٢ هـ ، وقد ألف كتباً كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتابا في وصف البصرة والكوفة ومكة وأمرائها وغير ذلك . . ضاعت كلها الا كتابا عثرنا عليه في المكتبة الخديوية مخطوطا اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ، ولم يذكر في مؤلفاته بهذا الاسم . وهو يشتمل على أخبار العرب العرباء وشيء من أيامهم وأشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم ، وأكثر روايته عن ابن نافع وابن اسحق . وهو من قبيل القصص التاريخية . وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع فيما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شيبه في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ ، والفهرست ١١٢ (***) ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وسائر تراجم الشعراء لابن السكري ، وكتاب المعمرين للسجستاني ، وقد ذكرت في أماكنها

ثالثا - التواريخ الخاصة في العصر العباسي الثاني

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة . كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، أو قریش ، أو القبط ، أو الروم ، أو نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام ، فقد ذكر المسعودي أن عدی بن زيد العبادي ألف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد ألف بعضهم في أيام بني أمية ، وألفت طائفة في هذا العصر . .

(*) طبع هذا الكتاب بدار المعارف

(**) وانظر في الزبير معجم الادباء ج ٨ ص ١٦١ ومقدمة نسب قریش

(***) وراجع في عمر بن شبة بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٦١ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ٦٠ وكتب التاريخ في سنة وفاته

لكن أكثر ما ألفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار ، وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة ، وتاريخ واسط لأسلم بن سهل ، وتاريخ أصفهان ليحيى بن منده وهاك أشهر من وصل إلينا شيء من تواريخهم الخاصة إلى آخر هذا العصر :

١ - الأزرقى

اسمه أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى ، له كتاب أخبار أيام مكة . عنى بطبعه وستنفيلد في ليبسك سنة ١٨٥٨ في مجلة مجموعة مؤلفة من أربعة أجزاء سماها أخبار مكة استغرق طبعها ثلاث سنوات (١٨٥٨ - ١٨٦١) أهم ما فيها كتاب الأزرقى المذكور ، ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهى ، ومن شفاء الفرام لتقى الدين الفاسى ، ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهروائى وغيرهم . وهى أحسن مجموعة فى أخبار مكة وترجمة الأزرقى فى الفهرست ١١٢ (*)

٢ - ابن طيفور

توفى سنة ٢٨٠ هـ

هو أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر واسم أبى طاهر طيفور ، أصله من أبناء خراسان من أولاد الدولة . ولد فى بغداد وكان مؤدب أطفال عاميا ، ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغا عظيما . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتابا ، لم يبق منها الا النزر اليسير ، أهمها :

١ - تاريخ بغداد : هو أقدم ما وقفنا عليه من تاريخها ، ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس . استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر فى ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وعلق عليه مع ترجمة المانية . ويحتوى على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ - كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من أحسن ما نظم أو نشر فى العربية الى عصره فى بضعة عشر جزءا ، رأينا منها ثلاثة أجزاء فى المكتبة الخديوية (١١ و ١٢ و ١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة ، ومنها بضعة أجزاء فى لندن

٣ - بلاغات النساء : طبع فى مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور فى معجم الادباء ١٥٢ ج ١ ، والفهرست ١٤٦ (***)

(*) وانظر فى الأزرقى مقدمة وستنفلد ودائرة المعارف الاسلامية وما بهسا من مراجع وبروكلمن ١٣٧ ح ١

(**) وانظر فى ابن طيفور تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢١١ ودائرة المعارف الاسلامية فى «ابن أبى طاهر طيفور» وبروكلمن ١٣٨ ج ١

أما الكتب الخاصة بتواريخ الامم ، فان أبا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ألف كتباً جملة ذكر ابن النديم عشرات منها ، وقد ضاعت كما ضاع سواها من أمثالها

وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه لابن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، منه شذرات اقتبسها من ارخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعاً - التاريخ العام في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجاً فيه . وكانت التواريخ قبله في موضوعات متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ الامم الاخرى أحبوا أن ينسجوا على منوالها . وزادت في اثناء ذلك علاقات المسلمين بسواهم ، فأصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فأخذوا يؤلفون التواريخ العامة التي تبدأ بالخلقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . وأهم ما وصلنا منها في هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين ، اليك تراجعهم حسب سني وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ - اليعقوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي ، وجده من موالى المنصور . وكان رحالة يحب الاسفار . . ساح في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً ، فكان سنة ٢٦٠ هـ في أرمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . وألف في سياحته هذه كتاباً سماه كتاب البلدان ، وهو أقدم كتاب عربي وصل الينا في الموضوع . ولم تذكر السنة التي توفي فيها اليعقوبي ، ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨

وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي ، نشره المستشرق هوتسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والفساسنة والمناذرة . والثاني في تاريخ الاسلام ، وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبته حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلاً عن قدمه ان مؤلفه شيعي ، فيأتي بأشياء عن العباسيين يتحاشى سواها ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية (*)

(*) وراجع في اليعقوبي معجم الادباء ج ٥ ص ١٥٣ وكتاب الاعلام ج ١ ص ٨٦ ومادة جغرافيا في دائرة المعارف الاسلامية ومقدمة كتابه البلدان

٢ - أبو حنيفة الدينورى

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو أحمد بن داود من أهل الدينور، أخذ علمه عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت . وكان متفنا في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضا . . ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام ، يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبى . . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بنى أمية وخصوصا أخبار على ومعاوية والخسوارج والازارفة . وينتهى التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ، وقد طبع في لندن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عدة ضاعت ، وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعا في كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة أبى حنيفة الدينورى في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ ، والفهرست ٧٨ (*)

٣ - ابن جرير الطبرى

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى علامة وقته وامام عصره . ولد في أمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ، ورحل في طلب العلم فجاء بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرئ الحديث والفقه حتى مات سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعى ، ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب . . منهم على بن عبد العزيز الدولابى ، ومحمد بن أحمد بن أبى الثلج ، وابن العراد ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم ، وأبو بكر بن كامل وغيرهم . وكل منهم ألف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبرى ودافع عنه ورد على مخالفه

واشتهر الطبرى بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل ، حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله ، فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعى التاريخ والتفسير ذكروا ان كلا منهما كان في أول الامر ٣٠٠٠ ورقة أى

(*) وانظر في الدينورى بقية الوعاة ص ١٣٢ وخزانة الادب ج ١ ص ٢٥ وسلم الوصول ص ٨٢ ونزهة الالباء فى طبقات الادباء ص ٣٠٥ وانباه الرواة ج ١ ص ٤١ ومعجم الادباء ج ٣ ص ٢٦ وكذلك Leclerc, Histoire de la Médecine Arabe « باريس » ج ١ ص ٢٩٨ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٢٣ ج ١

٦٠٠٠٠ صفحة . . ثم أشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ماهما عليه وقد ألف التفسير قبل التاريخ . وكل منهما مرجع الباحثين في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وبأخبار الناس وأيامهم . وكان حر الفكر صريح القول اذا اعتقد أمرا جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا سيما خصومه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتزقون بمرضاتهم ، ولا سيما الحنابلة ، لانه ألف كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقليل له في ذلك فقال : « لم يكن فقيها وإنما كان محدثا » فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدا في بغداد ، فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم أكثر العامة . . ولو سئلوا عن معنى الالحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهارا . والف كتب ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفا ، هذا ما بقى منها :

١ - كتاب أخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبرى ، وهو تاريخ عام يبدأ بالخلقة وينتهى الى سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في لندن بعناية المستشرق دى غويه . واستغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ - ١٨٩٢ في ٢٣ جزءا . وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلدا . وقد اتبع في أخباره الاسناد الى روايتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عاداتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتعالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة ، منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتيسر اقتناؤه الا للملوك وأهل الثروة . ولما أظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل أحرقت المكاتب فضاعت نسخه . فلما أرادوا طبعه في لندن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد ، فاضطروا الى جمعها من عدة أماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمى . وترجمه عن ترجمة البلعمى زوتنبرج الى الفرنسية . وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في أربعة مجلدات . وترجم أيضا بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ ، وترجم الى التركية وطبع في الآستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور ، منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبي ألف ذيل على الطبرى . ينتهى الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبرى في لندن . ومحمد بن عبد الملك الهمداني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تمم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ ، سماه تكملة تاريخ الطبرى . ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ - التفسير الكبير : سيأتى ذكره في باب التفسير

٣ - تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلى

٤ - اختلاف الفقهاء : يبحث فيما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك ، طبع بمصر سنة ١٣٢٠
وترجمة الطبرى في ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ ، وابن الاثير ٤٩ ج ٨ ،
والفهرست ٢٣٤ (*)

٤ - أبو زيد البلخي

توفى سنة ٣٢٢ هـ

هو أحمد بن سهل ، ولد في بلخ ونشأ في العراق ، وأدرك الكندي الفيلسوف وأخذ عنه ، ثم عاد الى بلاده فخدم أمراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ، ولذلك اتخذ في مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء عليه ، وبعد ان كانوا يسخون عليه في العطاء قطعوه عنه وأتهموه بالالحاد . ولأبى زيد عشرات من المؤلفات في موضوعات مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٣١٨) ضاعت كلها وله كتاب صور الاقاليم ، وهو من قبيل الجغرافية . وسنذكره بين جغرافى العصر العباسى الثالث لانه قدوتهم في رسم الخرائط
وترجمة أبى زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ ، والفهرست ١٣٨ (**)

٥ - ابن البطريق

توفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ، ولد سنة ٢٦٣ في الفسطاط ، واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ . وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب « نظم الجواهر » في التاريخ ، ألفه لاختيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سنة الهجرة وينتهى الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهى السنة التى صار فيها المؤلف بطريقاً على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية . وقد طبع كتابه هذا في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق ، في مجلدين صفحتاهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ وطبعه

(*) وزاجع في ترجمة الطبرى الانساب ٣٦٧ ١ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٥١ وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ٧٨ وروضات الجنات ص ٦٠٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٦٠ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٣٥ وطبقات القراء لابن الجوزى ج ٢ ص ١٠٦ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٠ واللباب لابن الاثير ج ٢ ص ٨١ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٠٣ ورواة الجنان ج ٢ ص ٢٦١ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٢٨٤ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٤٠ وانباء الرواة ج ٣ ص ٨٩ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(**) وانظر فى البلخي سلم الوصول و Huart فى المجلة الاسيوية «المجموعة التاسعة» سنة ١٩٠١ المجلد ١٨ ص ١٦ ودائرة المعارف الاسلامية وكذلك أنظر فيها مادة جغرافية

اليسوعيون كاملاً سنة ١٩٠٦ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطارقة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسى فى بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعليق فى اللغة الروسية أضعاف الاصل العربى . . فجاء الكتاب المطبوع فى نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربى

وترجمة سعيد بن البطريق فى طبقات الاطباء ٨ ج ٢ (*)



وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التى ألفت فى هذا العصر ، فان مئات منها ضاعت وأكثرها فى أخبار الخلفاء والوزراء والنسب وأخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففى مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مائة منها ، استعان بها المسعودى فى تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التى اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها ، وفيما ضاع منها كتب هامة تحتوى على أخبار الامويين ومناقبتهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين . . فان أخبار هذه الدولة ضاعت فى أيام بنى العباس تزلفاً من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التى ذكرها المسعودى فانت صاحب الفهرست ، وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ يعقوبى والطبرى

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية ، وفي جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم في تقويم البلدان . . على ان المسلمين بدأوا في وضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

أولا : كان المسلمون على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة ، والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل ثانيا : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية ، والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثا : أبحاثهم في تحقيق اسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات ، وهذه أيضا تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها ، أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ، ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكتبوا ما شاهدوه أو تحققوا منه وصححوا كثيرا من أخطاء بطليموس (❖) . على أن علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة ، فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده ، مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة أسفارهم في سبيل الرحلة أو لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد ، مما يقتضي معرفة الاماكن وأبعادها وجهاتها ، ويعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما ألفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية

(❖) انظر في المؤلفات الجغرافية عند العرب مادة جغرافيا في دائرة المعارف الاسلامية وفصل الجغرافيا في كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (ترجمة أبي زيدة - طبع لجنة التأليف) ج ٢

وغيرها ، ونسميه « الجغرافية العامة » . ومنه ما يختص ببقعة من الارض ندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك اقدم من ألف في كليهما :

مؤلفو انجغرافية العامة ومؤلفاتهم

١ - ابن خرداذبة

في أواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة . كان خرداذبة مجوسيا وأسلم على يد البرامكة . وتولى حفيده أبو القاسم البريد والخبر بنسواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخص به . والف كتباً في أدب السماع واللهم والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

- كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في أواسط القرن الثالث ، وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنسية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلا عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩ (*)

٢ - قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء ، له كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ ، طبعت في ليدن مع ترجمة فرنسية . وقد نشرناها أيضا في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ - كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين . أما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره ، وكان كلما رأى رجلا من تلك البلدان بالشرق والمغرب سأل عن وطنه ومصره وأحوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح . . ويدون ما وصل اليه حتى ألف

(*) مراجع في ابن خرداذبة المكتبة الجغرافية نشر دي غويه الجزء الاول (المقدمة) والمراجع المذكورة بها والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ١ وكذلك دائرة المعارف الاسلامية

كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر ، وقد أفاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما كانت في أيامه ، ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقى العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونبول . وطبع أيضا في جملة « المكتبة الجغرافية » . والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

- ١ - المسالك والممالك لابن خرداذبة وكتاب الخراج لقدامة
 - ٢ - كتاب البلدان لابن الفقيه
 - ٣ - كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبى
 - ٤ - مسالك الممالك للاصطخرى
 - ٥ - المسالك والممالك لابن حوقل
 - ٦ - أحسن التقاسيم للمقدسى
 - ٧ - كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى
 - ٨ - فهرس أبجدى عمومى
- طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دى غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتى ذكر الباقي في أماكنه

٤ - ابن الفقيه

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمداني ، ويعرف بابن الفقيه . أحد أهل الادب في أواخر القرن الثالث للهجرة ، ولا يعرف من أمره أكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصلنا منها « كتاب البلدان » ألفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة أما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضا . يقول ابن النديم : « انه أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني » والجيهاني هذا وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ، ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ، ومعجم الادباء ٦٣ ج ٢ (*)

(*) وانظر في ابن الفقيه دائرة المعارف الاسلامية، وكتابه البلدان الذى نشر باسمه يغلب أن يكون مختصرا لكتابه الحقيقى ، صنعه على بن حسن الشيزرى المتوفى حوالى عام ٤١٣ هـ وهو الذى نشر فى المكتبة الجغرافية باسمه ، وانظر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢

٥ - ابن رسته

هو أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، له كتاب اسمه الاعلاق /النفسية كتبه سنة ٢٩٠ هـ في أصبهان . . وهو كالموسوعة ، منه سبعة مجلدات في تقويم البلدان ، عثروا على نسخة خطية منه في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منه في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الأرض منها وحجم الأرض . ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ، ويصف البحار والأنهار والأقاليم السبعة وخصوصا إيران وما يليها . وفيه فصل في الأوائل الذين أحدثوا الأشياء واقتدى بهم سواهم ، وآخر في المتشابهين في أحوال شتى والمشاركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوى العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥ (*)

مؤلفو الجغرافية الخاصة ومؤلفاتهم

١ - ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن ، المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ - كتاب صفة جزيرة العرب : فيه فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواه . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنرى مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعليق

٢ - كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جليل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة أجزاء ، يشتمل على عشرة فنون في جملتها أبحاث في القرانات وعلم الطبيعة وأحكام النجوم وآراء الأوائل وغير ذلك . . لم يقف الباحثون إلا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهدته بنفسه في مكان السد وكيفية توزيع المياه

(*) وراجع في ابن رسته مقدمة دى غويه لكتابه في المكتبة الجغرافية وكذلك بروكلمن ٢٢٧ ج ١ ودائرة المعارف الاسلامية

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطى ١١٣ ، ومعجم الادباء ٩ ج ٣ (*)

٢ - ابن فضلان

هو أحمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان ، أنفذه المقتدر العباسى سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة ، فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى أن عاد اليها ، وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهى مطبوعة فى بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية ، ونشرها ياقوت فى معجم البلدان فى مادة بلغار (***)

٣ - سلسلة تواريخ (***)

كتاب جزيل الفائدة .. هو ليس تاريخا كما يؤخذ من اسمه ، وانما هو رحلة أو رحلات فى الهند والصين وأقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب فى القرن الثالث للهجرة . أحدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ، ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض أصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سيرا ، أكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودى المؤرخ ، وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره فى مروج الذهب من بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما فى هذه الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب فى تجارتهم وأسفارهم فى القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع فى باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنسية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنسى

٤ - عجائب الهند (***)

هذا أيضا كتاب مهم لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب فى القرن الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطئ بلاد العرب والهند والزنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسى ، لكنه كتب تلك العجائب بالعربية .. لغة الادب والسياسة والدين عندهم فى أوائل القرن الرابع للهجرة ، نقلا عما سمعه من ملاحى البحار وأكثرهم

(*) وانظر فى ابن الحائك طبقات الامم لصاعد ص ٥٨ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٣١٩ وروضات الجنات ص ٢٣٨ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٧٩ وبغية الوعاة ص ٢١٧ (***) وراجع فى ابن فضلان بروكلمن ٢٢٧ ج ١ ودائرة المعارف الاسلامية ، وقد نقل عنه ياقوت أيضا فى مواد : باشقرد ، وخزر ، وخورازم ، وروس (***) راجع فى هذه السلسلة كتابنا الرحلات المنشور فى سلسلة فنون الادب العربى « طبع

دار المعارف » وكذلك أنظر كتاب حديث السندباد القديم لحسين فوزى (***) أنظر فى هذا الكتاب أيضا : كتابنا « الرحلات » وحديث السندباد القديم

من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطئ المحيط الهندي .
وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التي حدثه بها
أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في
نظر أهل هذا الزمان ، لكنه يروى ما سمعه على علاته ، وفي جملة ذلك
أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعي .
ولا يطعن ذلك فيما يحويه الكتاب من الحقائق ، لان أهل ذلك العصر
معدورون في تصديق ما يسمعون من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصا
بالعرب أو الشرقيين ، بل هو يتناول سائر الأمم . وعند الافرنج من أخبار
أجبالهم الوسطى مالا يقل غرابة عن خرافات ألف ليلة وليلة . وسنعود
الى ذلك في مكان آخر



أما كتاب عجائب الهند الذي نحن بصددده ، فمنه نسخة خطية في
مكتبة ايا صوفيا قديمة جدا ، وعنهما نقلت نسخة طبعت في ليدن سنة
١٨٨٦ بعناية المستشرق فان درليت مع ترجمة فرنسية لما رسل دفيك .
وفي هذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن مسودات مقامات الحريري
في مكتبة المستشرق شيفر ، تمثل أسفار العرب في البحار لذلك العهد

العلوم الإسلامية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت أن الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي ، والعلوم الدخيلة لا تزال في أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس . أما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعات والمنطق ، فغيرت كثيرا من الآراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل ، وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد (*) واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه ، وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الإسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن أيضا آيات أخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ، ورأى الاولون ذلك الخلاف ، فقلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه في الذات ، فاعتقدوا في الله صفات آدميين كاليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت في بعض الآيات ، فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون أقوالا كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض أهل السنة وهم التابعون لأقوال الصحابة وجاءوا بالدلة العقلية على هذه العقائد دفعا لتلك البدع ، وهو علم الكلام أو التوحيد . وفي أثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية ، فأحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها . فانتشرت فلسفة اليونان في الاسلام وأقبلت المعتزلة والقدرية والجهمية وغيرهم عليها ، وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما أرادوه منها من تقوية الحجة والجدل فيما كانوا فيه . فازداد كل منهم تمسكا بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك ، وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشارا عظيما وهي في ذلك العهد : مذاهب القدرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، والخوارج ، والرافضة ، والباطنية

(*) الحق أن علم الكلام وما يطوى فيه من الاعتزال نشأ في العصر الأموي ، ففيه توفي واصل ابن عطاء أمم المعتزلة سنة ١٣١ للهجرة ، وازدهر هذا العلم في العصر العباسي الاول . وانظر في بيان ذلك الفصل الثالث من كتاب تاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور وفجر الاسلام وضحي الاسلام الجزء الثالث لاحمد أمين وكذلك الفصل الثالث من كتاب العقيدة والشريعة في الاسلام لجولدتسيهر ودائرة المعارف الإسلامية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، فسلك طريقا وسطا بين مذهب الاعتزال ومذهب أهل السنة ، فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ، ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك العصور وهم الأشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

١ - الامام أبو حنيفة : أقدم من ألف في علم الكلام ، فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل . وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه

٢ - أبو حنيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٣١ هـ : كان من الائمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ في الرأى ، لكنه كان لبراعته واقتداره يخلص كلامه من الرأى فلا يفتن لذلك أحد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢ (*)

٣ - أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٢ هـ : كان شيخ البصريين في الاعتزال ، وكان حسن الجدل قوى الحجة كثيرا لاسعماله للدلة . ومما يروى عنه من هذا القبيل أنه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه ، فقال له أبو الهذيل : « لا أعرف لجزعك عليه وجهاء ،

إذا كان الانسان عندك كالزروع » قال صالح : « يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال له : « كتاب الشكوك ماهو يا صالح ؟ » قال : « هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال أبو الهذيل : « فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات ، وشك أيضا في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١ (***)

٤ - أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ : كان امام المتكلمين في عصره ، أخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة ، وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١ (***)

٥ - أبو الحسن الأشعري المتوفى ببغداد سنة ٣٣٣ هـ : سمع زكريا الساجي وأبا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرئ وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصرى . وروى عنهم في تفسيره كثيرا ، وتتلخص

(*) وراجع في واصل أمالى المرتضى « طبع الحلبي » ج ١ ص ١٦٣ وما بعدها ولسان الميزان ج ٦ ص ٢١٤ والبيان والتبيين « طبع عبد السلام هرون » - أنظر الفهرس - وضحي الاسلام لاحمد أمين الجزء الثالث ودائرة المعارف الاسلامية وكتاب المعتزلة لمؤلفه ت . و . أنوله ص ١٨ والعقيدة والشريعة في الاسلام لجولدتسيهر ص ٩٠

(**) وانظر في أبي الهذيل كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ص ٣٤ وأمالي المرتضى ج ١ ص ١٧٨ وظهر الاسلام الجزء الثالث وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٥٧ وأنوله Arnold في كتابه المعتزلة Al-Mutazilah « طبع ليبسك ١٩٠٢ » ودائرة المعارف الاسلامية

(***) وانظر في الجبائي الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٦٧ والمعتزلة لأنوله ص ٤٥ ودائرة المعارف الاسلامية والملل والنحل ص ٣٦ - ٤١ وضحي الاسلام الجزء الثالث ، ودائرة المعارف الاسلامية

لزوج أمه أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى واقتدى برأيه فى الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة ، وصعد كرسيه يوم الجمعة بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته : « من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى أعرفه بنفسى ، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان أفعال البشر هم يفعلونها ، وأنا تائب مقلع ، معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم » . وأخذ منذ ذلك الحين فى الرد عليهم ، وسلك بعض طريق أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان ، وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا . منها كتاب اللمع ، وكتاب الموجز ، وكتاب إيضاح البرهان ، وكتاب التبيين على أصول الدين ، وكتاب الشرح والتفصيل ، وكتاب الإبانة ، وكتاب تفسير القرآن . . يقال انه فى سبعين مجلدا ، وغيرها ، وأكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبى بردة على عقبه ، وكانت نفقته فى السنة سبعة عشر درهما . وكانت فيه دعاية ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبه فى كتاب التعليم : كان حنفى المذهب معتزلى الكلام لانه كان ربيب أبى على الجبائى ، وهو الذى رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس أيام الجمعة فى حلقة أبى اسحق المروزى الفقيه فى جامع المنصور ، وقال أبو بكر بن الصيرفى : « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعرى فحجزهم فى أقماع السماسم »

العقيدة الأشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حى بحياة ، مريد بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، وأن صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى ، لا يقال هى هو ، ولا هى غيره ، ولا لا هى هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده ، وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد هو أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لا الى نفس الكلام . والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلى ، فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلى ، والدلالة وهى العبارات وهى القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمة الأشعرى فى ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ ، والمقرئى ٣٥٩ ج ٢ . (*)
وهناك طائفة من المتكلمين اغضينا عن ذكرهم ، على ان بعضهم سيأتى ذكره فى الابواب الأخرى

(*) وراجع فى الأشعرى كتاب الملل ص ٦٨ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٦٥ والعقيدة والشريعة فى الاسلام ص ٩٩ وشرينر فى تاريخ الأشاعرة « أعمال المؤتمر الدولى الثامن للمستشرقين والقسم الاول ص ٧٩ وسبيتا Spitta فى بحثه عن الأشعرى Zur Geschichte Abu'l Hassan Al-Asch'ari ودائرة المعارف الإسلامية

الحديث

في العصر العباسي الثاني

أصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة ، وهي عمدة المحدثين . وأصحابها ثقة وهالك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ - البخاري

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل البخاري ، ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ ، كان مغرما بطلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن ، وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية . وهو صاحب كتاب «جامع الصحيح» المشهور بصحيح البخاري ، أول الكتب الستة في الحديث وأفضلها على المذهب المختار ، وفي شهرته غنى عن وصفه . طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩ هـ ، وطبع بالحروف بمصر مرارا . وله شروح كثيرة بعضها مطبوع ، منها شرح العيني طبع بمصر في ١١ مجلدا ، وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في أزمنة مختلفة وللبخاري كتاب خلق افعال العباد مطبوع في دلهي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم الذهبي . وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي

وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ ، والفهرست ٢٣٠ (*)

٢ - مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ هـ

هو الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفي سنة ٢٦١ هـ في نيسابور ، وكان من الائمة الحفاظ وأعلام المحدثين . رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث ، وألف فيه كتابا سماه «الجامع الصحيح» ، منه نسخ عدة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ ، وفي مصر في تسعة أجزاء

وترجمة مسلم في ابن خلكان ٩١ ج ٢ ، والفهرست ٢٣١ (**)

(*) وراجع في البخاري طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٢ وطبقات الحفاظ للذهبي ومقدمة فتح الباري علي البخاري لابن حجر وكذلك مقدمة شرح القسطلاني ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر في مسلم طبقات الحفاظ للذهبي ومقدمة النووي لشرحه علي صحيحه وتهذيب الاسماء ص ٥٤٨ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢٦ ودائرة المعارف الاسلامية

٢ - ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، كان اماما في الحديث عارفا بعلومه . ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر ، وألف فيه كتاب « السنن » منه في المكتبة الخديوية عدة نسخ خطية كتبت في أزمنة مختلفة ، وطبع في دلهي على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ، ويعرف بسنن ابن ماجه وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١ (*)

٤ - أبو داود

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني المتوفى في البصرة سنة ٢٧٥ هـ ، وكان أحد حفاظ الحديث . ألف كتابا في الحديث سماه « السنن » وتعرف بسنن الامام أبي داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ ، وفي لكنا والهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدى ، وفي غيرهما . وترجمته في ابن خلكان ٢١٣ ج ١ (**)

٥ - الترمذى

توفي سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذى الضرير ، له كتاب « الجامع الصحيح » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ ، وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذى في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١ (***)

٦ - النسائى

توفي سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن على النسائى . توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ ، وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه ، طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

(*) وراجع في ابن ماجه دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٦٨ ج ١
 (***) وانظر في أبي داود تهذيب الاسماء ص ٧٠٨ وطبقات الحفاظ « طبعة وستنفلد » ج ٩ رقم ١١٦ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٦١ ج ١
 (***) وراجع في الترمذى الانساب ١٠٥ وطبقات الحفاظ للنمبى « طبعة وستنفلد » ج ٢ ص ٥٧ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٧ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٣٨٧ وشيخات الذهب ج ٢ ص ١٧٤ وتكت الهميان ص ٢٦٤ ومفتاح السعادة لطاشكبرى زاده ج ٢ ص ٦١ والنجوم انزهرة ج ٣ ص ٨١

وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١ (*)

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن ، منها سنن الدارمي ،
عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، طبع في كنبور الهند
سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضج في هذا العصر أيضا علم التفسير ، فظهر فيه التفسير الكبير
لأبي جعفر بن جرير الطبري ، ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع
فيه أقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بأن صاحبه يبين فيه ترجيح بعض
الأقوال ، طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءا ، وهو من أجل التفاسير
وله مكانة خاصة لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية
والادبية واللغوية فضلا عن التفسير . وقد ترجمنا للطبري في باب
التاريخ

(*) وانظر في النسائي طبقات الحفاظ للنهبي ج ٢ ص ٢٦٦ وتهذيب التهذيب لابن حجر
ج ١ ص ٣٦ والانساب للسمعاني ٥٥٩ ودائرة المعارف الاسلامية

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

أولا : الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول ، كان أكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية ، اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر وأكبرهم وأسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ - يعقوب الكندي

في اواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، ويتصل نسبه بملوك كندة . . فهو عربي بحت ، ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصرا للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وله عندهم منزلة سامية . وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالجان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم . . نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . وحذا في مؤلفاته حذو أرسطو ، وله ترجمات عدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق الترجمة ، ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد ألف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست ، واليك عددها باعتبار العلوم :

اسم العلم	عدد الكتب	اسم العلم	عدد الكتب
الفلسفة	٢٢	الطب	٢٢
الحساب	١١	الجدل	١٧
النجوم	١٩	السياسة	١٢
الهندسة	٢٣	الاحداث	١٤
الطبيعيات	٣٣	الاحكام	١٠
الكريات	٨	النفس	٥
المنطق	٩	الابعاد	٨
الموسيقى	٧	تقدمة المعرفة	٥
الفلكيات	١٦	المجموع الكلي	٢٣١

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب ، ان الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد أصحابها . وأكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا :
(١) كتاب في الاهيات ارسطو (٢) رسالة في الموسيقى . . وكلاهما موجودان في مكتبة برلين (٣) رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة ، في مكتبة منشن ، ولها ترجمة لاتينية مطبوعة (٤) في المد والجزر (٥) علة اللون اللازوردى الذى يرى في الجو في جهة السماء . . وكلاهما في اكسفورد (٦) ذات الشعبتين ، آلة فلكية في ليدن (٧) اختيارات الايام ، في ليدن (٨) مقالة تحاول السنين في الاسكوريال (٩) رسالة ملك العرب وكميته ، طبعت في ينبرج سنة ١٨٧٥ وعليها شروح ، وغيرها

وترجمة الكندى في الفهرست ٢٥٥ ، وأخبار الحكماء لابن القفطى ٢٤٠ ، وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١ (*)

٢ - الفارابى

توفى سنة ٣٣٩ هـ

ويلى الكندى الفارابى ، واسمه محمد بن طرخان . أصله من فاراب ، لكنه فارسى المنتسب ، نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفا متعمقا درس كل مادرسه الكندى من العلوم وفاقه في كثير منها . . وخصوصا في المنطق . وتعمق في الفلسفة والتحليل وأنحاء التعليم وأفاد في وجوه الانتفاع بها . وألف كتبا في موضوعات لم يسبقه أحد اليها ، ككتابه في احصاء العلوم الآتى ذكره ، وكتاب « السياسة المدنية » وهو من قبيل الاقتصاد السياسى الذى يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم ، وقد كتب فيه الفارابى منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيرهما كما ستراه مفصلا فيما يلى . وبرع الفارابى خصوصا في فن الموسيقى حتى أصبح لا يضاويه فيه أحد ، واخترع القانون كما سيأتى في باب الموسيقى . وأصلح ما بقى من الترجمات غير مصلح ولخصها . . أوعز اليه بذلك منصور بن نوح السامانى فأجاب ، وسمى كتابه « التعليم الثانى » ولذلك سموه « المعلم الثانى » (١) ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتابا في المنطق متفرقة في مكاتب أوربا ، بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية ، أكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

١ - كتاب مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة ، طبعتها ديتريصى في ليدن سنة ١٨٩٥

(*) وراجع في الكندى طبقات الامم لصاعده ص ٥٩ والمسعودى ج ٢ ص ٢٤٣ وبحثنا فيه لمصطفى عبد الرازق بمجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بوز ص ١٢٤ ومقدمة أحمد فؤاد الاهوانى ومحمد عبد الهادى أبى ريدة لمجموعتى الرسائل التى نشرها له وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك لقدرى حافظ طوقان «نشر الجامعة العربية بالقاهرة» ص ١٣٧ ودائرة المعارف الاسلامية (١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

٢ - كتاب احصاء العلوم والتعريف بأغراضها المتقدم ذكره ، وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم . منه نسخة خطية في الاسكوريال ، وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية ، وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢

وله تسعة كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى ، متفرقة في مكاتب أوروبا والأستانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية . وتسعة كتب أخرى في موضوعات مختلفة . ومثلها على ارسطو في أبحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر أماكن وجودها بروكلمن في كتابه (١) فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ ج ٢ ، وطبقات الاطباء ١٣٤ ج ٢ ، وأخبار الحكماء ١٨٢ (*)

٣ - ابن أبي الربيع وسلوك الممالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك الممالك في تدبير الممالك تأليف « شهاب الدين احمد بن محمد بن أبي الربيع » . وقد جاء في أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧) ، فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ ، لانه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه . . مما لا يتأتى إلا بعد نضج العلم نضجا تاما . وزد على ذلك ان اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم ، وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب القهرست مئات من أسماء المؤلفين ، ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ ، أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف قرن . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن ينفرد رجل بهذا الاسم في أول القرن الثالث ، ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان « المستعصم » توفي سنة ٦٥٦ هـ ، فقرئ « المعتصم » وكثيرا ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه ، وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

أما الكتاب فانه جليل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة

(١) Gesch des Ar. Lit 1, 211

(*) وراجع في الفارابي طبقات الامم لصاعد ص ٦١ ومقدمة ديتريشي Dieterici لرسائل الفارابي « طبع ليدن سنة ١٨٩٠ م » وبحثا لمصطفى عبد الرازق في الجزء السابع من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثاني عشر ، وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٢٧ والفارابي لعباس محمود . ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبحثا لابراهيم مذكور بعنوان : La Place d'Al Farabi dans l'école Philosophique Musulmane

طبع باريس سنة ١٩٣٤

والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسم الى أربعة فصول : (١) مقدمة الكتاب (٢) أحكام الاخلاق وأقسامها (٣) أصناف السيرة العقلية وانتظامها (٤) أقسام السياسات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسم الى أبواب ، ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليتمكن تصوير تلك المشجرات

ثانيا : الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر أيضا طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم ، هك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ - ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه ، كان أبوه صيدليا في مارستان جنديسابور ، وتثقف في بغداد على جبرائيل بن بختيشوع ، وترقى في زمن المأمون والوائق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا : (١) كتاب نواذر الطب في ليدن والاسكوريال وغطا ، وله ترجمة لاتينية وشروح (٢) جواهر الطب (٣) كتاب ماء الشعر في مكتبة جزائر الغرب (٤) الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها وترجمة ابن ماسويه في أخبار الحكماء ٢٤٨ ، والفهرست ٢٩٥ ، وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١ (*)

٢ - ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جنديسابور توفي سنة ٢٥٥ هـ ، وله كتاب الاقرباذين الكبير ، كان معول الصينادلة في أثناء التمدن الاسلامي ، منه نسخة خطية في منشئ وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ ، وتراجم الحكماء ١٤١

٣ - الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق ، واسمه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès ، وكان في صفه يضرب على العود . وتلقى العلم على كبر ، وأفلح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء

(*) ينظر في ابن ماسويه دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢٣٢ ج ١

مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب ، وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفا من العلوم الطبية في عصره . ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس ، وكان متفرقا فجمعه الرازي ، وكان ناقصا فكملة ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ، ودونه التلاميذ ، دونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون . فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فان كان عندهم علم ، والا تعداهم الى غيرهم فان أصابوا ، والا تكلم الرازي . وكان كبير الرأس جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه ، لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريما متفضلا رؤوفا بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر ، ويروون عن ذكائه واصابته نوادر كثيرة لا محل لها هنا

وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم ، وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وأمرائها ، وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري . . ألفه للأمير منصور من آل سامان ، وكتاب الملوكي لعلی ابن صاحب طبرستان ، وسنعود اليها

وكان الرازي مولعا بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة ، وخصوصا في علم الكيمياء وما يتعلق بها ، وله اكتشافات كيماوية أهمها زيت الزاج (حامض الكبريتيك) والكحول ، استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد - واسمها في العربية الزاج الاخضر - فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج . ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . وألف الرازي في الكيمياء كتبا كثيرة . ولم يكن يعتقد ما يعتقداه أهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب ، وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد أهله التماسا للمال . . لكن ذلك ألحق به الاذى ، لان منصورا الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع ، فغضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ، ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سببا في نزول الماء على عينيه . وجاءه قداح يقدحهما وهي عملية الكتركتا الآن ، فسأله الرازي : « كم طبقة للعين ؟ » فقال : « لا أعلم » فقال : « لا يقدح عيني من لا يعلم ذلك » . ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عيني »

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ

وخلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف لا يزال باقيا منها الى الان بضعة وعشرون مؤلفا يطول بنا وصفها ، وانما نذكر أهمها وهي :

١ - كتاب الحاوي : وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب جمع فيه ما وجدته متفرقا من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني ، وأخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب

اكسفورد والاسكوريال . وقد نقله الى اللاتينية فراغوت ، وطبع مرتين ، وقد اختصره غير واحد

٢ - كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه ، ومنه نسخة في المكتبة الاهلية بباريس وفي مكاتب اكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريمونى وطبع فيها

٣ - كتاب الجدرى والحصبة : وهو أول من وصف هذين الداعين حق الوصف ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها

٤ - كتاب الفصول في الطب : ويقال له المرشد ، نقل الى العبرانية ، ويوجد في ليدن . ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤

٥ - كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية ، وهو موجود في مكتبة اكسفورد.

٦ - كتاب برء الساعة : يوجد في برلين وغيرها ، ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦

٧ - كتاب الطب الملوكي (*) : يوجد خطأ في مكتبة ليدن

وقد ترجمنا للرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ ، وتجد ترجمته أيضا في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ ، وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ ، والفهرست ٢٩٩ ، وأخبار الحكماء لابن القفطى ١٧٨ (**).

ثالثا: الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة ، علم الزراعة أو الفلاحة . وهو في الاصل منقول عن الكلدانية ، نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات ، وجعله في خمسة أجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر ودار الكتب المصرية ، ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني ، طبع في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ ، وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب أوروبا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣

(*) نشر كراوس هذا الكتاب مع مجموعة رسائل للرازي « طبع جامعة القاهرة ١٩٣٩ »

(**) وراجع في الرازي طبقات الامم لصاعد وزاد المسافرين لناصر خسرو « طبع برلين » في مواضع متفرقة وخاصة ص ٢٣١ ورسالة للبيروني نشرها كراوس في باريس، وفيها فهرست كتبه ، ومقالة رانكنج Ranking عن حياته ومؤلفاته ، ألقاها في المؤتمر الدولي الطبي السابع عشر المنعقد في لندن سنة ١٩١٣ ونشرت أبحاث هذا المؤتمر في سنة ١٩١٤ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٨٩ وتراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك لقدرى طوقان ص ١٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

العصر العباسي الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ ، وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي . . ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان ، وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة ، فهو العصر الذي نحن بصدده أو المائة الثالثة للدولة العباسية ، لانه فيه نضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها ، وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها ، وفي التاريخ والجغرافية والادب والفلسفة . ولذلك أسباب اجتماعية طبيعية سيأتى بيانها . وتقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المداين الاسلامية

رأيت فيما تقدم ان العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ، ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني . . فأصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم يحج اليها العلماء ، كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد ، نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واکرام الشيعة ، فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في أيام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ ، خلفه أخوه جعفر المتوكل ، وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي ، يجالس من اشتهر ببغضه . وخالف ماكان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فأبطل القول بخلق القرآن ونهى عن الجدل والمناسطرة في الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة ، وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد أن بلغ أوجه في أيام الرشيد وخلقائه ، فأخذ في التقهقر في أيام المتوكل لانه كان شديد

الوطأة على أصحاب الرأي وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة. وأخذ منذ تولى الخلافة في مناوأتهم ، فأهلك جماعة من العلماء وحط مراقبهم وعادى العلم وأهله (*) . ولاقى أهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن أشهر حوادث نقمته على خدمة العلم ، أنه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه إلى البحرين ، وقتل ابن السكيت النحوى كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحي ، وكان من عليه الكتاب ، وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ ، قتله رجاله فاضطربت أحوال الخلافة واستفحل شأن الاثراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب ، ففرقوا من بغداد رويدا رويدا إلى أنحاء المملكة الإسلامية شرقا وغربا . ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء - بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعد - نبغوا خارج بغداد وفيهم الأطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ، ثم انتقل في أيام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة إلى انطاكية ، والعلوم الإسلامية انتقلت من البصرة والكوفة إلى بغداد . وانضمت إليها العلوم الدخيلة ، فأصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ، ثم نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الإسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة يفضل بعضها بعضا . وتدرج الانتقال من بغداد شرقا إلى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر ، وغربا إلى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فأقبل العصر العباسي الثالث ، وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الإسلامية ، من أقصى تركستان في الشرق إلى أقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وافغانستان وطبرستان وخوارزم وقارس وما بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء إلى مواطنهم ، فكثرت أسماء البخاري والنيسابوري والرازي والبغدادى والاندلسي . . بعد أن كان أكثر انتسابهم إلى أصولهم كالحميري والمازني والقرشي والفارسي ونحوها ، أو إلى صنائعهم كالنحاس والزجاج

(*) يبلغ المؤلف في الحملة على المتوكل ، وهو لم يكن يعادى العلم وأهله ، ولكنه تولى ، بعد محنة خلق القراكن المشهورة التي امتحن بها المأمون العلماء وأزره فيها المعتزلة ، فرأى أن يقف هذه الفتنة

أسباب النهضة في هذا العصر

حدثت في العصر العباسي الاول نهضة علمية ، أعقبها في العصر العباسي الثاني فتور على اثر البحران السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بأنفسهم عن تنشيط العلم . . فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون غرس العلم ، فأقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهى النهضة الثانية في الدولة العباسية . والعامل الرئيسى في هذه النهضة ، ناموس النشوء الطبيعى ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضى ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال معينة . . فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها في البصرة والكوفة ونمت في بغداد . فلما تم نموها وأدركت رشدها ، كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو في فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التى اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين في العراق . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامى . فنكتفى هنا بالدول التى تعاونت على النهضة العلمية في ذلك العصر وهى :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
الروانية	الاندلس	من سنة ١٢٨ - ٤٢٢	عربى
السامانية	وراء النهر	من سنة ٢٦١ - ٣٨٩	فارسى
الزيارية	جرجان	من سنة ٣١٦ - ٤٣٤	فارسى
الحمدانية	بين النهرين وحلب	من سنة ٣١٧ - ٣٩٤	عربى
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	من سنة ٣٢٠ - ٤٤٧	فارسى
الغزنوية	أفغانستان والهند	من سنة ٣٥١ - ٥٨٢	تركى
الفاطمية	مصر	من سنة ٣٥٧ - ٥٦٧	عربى

رغبة الاسماء فى العلم

فهذه الدول تعاصرت في العصر العباسي الثالث ، وكان لها تأثير عظيم في احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبى العلم الآخذين بناصر العلماء - والناس على دين ملوكهم - وإذا أراد الله بالناس خيرا ، جعل العلم في ملوكهم وأمرائهم والملك في علمائهم ، لان العلم لا يورق ولا يثمر الا في ظل ملك أو أمير يتعهدده ويأخذ بأيدي أصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموى ، وفي زمن الرشيد والمأمون في العصر العباسي الاول . ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة في العصر الذى نحن بصددده . وهو في هذا العصر أكثر ثمرا وأصح انتاجا

لان العاملين على تعهده تكاثروا . وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله في بلد واحد ، أصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء في أشهر مدن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الاسلام من أمم الشرق والغرب . واخذ الناس يتسابقون في خدمة العلم ، كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم في ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء في الدول التي تقدم ذكرها :

١ - الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدولة وأنصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان . ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ، ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء . . . وانما نسبوا الى الديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون في نشر دعوتهم هناك منذ أيام الرشيد ، وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في أواخر القرن الثالث فأجابوه

وجد آل بويه الاقرب الذي أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبوشجاع ، كان له ثلاثة أولاد ، هم : علي ويلقب بعماد الدولة ، وحسن ويلقب بركن الدولة ، وأحمد ويلقب بمعز الدولة . وكان بويه رقيق الحال ، فانتظم أولاده في الجندية لانها كانت يومئذ بابا من أبواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت أحواله ، فكتب الى الخليفة العباسي - وهو يومئذ الراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ - ان يوليه على أعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جاری عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فأجابه الراضي وبعث اليه بالخلة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدا مع أخيهما الثالث معز الدولة في شيراز ، وساروا غربا حتى أتوا بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم باللقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء ، فاستبدوا في المملكة ، واستولوا على الخلافة ، وعزلوا الخلفاء وولوهم . . . فرفعوا منار الشيعة وأحيوا معالم التشيع وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما أفضت أماره الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك ، وهر أول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ ، وكانوا يحبون العلم والادب ولايستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . . فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزراءهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم ، كابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وسابور بن اردشير والمهلبى . . فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على ان ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر ، أشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ . كان أوسعهم سلطانا ،

وأقواهم سطوة ، وكان مشاركا في عدة فنون من الادب . . فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب ، فألف له أبو اسحق الصابي كتابا في أخبار آل بويه سماه التاجي ، وألف له أبو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمتنبي والاسلامي وغيرهما ، وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير ، لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

عَلَوْهُ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لَعَمْرُكَ تِلْكَ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ (١)

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن ، وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر ج ٢ أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن أفتكين التركي صاحب دمشق كتب اليه : « ان الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر ، وان قويتني بالاموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم » فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط ، وهي : « غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك ، فاحش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهذا » والبيمارستان في بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعرا (٣٥٦ - ٣٦٧ هـ) . وكذلك تاج الدولة ، وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان يلي الاهواز ، فأدركته حرفة الادب فأدت الى نكبته . وكذلك أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من أشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر للشعالبي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على ان تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف في الاكثر على اخذهم بناصر الادباء والعلماء ، وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . . فركن الدولة بن بويه في الري وهمدان وأصبهان (سنة ٣٢٠ - ٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصدا للشعراء والادباء وأهل العلم كما سترى ، وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ - ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير ، فأنشأ هذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس . قال ياقوت : « لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها ، كانت كلها بخطوط الائمة المعبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور أيضا شاعرا

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ - ٣٥٦) استوزر الحسن المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ ، وكان المهلبى شاعرا أدبيا وهو صاحب الابيات المشهورة التي أولها :

ألا موتٌ يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في اشد الضيق قبل الوزارة . .

وأكثر وزراء هذه الدولة تأثيرا في هذه النهضة صاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزير لفخر الدولة أخيه . وكان شاعرا عالما كاتباً ، وسنترجم له على حدة . وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة عند فخر الدولة لا يرد له طلبا . . فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له عشرات من أهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يقدون عليه . وبالجملية فان البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتابهم من الادباء ، ويتعاونون على نصرة الادب

٢ - الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من اشراف بلخ ، انشأ ابناؤه دولة عظيمة في خراسان و تركستان . وازدهرت في أيامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيها أنشئت أقدم المدارس الإسلامية ، (١) وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ - ٣٨٩ ، اشتهر غير واحد منهم بنصرة العلم . . فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ - ٣٦٦) كان محبا للعلم والعلماء ، فاستوزر البلعنى العالم الفارسى ، فترجم له تاريخ الطبرى الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبرى وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ - ٣٨٧) من محبى العلم وأهله . . كان مجلسه مجتمع الشعراء ، وهو أول من اقترح نظم الشاهنامه (الياذة الفرس) في الفارسية . اقترح ذلك على شاعره الدقيقى فنظم له بعضها ، ثم قتل فاتهمها الفردوسى بعده بإشارة السلطان محمود الفزنوى كما سيجىء . وكان نوح يميل الى استخدام رجال العلم ، فلما سمع بشهرة صاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرا يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدير أمر مملكته . فاعتذر صاحب عن ذلك بأنه يحتاج لنقل كتبه الى . . . جمل ، ولعل له عذرا آخر كتبه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغبا في اقتنائها ، فجمع مكتبة كبيرة حوت أهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا في حديثه عن نشأته ، وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن أبناء الدولة السامانية منصور السامانى ، لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فألف له أبو بكر الرازى كتاب المنصورى في الطب كما تقدم . وبالجملية كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع أفراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ - الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقر هذه الدولة في جرجان بطبرستان ، أول ملوكها مرداويج بن زيار ، تولى الملك سنة ٣١٦ هـ ، وأشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالى قابوس

ابن وشمكير (سنة ٣٦٦ - ٤٠٣) وكان شاعرا أديبا كاتباً من أبلغ كتاب العربية ، وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف في العربية رسالة في الاسطرلاب أطنب أبو اسحق الصابى في مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التى مطلعها :

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا هل حارب الدهر إلامن له خَطر
أما ترى البحر تعلق فوقه جيّف وتستقر بأقصى قعره الدّرّار
وفى السماء نجوم ما لها عَدَد وليس يَكْنَسَفُ إلا الشمس والقمر
وذكر له صاحب يتيمة الدهر أمثلة من الانشاء البليغ ، وكان يرأسل
الصاحب بن عباد . ووزيره أبو العباس الغانمى يرأسل أبا نصر العتبى
مُورخ السلطان محمود الغزنوى

٤ - الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم البتجين تولى سنة ٣٥١ هـ ، لكن أشهرهم وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ - ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة فى الهند وناشر الاسلام فيها ، وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٩٨ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتد سلطانه على أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالى الهند . وورث ما كان هنالك من أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه أهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامه التى بدأ بنظمها الدقيقى كما تقدم ، فأتمها الفردوسى وقد نظم معظمها . . ولذلك فهى تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم أو شاعر الا استقدمه اليه ، فعلم ان فى مجلس مأمون بن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلاسفة . . فى جملتهم ابن سينا الطبيب ، والبيرونى الرياضى المؤرخ ، وأبو سهل المسيحى الفيلسوف ، وأبو الحسن الخمار الطبيب ، وأبو نصر العراقى الرياضى وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم فى مجلسه ، فكتب الى مأمون كتابا أرسله مع بعض خاصته : « علمت ان فى مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان ، فأرسلهم الى ليتشرفوا بمجلسى ونستفيد من علمهم » . فلم يكن للأمير أن يرد الطلب ، لكنه كان حريصا على أولئك الاعلام . . فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيرونى والخمار والعراقى الذهاب طمعا فى سخاء السلطان ، وفر ابن سينا والمسيحى فى حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما أردنا بيان رغبة السلطان محمود فى تقريب العلماء . . وان لم تكن رغبته لمجرد حب العلم ، فان التقريب لأهل العلم والادب واکرامهم كان فى نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

٥ - الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل ، جدها حمدان . . كان له شأن كبير في أخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردین ، فأخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميرا على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين ، وصاروا دولة ، حكم منها أربعة أمراء في الموصل وخمسة في حلب ، حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ ، واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

أشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ - ٣٥٦) ممدوح المتنبي . وكان سيف الدولة أدبا شاعرا نقادا للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات المترفة كقوله (*) :

وساقٍ صَبِيحٍ للصَّبُوحِ دَعْوَتُهُ فقام وفي أجفانه سِنَّةُ الغَمَضِ
يطوف بكاساتِ العتقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍ علينا ومنقضٍ
وقد نشرتْ أيدي الجنوبِ مطارفا على الجوِّ دُكْنَا والحواشي على الأرض
يطرِّزها قوسُ السحاب بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ إثر مَبْنِيضٍ
كأذيال خَوْدٍ أقبلتْ في غلائلٍ مصبَّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بَعْضِ

وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) . وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد أشعارهم نقدا يدل على شاعرية وعلم ، ويبدل لهم الجوائز السنية . وأخباره مع المتنبي مشهورة ، وكذلك مع السرى الرفاء والنامي والبغاء والوأواء وتلك الطبقة واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء ، أشعرهم أبو فراس الحمداني المشهور ، وسيأتي ذكره . . ومنهم أبو زهير وأبو وائل وغيرهما ، كما اشتهر منصور وأحمد ابنا كيفلخ من أمراء الشام

٦ - الدولة الروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في إبان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ - ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ - ٣٦٦) وهما أشهر من أن نبين جنبهما العلم والعلماء . وفي كتاب نفح الطيب للمقرئ عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسهما فضلا عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعا باقتناء الكتب ، فجمع منها ما لم يجمعه

(*) الصحيح أن هذه الابيات من شعر ابن الرومي ، وهي في ديوانه

أحد من الملوك قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع إليها الكتب من أنحاء العالم . . كان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الاموال ، ويحرصهم على البذل في سبيلها لينافس بنى العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى معاصرا له وهو أموى مثله ، فبذل له ألف دينار ذهباً على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بنى العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي أبى بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام ، فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة وأقاموا عليها خازنا ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا ان فهارس الدواوين وحدها كانت ٤٤ فهرسا ، في كل فهرس عشرون ورقة (١) ولا تظننا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرئ بأن مجموع ما حوته تلك المكتبة . . . ٤٠٠ ر . . ٤٠٠ مجلد ، ونبلغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبلغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله ، منهم اسماعيل بن ذى النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ ، وكان عالما بالادب

٧ - الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في أواسط العصر الذي نحن بصددده ، ونبلغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله ، هما : العزيز بالله (سنة ٣٦٥ - ٣٨٦) ، والحاكم بأمر الله (سنة ٣٨٦ - ٤١١) . فأنشأ خـزائن الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف موضوعاتها ، وأنفقا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من أنواع الكتب وعنايته بتعهدها والانفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامى الجزء الثالث ، ووصفنا أيضا مكتبة الحاكم التى سماها دار الحكمة أو دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصرا على خدمة علوم الادب والفقه ، ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراسد التى أنشأوها كالرصد الحاكى (المرصد) الذى بناه الحاكم على جبل المقطم ، وما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسى مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ، ونبلغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

ورغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة ، فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم : آل ميكال في خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا بآداب العرب فنبلغ منهم الشعراء والادباء كأبى الفضل الميكالى وأبى محمد الميكالى وغيرهما ، وآل

المأمونى من نسل الخليفة المأمون ، وآل الواثقى من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجمله فقد كانت العلوم رائجة وأصحابها في عز وثروة ، يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما ألف الواحد منهم كتابا للملك البويهى وكتابا للسامانى وآخر للفرزنوى ، كما فعل أبو منصور الثعالبي . . فانه ألف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد ، والمبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وسحر البلاغة وفقه اللغة لابي الفضل الميكالى ، والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلا عجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغير في أكثر أبواب العلم كما ستراه في مكانه

وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية والفرزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل ، وكان الفرس قد أخذوا في إعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون . . فأنشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية وأخذوا في احياء آداب أسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامه وغيرها ، ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين

مزايا هذا العصر

١ - تفج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال ، وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يقلدها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم « كلاسيك » ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية اخوان الصفا ، واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل اخوان الصفا ، وفي جملتها آراؤهم في أصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات ، نحو ما يقول اليوم أصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفى المبني على النظر والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود ، ثم تكون الانتقاد الشعرى أو الادبى واستقرت أبواب الشعر وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منهما علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم ، وهو أهم مصادر تاريخ آداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها . تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات ، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمى التى تقدم ذكرها . . كانت تحتوى على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بأمر الله ، وكانت أبوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ . . نحو ما يراد بدار الكتب المصرية الآن ، ومكتبة الحكم

بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد
ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ - ظهور الموسوعات

وفي هذا العصر أخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد أن وضع أساسها الفارابي كما تقدم . على أن من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد موضوعاته ، ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . وأقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب « مفاتيح العلوم » لأبي عبدالله محمد ابن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ألفه لأبي الحسن عبيدالله بن أحمد العتبي ، وقسمه الى مقالتين :

الاولى : تشتمل على ٥٢ فصلا تجتمع في ستة أبواب ، وهي : الفقه ، الكلام ، النحو ، الكتابة ، الشعر والعروض ، الاخبار

والثانية : تشتمل على ٤١ فصلا في تسعة أبواب : الفلسفة ، المنطق ، الطب ، علم العدد ، الهندسة ، النجوم ، الموسيقى ، الخيال ، الكيمياء

وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن في نيف وثلثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لأوائها ، فيحتوى على الموضوعات والمصطلحات العلمية . . فهو أشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ، ولذلك سماه مفاتيحها ، وهو جزيل الفائدة . وقد ألف العرب كثيرا من الموسوعات بعد هذا العصر ، سيأتى الكلام عليها في مكانه

٣ - تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة أبواب : العلوم الخطية - تسعة علوم . العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية ، والتاريخ وغيرها - ٤٤ علما . العلوم الباحثة عما في الازهان من المنقولات - خمسة . العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعى والفراسة - ١٢٢ علما . العلوم الحكمية العلمية - ثمانية علوم . العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين - يزيد عددها جميعا على نيف ومائة علم ، ولولا ضيق المقام لأتينا بأسمائها ، وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ، ومؤلفات تعد بالآلاف والالوف شاع أكثرها ، وعلينا أن نذكر ما بقى منها

٤ - تدبير المنزل

وبين هذه العلوم فروع لم يصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد أن نضج تمدنهم في القرن الماضى . وقد عرفها العرب وألفوا فيها منذ ألف سنة أو نحوها ، كعلم « تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وأولاده وخدامه ،

وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال « وموضوعه » أحوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام « وحاصله » انتظام أحوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم « . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة - وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلا عن الثالث - كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسويه ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيى المنجم ولأحمد بن الطبيب ولجحظة والرازي وغيرهم . ويظهر من أسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات وأشباؤها ، وهي كثيرة وتدخل في باب تدبير المنزل

٥ - كتاب السياسة

وألّفوا أيضا في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية ، قلّدوا بها ما نقلوه عن أرسطو . والسياسة عندهم ضروب ، منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد ألّف في السياسة على أجمالها أبو زيد البلخي المؤرخ الجفراقي - المتقدم ذكره - كتابين : الكبير ، والصغير . وألّف في السياسة المدنية أبو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب « سياسة المالك في تدبير الممالك » لابن أبي الربيع جاء في مقدمته انه ألّفه للمعتصم العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب انه متأخر عن ذلك التاريخ لأسباب بينهاها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جدا لم يترك بحثا من أبحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرّقه ورتبه وأوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و « نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله قدمه لصالح الدين الايوبى ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ - الاقتصاد السياسى

واشتغلوا أيضا بعلم الاقتصاد السياسى ، وهو من العلوم التي يعدها اهل زماننا من محدثات هذا التمدن . . لكنه قديم في آداب لغتنا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن بصددده ، فان جماعة ألّفوا في الموضوعات التجارية الاقتصادية في العصر العباسي الثاني ، لكن موضوعاتهم كانت خاصة في صنف أو بضعة أصناف ، ككتاب « الجواهر وأصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهري ألّفه للمعتضد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وكتاب « أجناس الرقيق » لرجل من اهل مصر . وكتاب « مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ » ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسى ، وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع ، نعى به كتاب « الإشارة الى محاسن التجارة » للشيخ أبى الفضل جعفر بن على الدمشقى لا يعرف

زمن وفاته .. لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث ، والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ورديتها وغشوش المدلسين ، وفصول في حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفي الكتاب فصول في تحصيل الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال ، ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

١ - علم العمران وغيره

ومن أبحاثهم أيضا علم العمران ، والمشهور أنه من ثمار التمدن الحديث .. ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم ، وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون .. فان في كتاب سياسة المالك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وعلى كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو أستاذ العالم في هذا العلم . وسيأتى الكلام على ذلك في مكانه وناهيك بعلوم الحرب وضروبها فانهم ألفوا فيها منذ أوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمي الشعراني ألفه للمأمون ، سماه كتاب « الحيل » جعله مقالتين : الاولى ٣ أجزاء والثانية ٣٦ فصلا ، كلها في الحروب وآلاتها . وذكر كتابا قبله لعبد الجبار بن عدى ألفه للمنصور في آداب الحروب وصورة العسكر ، وغيرها كثير ، لكن أكثرها ضاع . وسنأتى على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم في باب

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن أحوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر أكثر مما في سائر الآداب . . لان الشعر مرآة أحوال الأمة كما تبين لك مما بسطناه عن أحواله في العصور التي تقدم ذكرها . كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم وأخلاقهم ، يمثلون فيه الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلفون ولا يبالفون . فصاروا في أيام بني أمية وأكثر نظمهم في السياسة ، وظهر التشبيب بكثرة الجوارى والسرارى ، وكثر الهجو لاختلاف الأحزاب مع المحافظة على الصبغة البدوية . فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وتنزهوا في الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الفلمان ظهر أثر ذلك في أشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء . ونحن الان في عصر تسابق فيه ولاية الامر الى تقديم أهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليب

مزاي الشعر في هذا العصر

١ - حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عود عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة . . فخطوا خطوة أخرى في تبديل مذهب الشعر وطريقته ، واماما هذه الطريقة المتنبي والمعري . وقد رأيت أن شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين، لكنهم ظلوا يحاكونهم في كثير منها وهم يرسفون في القيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى . . فتخلص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالوا الشعر كما توحيه القريحة ، فنظما في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند أنفسهم ولا سيما المعري . والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصوير الجمال الطبيعي بأعم معانيه وهو ما يعنيه الأفرنج بالشعر ، ولكن لأدباء العرب نظرا آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز . وسنعود الى ذلك

٢ - مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقه

على ان العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للأفكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان ، فصاروا يتمثلون بأبطالهم كقول المتنبي :

مَنْ مَبْتَلِغِ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهُمْ شَاهَدَتْ رَسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا
وَسَمِعَتْ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كَتَبَهُ مَتَمَلِكَا مَتَبِيدَا مَتَحَضَرَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُ نَفُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا
وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وَقَدْ يَلْبَسُ الْمَرْءُ خَزَّ الثِّيَابِ وَمِنْ دُونِهَا حَالَةٌ مُضْنِيَّةٌ
كَمَنْ يَكْتَسِي خَدَّيْهِ حَمْرَةً وَعِلَّتْهُ وَرْمٌ فِي الرِّيَّةِ
وقوله :

إِنْ الْجَهْلُ تَضَرَّنِي أَخْلَاقُهُ ضَرَّرَ الشَّعَالَ بِمَنْ بِهِ اسْتِسْقَاءُ
وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قَدْ غَصَّ مِنْ أَمَلِي أَنَّى أَرَى عَمَلِي أَقْوَى مِنَ الْمُشْتَرِي فِي أَوَّلِ الْحَمَلِ
وَأَنْتَى رَاحِلٌ عَمَّا أَحَاوَلَهُ كَأَنْتَى أَسْتَدْرِشُ الْحِظَّ مِنْ زُحَلٍ
ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وأمثالهم في اليونانية ، اما
اقتباسا كما في أشعار المتنبي أو نقلا وتعريبا . وأكثر ذلك منقول عن
الفرس ، وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكري :

مَنْ مَكَّلَ الْفَرَسَ ذَوِي الْأَبْصَارِ الثَّوبَ رَهْنٌ فِي يَدِ الْقَصَّارِ
إِنْ الْبَعِيرُ يَبْغِضُ الْخَشَّاشَا لَكِنَّهُ فِي أَنْفِهِ مَا عَاشَا
نَالِ الْحِمَارِ بِالسَّقُوطِ فِي الْوَحَلِ مَا كَانَ يَهْوِي وَنَجَا مِنَ الْعَمَلِ
نحن على الشرط القديم المشترط لا الزق منشق ولا العير سقظ
وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه
واشتغال كثيرين من أصحابه بالشعر ، كقول بعضهم :

مَنْ سَرَّهَ أَنْ يَرَى الْفَرْدُوسَ عَاجِلَةً فَلْيَنْظُرِ الْيَوْمَ فِي بَنِيَانِ إِيْوَانٍ
أَوْ سَرَّهَ أَنْ يَرَى رِضْوَانَ عَنْ كُتُبٍ بِمَلَأَ عَيْنِيهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْبَائِي

٣ - أبواب كثيرة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في
أسباب الرخاء ، فبعد أن كان الشغل الجاهلي أكثره في الحماسة والفخر
والرثاء والمدح ، زاد عليه الاسويون التشبيب والهجاء . وزاد العباسيون في
العصر الاول الخمريات والتفزل بالقلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث)

أبوابا ثلاث أحوال الاجتماع والمدنية ، أهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى
 الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات ، وصار
 النظم في الزهر بابا قائما بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه أمثلة في
 العصور الماضية ، لكنها أصبحت في هذا العصر أبوابا مستقلة . وهي تدل
 على تلطف أخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء أذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلا ما ينظم في الاخوان أو الاصدقاء من أسباب
 التقارب كقول بعضهم :

وأخ إذا ما شطَّ عني رَحْلُهُ أدنَى الوء على النَّوَى معروْفُهُ
 كالكرم لم يمنعه بُعْدُ عَرِيشِهِ من أن يقرَّبَ للجَنَّةِ قُطُوفُهُ
 والمداعبات مثل :

أبا جعفر هل فَضَضْتَ الصَّدْفُ وهل إذ رَمِيتَ أَصَبْتَ الهَدْفُ
 وهل جئتَ لَيْلًا بلا حَشْمَةٍ لهول الشَّرَى سُدْفًا في سُدْفُ
 وشكوى الدهر مثل :

يا دهر ما أقساك يا دَهْرُ لم يحظ فيك بطائلٍ حُرِّ
 أما اللثام فأنت صاحبهم ولهم لديك العطف والنصر
 يبقى اللثيم مدى الحياة فلا يرتاع منه لحادث صَدْرُ
 وقس على ذلك . . وترى أمثلة كثيرة من هذه الابواب في يتيمة الدهر
 للثعالبي

٤ - المبالغة

غالى أهل هذا العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل
 العصور الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :
 وضافت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غيرَ شيء ظنَّه رجلا
 فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطَّفل ما سَعلا
 ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولا أنتى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى
 وناهيك بالمبالغة في المدح ، فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واماما
 المداحين في هذا العصر المتنبيان : أبو الطيب ، وابن هانئ . ومن مبالغات

أبى الطيب فى المدح قصيدته السينية التى مطلعها (❖) :

هذى برزت لنا فهجرت رسيسا ثم اثنت وما شفيت نسيسا
الى أن يقول :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرنا شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه فى يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لثج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضوء جينيه عثدت فصار العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورأيت فرأيت منه خميسا
ولحظت أنمله فسلن مواهبنا ولمست متصلا فسال نفوسا
يا من نلوز من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه إبليسا
ونحو ذلك قوله :

وأعجب منك كيف قدرت تنشا وقد أعطيت فى المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شىء لما صلح العباد له شيلا
وقوله :

بمن أضرب الأمثال أم من أقيسه اليك وأهل الدهر دونك والدهر*
أما ابن هانئ متنبى الغرب فيكفى مثالا لمبالغته القصيدة التى مدح بها
المعز لدين الله الفاطمى ، ومنها قوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأت الواحد القهار*
وكأنما أنت النبى محمد* وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذى كانت تبشرنا به فى كتبها الأحبار والأخبار

٥ - طول القصائد

وطالت القصائد فى هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات

(❖) الغريب فى الأبيات : الرئيس هنا : حمى الحب ، والتيسيس : بقية النفس والروح -
ويقول فى البيت الثانى أن له رأيا سديدا لو استخدمه الاسكندر لاضاعت له الظلمات ، وهى
مبالغة واضحة ومثلها الأبيات التالية : عازر : هو الشخص الذى أحياه عيسى بعد موته ، نقول
أن مدوحه لو قتله فى الحرب لعجز عيسى عن احيائه . ولج البحر مثل يمينه أى قى العطاء
والبدل . والخميس : الجيش ، والمنصل : السيف

المئات من الابيات ، كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني (**) . ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأوا الامم الاخرى في الاطالة ، كما فعل اليونان بالالياذة والاولديسة ، والفرس في الشاهنامه ، وهو الشعر المعروف بالاييسوبة . . . وتعد ابيات الواحدة بعشرات الالوف . على انهم ذكروا لأبي الرجاء محمد بن أحمد ابن الربيع الاسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ قصيدة أبياتها تعد بالالوف ، ضمنها أخبار العالم وقصص الانبياء . ويعد من هذا القبيل نظم كليله ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير ، أى لم ينظمه الشاعر من بنات أفكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ - الوصف الشعري

وأجاد أهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم في الشعر العربي ، لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له في هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج . والشعر الوصفى عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدنية حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على ان تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية ، فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

أَفَاطِمُ لَوْ شَهِدْتَ بِبَيْطُنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ بَرَّ أَخَاكَ بِشْرًا

الى آخرها ، هي وبديعة ، ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفى بعد الاسلام رويدا رويدا مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالثاني حتى بلغ أحسنه في العصر الثالث هذا . وأبرع وصافي العصر الثاني البحتري ، وأحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها (**) :

يَا مَنْ رَأَى الْبِرَّةَ الْحَسَنَاءَ رُؤْيَتْهَا وَالْأَنْسَاءُ إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا
حتى يقول :

تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مَعْجَلَةٌ كَالْخَيْلِ خَارِجَةٌ مِنْ حَبْلٍ مُجَرِّهَا
كَأَنَّمَا الْفُضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

(*) الحق أن التطويل في القصائد ظهر قبل هذا العصر ، وخاصة عند ابن الرومي ، فقصائده أطول قصائد الشعر الغنائي عند العرب ، اذ تمتد الى مئات الابيات
(**) الغريب في الابيات : المغاني : المنازل ، الحبك : تجمد الماء ، الجواشن : الدروع ، ريق : نقيت : أوائله

إذا عَليَتْها الصَّبَّاءُ أبَدَتْ لها حُبَّنا مثلَ الجواشنِ مصقولا حواشيها
فحاجبُ الشمسِ أحيانا يضاحكها وريق الغيث أحيانا يياكيها
إذا النجوم تراءتْ في جوانبها ليلا حسبتْ سماءً رُكِّبتْ فيها
وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتر بالله قال فيها (※) :

وكانَ حِطَّانُ الزجاجِ بجَـوِّهِ لَجَجَ "يَمُجِّنَ" على جنوبِ سواحل
وكانَ تَفْويفُ الرُّخامِ إذ التقى تَأَلَّفَ به بالمنظر المتقابل
حُبُّكَ الغمامِ رُصِفْنَ بينَ منمَّرٍ ومسيَّرٍ ومقارِبٍ ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعا في الوصف ودقة في التعبير .
وممن أجاد فيه المتنبي وابن هانئ والمأموني . ولهذا الأخير قصيدة في وصف
قصر بناه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئاً منها بدارٍ حوتَ منكَ جبالاً من الحُلومِ رجاسا
ذاتِ صدرِ كَرَحَبِ صدرِكَ قد زادت على ظنِّ آملِكَ انفساحا

ثم أتى على وصف الدار وصفا يطابق ما يتخيل للداخل اليها ، فيتدرج
من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب وما يحتاج الى فخامة اللفظ
والمعنى كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق .
ومن أحسن شعره الوصفى قوله يصف مشية الاسد (※※)

يطأ التَّرى مترَفِّقاً من تيهه فكأنه آسِرٌ يَجِسُّ عَنيلاً
ويردُّ غُفْرَتَهُ الى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلاً
وتظنه ما تَزَمَجَرُ نفسه عنها بشدة غيظه مشغولاً
قَصَرَتْ مخافتُه الخَطَى فكأنما ركب الكميَّ جواده مشكولاً

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ ،
كما فعل اليونان والفرس قديما أو كما يفعل أدباء الافرنج الآن في تأليف
الروايات الوصفية للأخلاق والعادات . وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع

(※) الغريب في الابيات : تفويف الرخام : ما به من خطوط بيضاء ، المنمر : ما فيه
نكت من أي لون ، المسير : المخطط
(※※) الغريب في الابيات :

آس : ملجئ ، الغفرة : لبدة الاسد وشعره الذي على كتفيه ، وهو يرده الى رأسه اذا غضب
حتى يجمع قوته الى أعلى بدنه . الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه ، مشكولا : مقيدا ،
وواضح ان البيت الأخير يصور خوف الفارس الشجاع من لقاء هذا الاسد الذي قتله ممدوحة
ابن عمان

تولدت في الشعر أبجر جديدة لم تكن فيه من قبل ، أهمها الموشحات (❖) ينظمونها أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا . . يكثر من منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا . ويلتزمون تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة أبيات . ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الأغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل الشعراء في القصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين ، وأول من نظمها منهم مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني في أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقعا حسنا عند المحافظين على القديم ، فكسدت حينئذ حتى نبغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ) (١) فأجاد وجاء بعده ابن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « أن أول من نظم عقود الموشحات وأقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء في الدولة العامرية ، وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود القبري الضرير . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي ، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التصفير . وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وعلى كل حال فإن الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن بصددده .

وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر ، وفيه أيضا نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق . ولنقد الشعر تاريخ يستحسن إirاده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي (❖❖)

يقسم النقد الأدبي أو انتقاد المؤلفات الى أقسام أهمها ثلاثة : نقد الشعر ، نقد الإنشاء ، نقد التاريخ . والمشهور أن العرب من أقل الأمم

(❖) راجع في الموشحات وأوزانها وتاريخها مقدمة ابن خلدون ودار الطراز لابن سناء الملك وتاريخ الفكر الاندلسي ص ١٤٢ والعربية ليوهان فك ص ١٨٥

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

(❖❖) راجع في هذا الموضوع كتابنا عن النقد « طبع دار المعارف » وكتاب النقد المنهجي عند العرب في القرن الرابع الهجري لمحمد مندور ومقدمة طه حسين لكتاب نقد النثر لقدماء

نقدا وتمحيصا . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لأسباب سببها فيما يلي من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك ، فهم من أكثر الأمم ميلا الى النقد أو التمحيص . . وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تيسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب ، فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء وأخيرا التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلا خاصا في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى أقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام ، فقد رأيت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو أشعر الشعراء ، وكثيرا ما كان الجدل يفضي الى الخصام . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد لبيّنوا فضله على سواه ولم يقتصر التصدي للنقد على الادباء أو الشعراء ، بل كان يتناول كل ذي المسام بالشعر . وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه ، وكانت مجالس سكية بنت الحسين في المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في أرقى الأمم المتعدنة اليوم . ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول ، فكانت مجالسهم وأنديتهم للمفاكهة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ، ونعني الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تقليدهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتفزل بحيوانات البادية وأحوالها كما كان يفعل الجاهليون ، فأول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول . وقد اشرنا الى ذلك في الصفحات الاولى من هذا الكتاب . وانما هي أبيات قالوها عرضا

أما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره ، فأول من أقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء . . فانه قدم لذلك الكتاب بمقدمة ، فيها نقد جميل ، قال في جملته « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبته من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية » . وبحث في شيء من هذا القبيل ابن أبي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة أشعار العرب . ونجد شيئا من ذلك أيضا في كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره . أما أدباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وأمثالهم ، فقد توسعوا فيه ، لان ما ألفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعري

على ان أكثرهم نقدا وتمحيصا ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء ، وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد

أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . . بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه . فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه فى متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له الا انه قيل فى زمانه أو انه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر . وجعل كل قديم حديثا فى عصره وكل شرف خارجية فى أوله . فقد كان جرير والفرزدق والاخلط وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمر بن العلاء يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته » ثم صار هؤلاء قدما عندنا ببعده العهد منهم ، كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمى والعتابى والحسن بن هانئ واشباههم . فكل من أتى بحسن قول أو فعل ذكرناه له وأتيناه به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه ، كما ان الردىء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء فى صدر كتابه أدب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، فأفرد لذلك كتابا خاصا سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره وهو أول من فعل ذلك . . فبين حدد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافهما فى أبواب النظم المعروفة فى عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر فى ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد ، فترك اتمامه لادباء العصر العباسى الثالث الذى نحن بصدد

فجاء بعده الأمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته فى معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه فى الموازنة بين أبى تمام والبحترى - وقد ذكرناه فى ترجمة البحترى - وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شعاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل على بن عبد العزيز الجرجانى الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ردا على كتاب ألفه ابن عباد فى مساوىء المتنبى . . فكتاب الوساطة مع كونه بين المتنبى وخصومه ، لكنه يتضمن أبحاثا فى الشعر على العموم والشعراء على اختلاف العصور الى أيامه (١) . وفى كتاب مفاتيح العلوم لأبى عبد الله الخوارزمى - المتقدم ذكره - باب فى الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ فى الشعر لابن فارس اللغوى الآتى ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعرى أيضا كتاب يتيمة الدهر للثعالبى ، فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وأمثلة من أقوالهم مع الملاحظة والانتقاد فى أربعة مجلدات كبيرة ، وسنذكره فى ترجمة الثعالبى

(١) تجد ترجمة على بن عبد العزيز فى يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ٣

ونشأ في أثناء ذلك علم خاص يبحث في أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز والامتناع ومعايب التركيب كما عاب الصاحب انا تمام بقوله :

كريم "متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لمته لمته وحدى

حيث قابل المدح باللوم والتكرار فى لفظ أمدحه ولمته . ويعد من قبيل النقد الشعرى أيضا رسالة الففران لابی العلاء المعرى ، لان المتكلم فيها زعم انه جال فى الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم ، وسيأتى ذكرها فى ترجمة أبى العلاء

كتاب العمدة

على ان ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية فى سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسى الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن وشيقيق . جمع فيه أحسن ما قاله الذين سبقوه فى النقد وغيره ، ليكون العمدة فى محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه ، قال : « وعولت فى أكثره على قريحة نفسى ونتيجة خاطرى خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره فى ترجمة ابن رشيق

ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب فى النفوس تصدى معاصروه لنقصه ومعارضته ، وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لابی عبد الله محمد ابن أبى سعيد بن شرف الجذامى القيروانى الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تألق فى رسائله فسجعها وزينها بالتشابه والكنائيات ، يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب . وضمنها انتقادا على الشعراء الجاهليين فما بعدهم ، وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها فى مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتبا فى نقد الشعر لابی عبد الله محمد بن يوسف الكفرطابى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء فى العصر العباسى الثالث

كان الفرزدق وجريز والاخلط وغيرهم من شعراء بنى أمية يعدون فى ذلك العصر محدثين ، فأصبحوا يعدون فى العصر العباسى الاول قديما وصار أبو نواس والعتابى واشباههم محدثين ، ثم صار هؤلاء قديما أو مولدين فى العصر الذى نحن بصدده وصار أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعد هؤلاء جميعا قديما

مميزات هذا العصر

ويمتاز الشعراء في هذا العصر عن سبقهم بأمور أهمها :

- ١ - انهم ظهوروا وتكاثروا في أطراف المملكة الإسلامية أيضا بعد أن تفرق الأدباء من بغداد كما تقدم ، فبعد أن كان أكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء ، وان ظلت الأفضلية لشعراء الشام والعراق لأسباب ذكرناها في غير هذا المكان
- ٢ - ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والأمراء وسائر وجوه الدولة وأصحاب الثروة والوجاهة
- ٣ - تعاظم الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والأطباء
- ٤ - زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الإسلامية. ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتى بأشهرهم حسب سنى الوفاة

أشهر الشعراء

١ - أبو الطيب المتنبي

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي .
وينو جعفي بطن من سعد العشيرة ، من القحطانية ، فهو عريق في
العروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب إليها ،
وليس هو من كندة القبيلة المعروفة . وكان أبوه من العامة يسقى الناس
ويسمونه « عبدان السقاء » لكن أبا الطيب نشأ على طلب العلم والادب .
وكان قوى الحافظة مطبوعا على الشعر . فلما ترعرع حمّله أبوه إلى
الشام ينتقل به من باديتها إلى حاضرتها . واخذ العلم من أصحابه ، فمر
أولا باللغة فحفظ غريبها وحواشيها وأشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر
بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطورا على كبر النفس وبعد الهمة ، فلم يقنع
بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر أو الادب . فطلب السيادة بالفتح
فدعا إلى بيعته قوما من مريديه من أبناء سنه فبايعوه ، وحين كاد يتم أمر
دعوته وصل خبره إلى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس
نظم قصيدة استعطف بها الوالي ، حتى يطلقه ، مطلعها :

أَيَا خَدِّدَ اللَّهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدْ قَدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ (*)

إلى أن قال :

دَعَاكَ لَمَّا بَرَأَنِي الْبَيْلَى وَأَوْهَنَ رَجُلِي ثِقْلَ الْحَدِيدِ
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقِيُودِ
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مُحْفَلٍ فَهَا أَنَا فِي مُحْفَلٍ مِنْ قُرُودٍ
تَعْجَلُ فِيَّ وَجُوبَ الْخُدُودِ وَحَدَّيَّ قَبْلَ وَجُوبِ السَّجُودِ

أي إنما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم تجب على الصلوات بعد ،
فأطلقه . ولما فرغت يده من الفتح طلب ما هو أبعد منه ، فزعم أنه نبي
اعتمادا على بلاغة أسلوبه . فخرج إلى بني كلب وأقام فيهم وادعى أنه
علوي ثم ادعى النبوة . وقال أنه أظهر دعوته هذه أولا في بادية السماوة .

(*) خدد : شق ، وقد : قطع ، وهو دعاء للاعجاب والاستحسان أو لعله دعاء حقيقي كأنه
يريد أن يتخلص من وجده وجبه

ونواحيها ، واخذ يتلو عليهم كلاما زعم انه قرآن انزل عليه . . فكانوا يحدون له سوراً كثيرة أورد أبو علي بن حامد جزءاً من سورة قال انه ضاعت وبقي أولها في حفظه ، وهو « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، ان الكافر لفي أخطار ، امض على سنتك وأقف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قانع بك زيغ من الحد في دينه وضل عن سبيله » . فلما شاع أمره بين الناس خرج عليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيديّة فقاتله وأسر من كان معه من بنى كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب ، وحبسه في السجن دهرًا طويلاً حتى كاد يتلف . فسئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك أنكره وحاول التنصل من تبعته

وقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبية ، فنال منها ما لم ينله سواه . . وراجت سوق شعره بما أصابه من رغبة الملوك والامراء فيه ، فنظم القصائد في أغراض مختلفة وفاق معاصريه على الإطلاق فتسابق الملوك الى تقريبه اليهم بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة بن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧ هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء ، فأحرز المتنبي قصب السبق بقصائد سار بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي ، فوقع بينه وبين المتنبي كلام أدى الى نفور . . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح كان معه فشججه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه ففضب وخرج الى مصر . وأراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦ هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح أنوجور بن الاخشيد ، فأكرمه حتى صار يقف بين يدي كافور . . وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلما رأى كافور سموه بنفسه وتعالى به شعره خافه ، وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعى الملك مع كافور فحسبكم » فأغضبه . فخرج أبو الطيب من مصر فأتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس ، وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محسد وغلّامه مفلح ، حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين ، عرض له فائق ابن أبي الجهل الاسدي في عدة من أصحابه فاقتتلا . فأحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار ، فقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

الخيْلُ والليلُ والبَيْداءُ تعرفني والسيفُ والرمحُ والقِرطاسُ والقلمُ

فكر راجعاً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

أما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة ، وهو مشهور ببضامة

المعاني وامتانة المباني . ولم يدع بابا من أبواب الشعر الا طريقه وأجاد فيه . وخصوصا الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على ألسنة الناس مجرى الأمثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نشر ادخلوه في نثرهم كما فعل صاحب بن عباد (١) ، أو نظموه لانفسهم كما فعل أبو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بأمثلة من نظمه لكثرت ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو ألف سنة ، ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب . وكثيرا ما اشتغلوا بتفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها . وألفت الكتب في ذكره جيدة ورديته ، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه . وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه . . . والكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده أبو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر ، فانه بين بالتفصيل حسناته وسيئاته مع سائر أخباره في نحو مائة صفحة . ولم يبق شاعر أو أديب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان أبا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته ، وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

وقال أبو العلاء المعري : « أبو تمام والمتنبي حكيمان وانما الشاعر البحتري » وكان شيوخ الشعر في أيام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . وأبو سعيد محمد ابن أحمد العميدى ألف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتا من أشعار المتنبي ، وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحترى وأبي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء ، وزعم ان المتنبي سرقها وغير فيها وأعادها لنفسه ، والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨ صفحة . وأبو علي محمد بن حسن الحاتمي أوضح ما توارد من المعاني بين أبي الطيب وأرسطو ولم يتهم المتنبي بالسرقة ، بل قال : « لما رأيت أبا الطيب قد أتى في شعره على أغراض فلسفية ومعان منطقية أردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع أرسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم ، وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك ، وهو في الحالين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال أرسطو وما يقابلها من أشعار المتنبي في نحو عشرين صفحة . وانتقد المتنبي جماعة من المستشرقين أيضا أشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المتنبي للسيد توفيق البكري وقد جمع ديوان المتنبي ورتب حسب الحروف الابجدية . وشرحه

كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٣ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ، ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج وأخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورجه سنة ٤٣٧ كتابا سماه التجنى على ابن جنى في الاسكوريال وشرحه ابراهيم الافليلى المتوفى سنة ٤٤١ هـ ، ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، ومن شروحه نسخة في مكتبة منشن وأخرى في المتحف البريطانى وفي بطرسبورج . وشرحه الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ ، وقد طبع فى بمباى سنة ١٢٨١ وفى أوربا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزى سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبرى (٦١٦) طبع فى بولاق سنة ١٨٦٠ وفى مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفى مكاتب أوربا نسخ خطية من هذا الديوان ، ليس عليها اسماء شراحها . وأحدث شروحه العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب للشيخ اليازجى طبع فى بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبى يطول بنا ذكرها ، منها كتاب الامثال السائرة فى شعر المتنبى موجود فى مكتبة دار الكتب المصرية والمنصف لابن وكيع ، وهو بحث فى حقيقة المتنبى بالنظر الى ذلك ، منه نسخة خطية فى برلين . والصبح المنبى عن حيشية المتنبى ليوسف البديعى المتوفى سنة ١٠٧٣ ، منه نسخ فى أكثر مكاتب أوربا وفى المكتبة الخديوية وغيرها كثير ، وهو مطبوع . وقد عنى غرانجرية بنقل بعض أشعار المتنبى الى الفرنسية وطبعت فى المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) . وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولا سيما ديتريشى وهامر وجونبول ، وقد عنى هذا بترجمة بعض أشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠

وترجمة المتنبى فى ابن خلكان ٣٦ ج ١ ، وقيمة الدهر ٧٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٦٦ (*)

٢ - أبو فراس الحمدانى

توفى سنة ٣٥٧ هـ

هو أبو فراس الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدون الحمدانى ابن عم سيف الدولة . . فهو شاعر أمير ، وكان فارسا مغوارا وشاعرا بليغا وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعدوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمه الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا فى شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقاد الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : « بدىء الشعر بملك وختم

(*) راجع فى المتنبى الانساب للسمعانى الورقة ٥٠٦ أ والصبح المنبى عن حقيقة المتنبى للبديعى والوساطة بين المتنبى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجانى وخزانة الادب ج ١ ص ٣٨٢ وكتاب أبى الطيب المتنبى لبلاشير ومع المتنبى لطف حسين وبحثا لمحمود شاكر نشره فى مجلة المفتطف وكتابنا الفن ومذاهبه فى الشعر العربى الفصل الثانى من القسم الثانى ودائرة المعارف الاسلامية

بملك » يعنى امراً القيس و ابا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامي جانبه فلا ينبرى لمباراته ولا يجترىء على مجاراته . . لكنه لم يمدحه ومدح نفرا دونه من آل حمدان تهيبا له واجلالا ، لا اغفالا واخلاقا . وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن ابي فراس ، ويميزه بالاكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله

واشتهر أبو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب فيها الروم ، فأسر في أحداها وهو جريح في فخذه . . فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها أربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالركة والحنين الى الوطن وعرفت بالقصائد الروميات . ثم أطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو في حمص ، فاعترضه أبو المعالي بن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ (١٩٠٠) ، وأفرد صاحب يتيمة الدهر فصلا كبيرا لترجمة ابي فراس وأشعاره . (ج ١) وقد عني دوفوراك بترجمة بعض أشعاره الى الالمانية ، طبعت في لندن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله في الفخر :

ألم ترنا أعزَّ الناس جارا وأمنَّعهم وأمرَّعهم جنابا
لنا الجبل المطلُّ على نزارٍ حلَّكتنا التَّجْدُ منه والهضابا
تفضِّلنا الأنامُ ولا تحمَّاشي ونوصِّفُ بالجميل ولا تحبَّابي
وقد علمتُ ربيعةً بل نزارُ بأنا الرأسُ والناسُ الذُّنَّابي
ولما أن طغت سفهاءُ كعبٍ فتحننا بيننا للحربِ بابا
منحنَّا الحرائبَ غير أنَّا إذا جارتُ منحنَّاها الحِرابا
ولما ثار سيفُ الدينِ ثُرنا كما سيَّجتُ آساداً غِضابا
أسنته إذا لاقى طعنا صوارمه ، إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مثرعاتُ فكنا ، عند دعوته ، الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقتُ وغرَّسُ طاب غارسه فطابا
وكنا كالسَّهام إذا أصابتُ مراميهما فراميهما أصابا
وقوله في العتاب :

قد كنت عذبتني التي أسطو بها ويدي إذا اشتدَّ الزمان وساعدي

فَرُمِيتْ مِنْكَ بغير ما أَمَلْتَنِيهِ والمِرء يَشْرِقُ بالزُّلالِ الباردِ
فَصَبِرْتُ كالولدِ التَّقَى لِبِرِّهِ أغضى على أَلَمٍ لَضَرْبِ الوالدِ
ومن اخوانياته قوله :

لَمْ أُوْاخِذْكَ بِالْجَفَاءِ لَأَنِّي واثقٌ مِنْكَ بالودادِ الصريحِ
فَجَسِيلٌ الْعَدُوِّ غَيْرِ جَمِيلٍ وقبيحٌ الصديقِ غَيْرِ قَبِيحِ
ومن باب الشكوى والعتاب قوله :

أَيَا قَوْمَنَا لَا تَنْشُبُوا الْحَرْبَ بَيْنَنَا أَيَا قَوْمَنَا لَا تَقْطَعُوا الْيَدَ بِالْيَدِ
فِيالَيْتَ دَانِي الرَّحْمَ مِنْنا وَمِنْكُمْ إذا لَمْ يَقْرَبْ بَيْنَنَا لَمْ يَبْعُدْ
عِدَاوَةُ ذِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً على الْمِرءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمَهْتَدِ
وقوله :

إِذَا كَانَ فَضْلِي لَا أَسْوَأُ غُ نَفْعُهُ فَأَفْضَلُ مِنْهُ إِنْ أَرَى غَيْرَ فَاضِلٍ
وَمِنْ أَضْيَعِ الْأَشْيَاءِ مَهْجَةٌ عَاقِلٍ يَجْثُورُ عَلَى حَوْثِهَا حُكْمُ جَاهِلٍ
ومن النسيب قوله :

تَبَسُّمٌ ، إِذْ تَبَسُّمٌ ، عَنْ أَفَاحٍ وَأَسْقَرٌ ، حِينَ أَسْفَرٌ ، عَنْ صَبَاحٍ
وَاتْحَفَنِي بِرَاحٍ مِنْ رُضَابٍ وَرَاحٍ مِنْ جَنَى خَدٍّ وَرَاحٍ
فَمِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهِ صَبَاحِي وَمِنْ صَهْبَاءِ رِيْقَتِهِ اصْطَبَاحِي
ومن التشبيهات قوله :

لَيْسَنَا رِداءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ رَاضِعٌ إِلَى أَنْ نَرْدِي رَأْسُهُ بِمَشِيبٍ
بِحَالٍ تَرْدُ الْحَاسِدِينَ بَغِظِهِمْ وَتَطْرِفُ عَنَّا عَيْنٌ كُلُّ رَقِيبٍ
إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ مَبَادِي تَصُولٍ فِي عِذَارِ خَضِيبٍ
وَمِنْ رُومِيَّاتِهِ وَقَدْ شَقَّتْ فِخْذَهُ مِنْ نَصْلِ السَّهْمِ قَوْلُهُ :

فَلَا تَصِفَنَّ الْحَرْبَ عِنْدِي فَانْهَاجَ طَعَامِي مَذْبَعَتِ الصَّبَا وَشَرَابِي
وَقَدْ عَرَفْتُ وَقْعَ الْمَسَامِيرِ مَهْجَتِي وَشَقَّقَ عَنْ زُرْقِ النَّصُولِ أَهَابِي
وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ وبتيمة الدهر ٢٢ ج ١ (*)

(*) وراجع في أبي فراس مقدمة ابن خالويه لديوان الشاعر « نشر سلمي الدهان » وتقديم الدهان لديوان وتعليقاته عليه ونشوار المحاضرة ص ١١٠ وتاريخ الكامل لابن الأثير « انظر الفهرس » تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ وزبدة الحلب في تاريخ حلب لابن القيم ج ١ ص ١٥٦ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلين ٨٩ ج ١

٣ - كشاجم

توفي نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق ، هندی الاصل ويعرف بالسندی ، أقام في الرملة فلقب بالرملی . وله ديوان رتب على حروف المعجم وطبع في بيروت سنة ١٣١٣ ، ومن مؤلفاته « كتاب أدب النديم » وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله وأخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسمع والمحادثة ، ويتخلل ذلك أخبار وأشعار ، طبع في مصر سنة ١٢٩٨ ، وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . وأخباره في الفهرست ١٣٩ (*)

٤ - السرى الرفاء

توفي سنة ٣٦٢ هـ

هو أبو الحسن السرى بن احمد بن السرى السكندى الرفاء ، ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . . فقصده سيف الدولة ومدحه وأقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالدين الشاعرين الموصلين معاداة ، فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ، ويدخل فيه أحسن أبيات الخالدين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتى ذكرهما وكان السرى شاعرا مطبوعا يمتاز شعره بعذوبة ألفاظه وكثرة الافتنان في التشبيهات والوصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من أشعاره وما أدخله في شعره من معاني الشعراء كالمتنبى وابن أبى حفصة وأبى تمام وغيرهم ، وهو فصل طويل ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من° أناملته كالعارض السارى وفعله أبدا عارى من العار
أما ترى الثلج قد خاطت° أناملته ثوبا يزر° على الدنيا بأزرار
نار° ولكنها ليست ببسدية نورا وماء° ولكن ليس بالجارى
والراح قد أعوزت°نا في صيحتنا بي°عا ولو وز°ن° ديار° بديار
فامن بما شئت° من راح° يكون لنا نارا فانا بلا راح° ولا نار°

ومن قوله يذكر صناعته :

(*) وانظر في كشاجم اليتيمة للشعالبى ج ١ ص ١٥٦ وكذلك ج ١ ص ٤٥٠ ، ٢ ص ٢٤ والشذرات ج ٣ ص ٣٧ وزهر الآداب للجصرى ج ٢ ص ٢١٩ ونثر النظم للشعالبى « طبعة دمشق » ص ١٣٧ ، ١٤٥ والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى لميتز « ترجمة أبى ريدة » ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه ، من ثقبها ، جارى
ومن محاسن شعره فى المديح من جملة قصيدة :

يَلْقَى التَّدَى بِرقيق وجهٍ مُسْفِرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صَفِيحاً ،
رَحِبُ المنازل ما أقام فإن سرى فى جَحْفَلٍ ترك الفضاء مضيقاً ،
ومن عذوبة لفظه قوله :

ويا ديرها الشرقى لا زال رائحٌ يحل عقود المزن فيك ومغتدى
عليه أنفاس الرياح كأنما يعل بماء الورد نرجسها الندى
يشق جيوب الورد فى شجراتها نسيمٌ متى ينظر الى الماء يبرد
وللسرى الرفاء ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى نحو ٤٠٠
صفحة نقلت من المدينة المنورة ، وأكثرها فى مدح سيف الدولة والوزير
المهلبى وبعض بنى حمدان . وفيه أهاج فى الخالدين وغيرهما وقصائد وصفية
يصف بها صيد السمك وشبكته والنار وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها .
وفى وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ أيضا فى مكاتب باريس وبرلين (*)
وله كتاب المحب والمحبوب والمشوم والمشروب ، وهو أربعة أقسام فى
المحبين وأشعارهم والاطياب والازهار وأسماء الخمر ، منه نسخة خطية
فى فينا وأخرى فى لندن

وترجمته فى يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ ، وابن خلكان ٢٠١ ج ١ ،
والفهرست ١٦٩ (***)

ه - ابن هانىء الاندلسى

توفى سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأزدي الاندلسى ، ويرجعون بنسبه الى
آل المهلب بن أبى صفرة . كان أبوه هانىء شاعرا فى بعض قرى المهديّة بأفريقيا
فانتقل الى الاندلس ، فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ فى اشبيلية ونشأ بها وكان
شاعرا مطبوعا . تقرب من صاحب اشبيلية وحظى عنده ، وكان معاصرا
لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ، والاندلس فى ابان زهوها وحضارتها .
لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر ، وكان ابن هانىء من
طلابها فلما اشتهر أمره فيها نقم عليه الناس وساءت المقالة فى صاحب
اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه ، فأشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى .

(*) نشرت مكتبة القدسي فى القاهرة هذا الديوان

(**) وانظر فى السرى الرفاء شذرات الذهب ج ٣ ص ٧٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦٧

أمره . . فخرج منها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب ، والدولة الفاطمية في اثناء رغبتها في فتح مصر ، فلقى القائد جوهرًا ومدحه . وانتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فأخذ ابن هانيء يستعد للحاق به ، فتجهز ولحق به فوصل برقة فأضافه شخص من أهلها أقام عنده أياما في مجلس أنس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران ، فنام في الطريق فوجد ميتا وهو في السادسة والثلاثين من عمره ، فأسف المعز لوفاة وقال : « هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق »

ويمتاز شعر ابن هانيء بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي ألفاظه قعقة ورنين . ونظرا لما تقدم من اشتهاؤه بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان أبو العلاء المعري اذا سمع شعره قال : « لا أشبهه الا برحى تطحن قرونا » لاجل القعقة التي في ألفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ ، وانما فعل المعري ذلك تعصبا للمتنبي

وعلى كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الإطلاق . وهو عندهم كالمتنبي في المشرق ، وكان معاصرا له . وأكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهلٍ لا الهُضْبُ يوم مغارها هُضْبٌ ولا البيدُ الحزُونُ حزونٌ
عَرِفْتُ بِسَاعَةِ سَبْقِهَا لَا أَنْهَا عَكِثْتُ بِهَا يَوْمَ الرَّهَّانِ عِيسُونَ
وَأَجَلٌ عِلْمُ الْبَرْقِ فِيهَا أَنْهَا مَرَّتْ بِجَانِحِيهِ وَهِيَ ظُنُونٌ
فِي الْغَيْثِ شِبْهُهُ مِنْ نَدَاكَ كَأَنَّمَا مَسَحَتْ عَلَى الْأَنْوَاءِ مِنْكَ يَمِينُ
ولابن هانيء ديوان مرتب على الابجدية ، منه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ ، وترجمته في ابن خلكان ٤ ج ٢ (*)

٦ - الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء . كان في بدء أمره مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه ، وما زال يشعر حتى أجاد واشتهر . وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الإشارة ، ولذلك شاع كثير من اشعاره على ألسنة الناس ، من ذلك قوله :

(*) وراجع في ابن هانيء بغية المتمس للضيبي ص ١٣٠ والتكملة لابن البار رقم ٣٥٠ والاحاطة « الطبعة الاولى » ج ٢ ص ٢١٢ ومطبخ الانفس لابن خاقان ص ٧٤ ورايات المبرزين لابن سعيد « طبعة جومس » ص ٥٥ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٤٣ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥٦ والمغرب ج ٢ ص ٩٧ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٩٢ والمطرب لابن دحية ص ١٩٢ ونفع الطيب « أنظر الفهرس » ودائرة المعارف الاسلامية

بالله ربكما عوجا على سَكَنِي وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرّضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا عن ملاطفة ما ضرة لو بوصول منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيّدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه
وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره
ومطلعها :

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
وله من التشبيهات الابيات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها ليم ذاك؟ أما لقتيل الحب من قود
وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ورّداً وعضت على العنّاب بالبرد
إنسانة لو بدت للشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد
وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة
نقل من المدينة المنورة ، أكثره مقاطيع في الخمر والفزل

وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ، ویتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ - السلامي

توفي سنة ٣٩٣ هـ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة
المخزومي أخى خالد بن الوليد ، وسمى السلامي نسبة الى دار السلام .
ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ ، ورحل منها الى الموصل وهو صبي
ينظم الشعر . . فلقى جماعة من مشايخ الشعراء ، منهم أبو عثمان
الخالدي أحد الخالدين وأبو الفرج البغفاء وغيرهما ، فأعجبوا ببراعته مع
حدائته فاتهموه بأن الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة . . وذلك ان
الخالدي كان في يده نارنجة ألقاها على برد تساقط في تلك الساعة ،
وطلبوا اليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلا :

لله درّ الخسالي الأوحى التدب الخطير
أهدى لماء المزّن عن د جموده نار السعير
حتى إذا صدر العتّا ب اليه عن حنق الصدور

(*) حقق ديوانه ونشره في دمشق سامي الدهان ، وانظر في حياته مقدمة هذا الديوان
والمراجع المذكورة هناك

بعثت إليه بعذره عن خاطري أيدي السرور
لا تعذلوه فإنسه أهدي الخدود الي الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من أشعر أهل العراق ومدح آل حمدان .
ونزل على صاحب بن عباد بأصفهان ردحا من الزمن ، ثم قصد عضد
الدولة في شيراز . . فحملة صاحب معززا مكرما ، فأكرمه عضد الدولة
وكان يقول : « اذا رأيت السلامي في مجلس ظننت ان عطارد قد نزل
من الفلك الى ، ووقف بين يدي »
ومن جملة مدحه اياه قوله :

إليك طوى عرّض البسيطة جاعلا قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمت في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملكك هو الوري ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
ومن بديع شعره في مدح صاحب :

تبسطننا على الآثام لمسا رأينا العفو من ثمر الذنوب
وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من أحسن أشعاره . وتجد
أخباره أيضا في ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ - البغاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي أصله من نصيبين بالعراق .
وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ، ولكن الشعر غلب عليه . وقد
ذكر الثعالبي رسائل دارت بينه وبين أبي اسحق الصابي وأشياء يطول
شرحها . ولقب بالبغاء للثغة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه
بسيف الدولة في حلب ، ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن
شعره ما يتغنى به ، أكثره في الفزل والخمر وفي الزهر فضلا عن قصائد
المدح . وفي اليتيمة أمثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ، ومن تشبيهه
قوله :

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهلة في الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل العبار له مكان الإثمد
وأكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة . وأخباره في ابن خلكان
٢٩٨ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١٧٣ ج ١ (*)

(*) وانظر في البغاء تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٦١٨ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٩ ودائرة
المعارف الإسلامية وما بها من مراجع

٩ - النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي في الرتبة عنده بعد المتنبي

وكان أديبا عارفا باللفة وقد اشتغل فيها بحلب ، وله وقائع مع المتنبي ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهرا حتى أربى على التسعين سنة من العمر ، ومن لطيف شعره قوله :

أتانى في قميص اللاذِ يسعى عدو لى يلقَّب بالحبيبِ
وقد عبث الشراب بمقلتيه فصيَّر خدَّه كَسَنَا اللهبِ
فقلت له بما استحسنت هذا لقد أقبلت في زىٍّ عجيبِ
أحمره وجنتيك كستك هذا أم أنت صبَّغتَه بدم القلوبِ
فقال الراح أهدت لى قميصا كلون الشمس في شفق المغيبِ
فثوبى والمثدِّم ولو خدَّي قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١ (*)

١٠ - ابن نباتة السعدي

توفي سنة ٤٠٥ هـ

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء ، من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتى ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبى وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ، ومن قوله في سيف الدولة وقد أعطاه فرسا أحمر محجلا قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في أحشائه
متمهِّلا والبرق من أسمائه متبرقا والحسن من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرَّهما لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الألحاظ في أعطائه إلا إذا كففت من غلوائه
لا يكمل الطِّرف المحاسن كلها حتى يكون الطِّرف من أسرائه

(*) وانظر في النامى شذرات الذهب ج ٣ ص ١٥٢

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور ، وسيأتى ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ صاحب ديوان الخطب ، وقد طبعت خطبه بمصر مرارا وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عدة منها نسخ خطية في مكاتب أوروبا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٢ ج ١ (*)

وأما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١٤٣ ج ١ (**)

١١ - الشريف الرضى

توفى سنة ٤٠٦ هـ

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر وينتهى نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن على ، ولذلك لقب بالشريف الرضى الموسوى . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ ، وبدأ يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة . وكان أبوه تقيب الاشراف الطالبين ، فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وأبوه حى . وكان عالما بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة ، وكان يقيم في سر من رأى (سامرا) . وقد أجمع الاكثرون على ان الشريف الرضى أشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فأما مجيد أكثر فليس الا الشريف الرضى . وتوفى في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ، ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب . ومن أجمل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسى سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهن الأثيق والركب يطفو في السراب ويغرق (١)
وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزت في برد النبى وللهدى نور على أسرار وجهك مشرق
وكأن دارك جنة حصباؤها الج ادى أو أنماطها الإستبرق
في موقف تغضى العيون جلالة فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس إما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر متشوّق
مالوا إليك مَحَبَّة فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
عظما أمير المؤمنين فأنبا في دوحة العلياء لا تتفرق

(*) وأنظر في ابن نباتة الفارقي شذرات الذهب ج ٣ ص ٨٣ وابن خلكان ج ١ ص ٢٥٦ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٦

(**) وأنظر في ابن نباتة السعدي تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦٦ والشذرات ج ٣ ص ١٧٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣٨

(١) الحدوج : هودج النساء ، الأثيق : جمع ناقة

ما بيننا يوم الفَخار تفاوتْ أبدا ، كَلانا في المعالي مُعرق
إلا الخِلافة مَيَّزَتْكَ فَإِنِّى أنا عاطِل منها وأنت مطوَّق
ويمتاز الشريف الرضى ببراعته في الرثاء ، وله عدة مرات أشهرها رثاؤه
لابى اسحق الصابى بقصيدة مطلعها :
أرأيتَ من حملوا على الأعْواد أرأيتَ كيف خَبَا ضياءُ النّادى
وقد أكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرنى كان صابئيا
ومن قوله فى الحكم :

كن فى الأنام بلا عينٍ ولا أذنٍ أو لا فعشْ أبدا الأيام مصدورا
والناس أسدٌ تُحامى عن فرائسها إما عقرتْ وإما كنتَ معقورا

وللشريف المذكور ديوان كبير رواية أبى حكيم الخيرى ، مرتب على
أبواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثى (٤) النسب
والمشيب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على
الابجدية ويليه زيادات . منه نسخ خطية فى دار الكتب المصرية ومكاتب
برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع فى الهند فى مجلد واحد كبير مرتب
على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ ، وطبع فى بيروت أيضا . وله مؤلفات فى معانى
القرآن لم تصلنا (*) . وله كتاب أنشراح الصدر فى مختارات من الشعر ،
منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . وفى مكتبة الاسكوريال مما ينسب
الى الشريف الرضى مجموعة أشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته فى ابن خلكان ج ٢ ، وبيتمة الدهر ٨١ ، و٢٩٨ ج ٢ (***)

١٢ - صريع الدلاء

توفى سنة ٤١٢ هـ

هو أبو الحسن على بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الفوانى ،
اشتهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :
من لم يرد أن تنتقبْ نعاله يحملها فى كفه إذا مشى

(*) نشر محمد عبد الغنى حسن فى مكتبة الحلبي للشريف الرضى كتاب « تلخيص البيان
فى مجازات القرآن »

(**) راجع فى الشريف الرضى تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ودعوة القصر ص ٧٣ وروضات
الجنات ص ٥٧٢ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١
ص ١٠ ونسب الميزان ج ٥ ص ١٤١ ومروءة الجنان ج ٣ ص ١٨ والمنتظم « وفيات سنة ٤٠٦ »
والوافى « الوفيات » طبع استانبول » ج ٢ ص ٣٧٤ وفى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » ترجمة
منقولة عن كتاب تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام ، وانظر انباء الرواة ج ٣ ص ١١٤
ومقدمة محمد عبد الغنى حسن لكتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » ، وكتب التاريخ
المختلفة فى سنة وفاته

ومن أراد أن يصون رجله فلبسه خير" له من الحفّا
من دخلت في عينه مسئلة" فاسأله من ساعته عن العمى
من أكل الفحم يسود فمّه وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش تفجر رأسه وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢ (*)

١٣ - مهيار الديلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي ، كان مجوسيا وأسلم على يد الشريف الرضى . وتخرج في الشعر على يده ، وقد عارض كثيرا من قصائده . ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس ، وقد طرق أكثر أبواب الشعر فمن قوله في القناعة :

يُلحَى على البخل الشحيحُ بماله أفلا تكون بماء وجهك أبخلا
أكرمُ يدك عن السؤال فإنما قدّرُ الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضُم إليّ فضلُ قناعتي وأبيت مشتملا بها متزمتلا
وأرى العدو على الخصاصة شارةً تصف الغنى فيخالني متمولا
وإذا امرؤ أفنى الليالى حسرة وأمانيا أفنيتهن توكللا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

وإذا رأوك تفرقت أرواحهم فكأنما عرفتكَ قبل الأعين
وإذا أردت بأن تقلّ كتيبة لاقيتها فتسم فيها واكتنر

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهى :

إذا صوّر الإشفاق لى كيف أتمم وكيف إذا ما عن ذكرى صبرهم
تنفست عن عتبٍ فؤادى مفصح به ولسانى للحفاظ مجمجم
وفى فى ماء من بقايا ودادكم كثيرا به من ماء وجهى أرقتم
أضُم فما صمتا عليه وبينه وبين انسكاب ريشا أتكلم

وقد جمع شعره في ديوان يدخل في أربعة مجلدات كان مشهورا في أيام ابن خلكان وذكر أمثلة منه ولم تقف عليه (*) . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ - أبو العلاء المعري

توفي سنة ٤٤٩ هـ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث ، كما كان شبيهه أبو الطيب المتنبي فاتحته . . ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ هـ ، وكان أبوه من أهل الأدب وتولى جده القضاء فيها . وكانت أمه أيضا من أسرة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والأدب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب ، وأميرها يومئذ سعد الدولة أبو المعالي

ولم يتم أبو العلاء الثالثة من عمره حتى أصابه الجدري ، فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما بياض . فكف بصره وهو طفل ، وكان يقول : « لا أعرف من الألوان الا الاحمر لانى البست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر » . لقنه أبوه النحو واللغة في حديثه ، ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها ، فاكسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم اناسا يقرأون له كتبها وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوى الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعا على الشعر ، نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة أرباب القرائح فيما اشتغلوا به حتى في العاهم ، فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصا . . بل كان يقول : « أحمد الله على العمى كما يحمد غيرة على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون دينارا في العام ، ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عاداتهم في ذلك العهد ، فأتى طرابلس واللاذقية وسواهما من بلاد الشام وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته قد سبقته اليها ، فاستقبله علماؤها بالحفاوة . واطلع في أثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلا عن سائر العلوم . . حتى اذا نضج عقله وأمعن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي ، فزهد فيها وعزم على الاعتزال ، ليتسنى له التأمل والتفكير . فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ ، وأتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين الحبسين » . وأخذ في التأليف والنظم وتدوين أفكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب . وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النباتات كما يفعل النباتيون اليوم . . اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود ، فذهب مذهبهم

(*) نشرت دار الكتب المصرية هذا الديوان ، وانظر ترجمة مهيار في مقدمته وبحوثا في شعره بكتابنا « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »

فيه ، رفقا بالحيوان وتجاфия عن ايلامه ، ولزم الصوم الدائم
قضى أبو العلاء في هذه العزلة بضعا وأربعين سنة ، وأكله العبدس
وحلاوته التين . وهو يؤلف وينظم ، والناس يتوافدون اليه ليسمعوا
أقواله وأخباره ، أو يكاتبوه في استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجانا
حتى توفاه الله سنة ٤٤٩
وكان معدودا من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب
بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب . أما أشعاره فأشهرها :

- ١ - اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ هـ ، ثم
في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة . في صدرها مقدمة في الشعر
وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة
والشعر . وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط ، أهمها التزام
حرفين في القافية وقد نظم في أثناء عزلته ، وضمنه كثيرا من آرائه في
الوجود والخلقة والنفس والدين . . فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة ،
فقالوا : « ان ابا العلاء أتى قبل عصره بأجيال » وتمتاز أشعاره في عزلته
بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة .
لعل سببها اختلال الهضم عنده بتوالي الصوم والاقتصار على نوع أو نوعين
من الاطعمة . على ان أكثر أشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ،
ويندر فيها المدح أو التشبيب . وقد نقل أمين الريحاني بعض رباعياته الى
الانجليزية ، وقد نشرت في أميركا منذ بضع سنين . وترجم بعض شعره
أيضا جورج سلمون الى اللغة الفرنسية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤
- ٢ - سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمته قبل العزلة ، طبع مرارا
- ٣ - ضوء السقط : وهو شرح على سقط الزند وملحق به ما نظمته
في الدروع ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ . أما الادب فله فيه مؤلفات
عدة ربما زادت على خمسين كتابا ، أكثرها في اللغة والقوافي والنقد
والفلسفة والمراسلات ، ضاع معظمها ، واليك ما بلغ الينا خبره منها :
- ٤ - رسائل أبي العلاء : هي كثيرة ، لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة
كراس . . وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب على
نحو ما يفعلون في انشاء المقامات ، فلا تفهم بلا تفسير . وهي من قبيل
الشعر المنثور في وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل
والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات ، غير وصف
الاماكن والمواقف والثياب والماكل وغيرها مما يحسن تقليده لولا ما فيه من
اللفظ الغريب . ولكن معظمها ضاع ، وقد جمع أكثر ما بقي منها في كتاب
طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطا بالحركات . وطبع أيضا في اكسفورد
سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجيلوث المستشرق الانجليزى مع ترجمة

انجليزية وتعاليق وشروح تاريخية وأدبية مفيدة . وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانجليزية ، وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ - رسالة الغفران : هي من جملة رسائله ، ولكننا أفردناها بالكلام لأنها طبعت على حدة ولها شان خاص من حيث موضوعها . وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلة ، وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وأدبائهم والرواة والنحاة على أسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه أحد . فتخيل رجلا صعد السماء ووصف ما شاهده هناك ، كما فعل دانتي شاعر ايطاليا في « الكوميديا الالهية » وما فعل ملتن الانجليزى في « الفردوس المفقود » لكن أبا العلاء سبقهما ببضعة قرون ، لان دانتي توفى نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفى أبو العلاء سنة ٤٤٩ هـ ، فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . واقدمهما « دانتي » لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين . والايطاليون أسبق الافرنج الى ذلك . وتقسم موضوعات رسالة الغفران الى قسمين : أدبي لغوى ، ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقل الأفكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم فى أثناء التمدن الاسلامى . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعرا قاله أو عملا عمله فغفر له به . ومنها تسميه هذه الرسالة برسالة الغفران . . كأنه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحيانا من الأبيات التى يعدها الناس الحادا . وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ، ولخصناها فى السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ - ملقى السبيل : هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ ، عن أصل خطى قديم وجد فى الاسكوريال بعناية ح. ح. عبد الوهاب التونسى . وهي على نسق رسائله الأخرى ، لكن أكثرها منظوم . وقد قابل الناشر بين آراء المعرى فيها وآراء شوبنهاور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها ، وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ - كتاب الايك والفصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث فى الادب وأخبار العرب ، يقارب مائة جزء ضاع منذ بضعة قرون . وانما ذكرناه لعل أحدا يعثر على شيء منه ، اذ يظهر انه عظيم الأهمية . . فقد قال فيه الذهبي : « حكى من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف ، فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد »

وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها . . منها شرح الحماسة ، منه نسخة خطية فى مكتبة دار الكتب المصرية فى ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوى

وكان مشاركا فى كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ، ويظهر اثر ذلك فى أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بأمثلة منها لضاق بنا المقام ، ودواوينه شائعة فميزناه بخلو ترجمته من الأمثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد تقدم ذكر شيء من شعره فى كلامنا عن مزايا الشعر فى هذا العصر وغيره . وسنأتى بأمثلة أخرى فى أمكنة أخرى

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعرى في طور جديد من حيث النظر في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية ، فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب أبي العلاء وأخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة في الدين والطبيعة والخلقة . وهو أقرب في هذا الاتجاه الى مذهب اللادريين ، فهو يؤمن بالتقمص وخلود المادة ويعتقد أن الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعد النسل جناية . وكان يرى ان المرأة لاينبغي لها أن تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان ، فقضى النصف الاخير من عمره لا يذوق لحما . وله أقوال في هذا الموضوع سبق بها الداعين الى الرفق بالحيوان اليوم بعدة قرون . وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها في المجلة الاسيوية الانجليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر ، وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في تلك الايام . . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهر في كثير من أشعاره ، لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل بالتفكير . وكانت حقيقة الدين عنده ان يعمل الانسان خيرا لا أن يكثّر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وأيدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال ، وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٢٥ ، ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ ، وفي ذيل رسائله المطبوعة بأكسفورد (*)

سائر الشعراء في العصر العباسي الثاني

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم ، فمن أحب الاطلاع على تراجمهم وأخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، ودمية القصر للباخرزي ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي ، وتاريخ ابن خلكان ، وسائر كتب التراجم ، ونشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر :

(*) كلفت وزارة التربية والتعليم لجنة بجمع كل ما كتبه عن أبي العلاء في المصادر القديمة ، وجمع للجنة من ذلك مجلد ضخّم نشرته باسم « تعريف القدماء بأبي العلاء » وراجع فيه وفي شعره ونثره « تجديد ذكرى أبي العلاء » و « مع أبي العلاء في سجنه » و « صوت أبي العلاء » لطلح حسين (طبع دار المعارف) والفن ومذاهبه في الشعر العربي والفن ومذاهبه في النثر العربي ومقدمة مرجليوث للرسائل التي نشرها له وفون كريم في كتابه تاريخ الحضارة في الشرق Culturgeschichte des Orients الجزء الثاني ٣٨٦ وكتاب جولدزيهر المسمى دراسات اسلامية مجلد ٢ ص ٤٠٣ ونيكلسون ص ٣١٣ ومقالات مختلفة في مجلة المستشرقين الالمان في السنوات ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ٨٤ ، وتاريخ الادب في ايران من الفردوس الى السعدى لبراون ترجمة ابراهيم أمين الشواربي ٣٦٤ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٥٥ ج ١

١٥ - أبو الرقعمق كان مداحا : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ ، وابن خلكان ٤٠ ج ١

١٦ الواساني : كان هجاء ، ترجمته في يتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ - أبو عبد الله الحسين بن الحجاج : كان ماجنا ، ترجمته في يتيمة ٢١١ ج ٢ (*)

١٨ - ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي : جال في ميدان المجون والسخف ما أراد ، وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق . ويربو ديوان ابن سكرة على ر.ه. بيت منها ١٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ، ولم تقف على ديوانه . ترجمته في يتيمة ١٨٨ ج ٢ ، وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

ولا يصح الاغضاء عن أبي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي صاحب القصيدة التي قالها في حال غمه ويأسه بعد أن قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلا فاعتل غما ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما أراد أن يختبره ، فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتا ، وعند رأسه رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس وقد تقدم ان الثعالبي ذكر بعضها للواواء الدمشقي . وقد شرحها علي بن عبد الله العلوي وخمسها علي بن ناصر الباعوني ، ومن الشرح والتخاميس نسخة ببرلين

(*) انظر في ابن الحجاج وفيات الاعيان لابن خلكان والشذرات ج ٣ من ١٣٦ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٤ والحضارة الاسلامية لبيتزج ١ ص ٣٧٦ وما بعدها والعربية ليوهان فك ترجمة عبد الحليم النجار ص ١٨٢ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

الإنشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من أسلوب الترسل في هذا العصر ، ونعنى بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص . « ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الأدب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة » وهو الذي يتغير مع العصور كما بينا ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي . ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة . أما انشاء الكتب أى عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التى يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض ، فهذه قلما يغيرها تغير لان تقرير الحقائق العلمية أو التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو أقل مجازاة للأحوال الاجتماعية . ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها ، الا فيما يختص بنفس الكاتب وأسلوب تفكيره وموضوع كتابه . . اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالدوق ، ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصا ، فعبرة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ ، وهذه تختلف عن عبارة الحكيم أو الرياضي . وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذى يكتب فيه . ولكنها ترجع كلها الى أسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب في الموضوعات العلمية لايزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضى الموضوع مخاطبة القارئ ، فينتقل الى أسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور . فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط ، الا طائفة من المؤلفين أرادوا زيادة التألق في مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة . وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

أسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والميول وسائر الاحوال ، وهذه تختلف فى الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية وأحوالهم الادبية ، وهى تتغير بتغير الاحوال . . كان الترسل أكثر تعرضا للتغيير فى أسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا

يقلب أن يكون لكل عصر امام فى انشاء المراسلات يقلده معاصروه . . كذلك كان عبد الحميد وابن المقفع فى العصر العباسي الاول والجاحظ فى

العصر الثانى . وأما امام الانشاء فى هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنبينها فى ترجمته . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء فى العصر الماضى على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع بأسباب الحضارة والترف ، نعى ماصار اليه الادباء والمنشئون من التبسط فى العيش عن سعة ورخاء . . لا يخافون مزاحمة أو فقرا لتعدد مصادر الارتزاق فى دور الامراء والوزراء والخلفاء . فاذا خافوا سبقا فى بلاط نرحوا الى سواه ، والرخاء يدعو الى التألق . . فتطرق ذلك الى انشائهم فصاروا يتألقون فيه كما يتألقون فى لباسهم وطعامهم وأثاثهم ، فأطالوا العبارة وتوسعوا فى التنيق . ونبع جماعة من أصحاب القرائع تعاونوا على ذلك حتى صار للانشاء فى هذا العصر طريقة اتخذها أهل العصور التالية نموذجا نسجوا على منواله . وهى الطريقة المدرسية فى اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وبعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربى نضجت فى هذا العصر كما نضج الانشاء الرومانى فى عصر شيشيرون ثم أخذ فى التفهقر . وللطريقة المدرسية فى الانشاء العربى شروط هالك أهمها :

شروط الطريقة المدرسية فى الانشاء العربى

١ - السجع : أصبح التسجيع شرطا من شروط الترسيل ، وهو من ثمار التألق لما يقتضيه من العناية فى اتقانه . . فالرسالة المسجعة يظهر التألق فيها أكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتنيق ، ولا يكون ذلك الا فى الرخاء . والسجع اذا اتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلفاء العصر الثالث ، فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . . لكن بعض معاصريهم من أدعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء باردا . ومما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهاة ، ان الخاقانى الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه فى التوقيع على كتب العمال ، فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج ، واحذر عواقب الاعوجاج ، واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله » فحمل العامل دجاجا كثيرا على سبيل الهدية . فقال : « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وأمر أن يباع ويورد ثمنه فى الحساب ، فأورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ - الجناس والبديع : واكثروا من الجناس ، وهو من قبيل الترصيع للآنية أو الوشى للثوب . لايزيد الوشى الثوب نفعا للابس من حيث الفرض المراد منه كالدفع والستر ، ولكنه يزيده جمالا . والجناس أو البديع لايزيد العبارة معنى ، لكنه يكسبها رونقا ، ولاسيما مع السجع . . فقول أبى بكر الخوارزمى فى كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : « كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ، ومستعتبا كرة ، فما وجدت للعتاب اعتابا . ولا قرأت من الكتاب جوابا ، وليت شعرى ما الذى منعه عن صلة لاتضره وتنفعنى ، وعن تواضع لايضعه ويرفعنى » لو جعله مرسلا بسيطا لم يكن له ذلك الوقع فى النفس

٣ - كثر فيه الخيال الشعري حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور..
لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعرا

٤ - كثر تضمين مراسلاتهم الامثال او النكت الادبية او العبارات التاريخية او العلمية التي تحتاج الى شرح ، كقول ابن العميد في رسالة الى ابي العلاء السروى :

« وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير في باقى أيامه وخاتمته ، وأرغب اليه في أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرتة ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد على غرة شوال فهي أسر الفرر عندي وأقرها لعيني ، ويسمعنى النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السر وأظلم من الكفر وانحف من مجنون بنى عامر وأضنى من قيس بن ذريح وأبلى من أسيز الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور (*) ويرسل على رقاقته التى يغشى العيون ضوءها. ويحظ من الاجسام نوعها كلفا يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ - اكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار فى أثناء مراسلاتهم ، وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحا ويكسبه قوة على ابداء ما فى خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم فى ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر ، كقول صاحب بن عباد يصف فصلا من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيتة فصيح الاشارة لطيف العبارة

إذا اختصر المعنى فـشربة حائم وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمدد
فصل قد نظرته فرأيتة جسما معتدلا وفهما مشتعلا

ونفساً تفيض كـفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام
فصل قد عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله . الخ
وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطرا شطرا ، كقول الهمداني من رسالة الى الخوارزمي :

أنا لقرب دار الأستاذ (كما طرب التشنوان مالت به الخمر)
ومن الارتياح للقاءه (كما انتفض العصفور بكه القطر)
ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب)
ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب)

٦ - صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلاً في رسائل أبي بكر الخوارزمي وأبي منصور الثعالبي وأمثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل إليه بلقبه أو نعتة بعد الإشارة إلى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم : « ورد كتاب الأمير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم : « قد حملت إلى حضرة الشيخ أبياتا عاثبتة بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب أيضاً كقول أبي بكر الخوارزمي في كتاب إلى محمد بن إبراهيم صاحب الجيش ، وكان محبوساً وخرج من الحبس « كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الأهوال ، خروج المشرق من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الأحوال .

٧ - تفرع الترسل إلى أبواب عملاً بسنة النشوء كما تفرع الشعر . فصارت الرسائل تقسم إلى رسائل التهئة والتعزية والمديح والثناء وإلى الإخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك .

٨ - تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي ، وتختتم بآية يحسن الختام بها كقولهم : « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت » أو بالحسيلة ونحوها .

٩ - اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها ، فإن تفاوت رجال الدولة في المنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطبتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث ، فأصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتح بها مخاطبتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وأدعية يدعون بها لهم ، كقولهم في مخاطبة أولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله « أطال الله بقاء الأمير » ولؤنس المظفر « أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمته واحسانه إليك » والعنوان « لأبي الحسن أطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « أكرمك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وأدامها لك » وقس عليه .

١٠ - صار الانشاء فناً له ألفاظ خاصة سموها الألفاظ الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لأساليبه وعباراته ، كالتسجيع والترصيع والتبديل والمكافأة والاستعارة والتتميم والتقسيم والارداف والتمثيل والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء هذه أهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث ، وقد سميها الطريقة المدرسية لأنها صارت مثلاً توخاه الكتاب في سائر العصور الإسلامية . وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سذكركه في مكانه ومما لا بد من التنبيه إليه أن ما يجري عليه الكتاب من تقليد القدماء في مذاهبهم وتقليد أساليبهم ، لاعتقادهم أن ملكة الانشاء إنما ترسخ بمطالعة كتب القدماء وأشعارهم ، بعث على تعدد الأساليب في العصر الواحد . . فينبغ في العصر الثالث مثلاً كتاب يقلدون أسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون أسلوب ابن المقفع أو عبد الحميد أو أسلوب صدر الإسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في أهل العصر الواحد أن يخضعوا لما تقتضيه الأحوال الاجتماعية فيكون لانشائهم صيغة خاصة به

المنشئون أو المترسلون

فى العصر العباسى الثالث

تكاثر المنشئون فى هذا العصر مثل تكاثر الشعراء ، واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعا حتى لقد تتولاك الحيرة فى جعل أحدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من المترسلين فى العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة ، شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها بل هم أقوى أركان تلك النهضة فى النظم والنثر وسائر أسباب العلم والادب . واليك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ - ابن العميد

توفى سنة ٣٦٠ هـ

هو أبو الفضل محمد بن العميد ، والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان فى اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة. تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ ، وكان متوسعا فى الفلسفة والنجوم فضلا عن الادب والترسل حتى سموه «الاستاذ» وكان يلقب لبراعته فى الترسل بالجاحظ الثانى. وقيل بدئت الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد. وكان صاحب بن عباد من بعض أتباعه كما سيجىء . وعاد صاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها ، فقال : «بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد» يشير الى تفردده فى العلم . وهو أسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر، وقد أجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله. وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه فى العلم . وكثيرا ما رأينا الوجاهة من جلة أسباب الشهرة العلمية ، فهى لاتجعل الجاهل مشهورا بالعلم لكنها تجعل قليل العلم يشتهر بكثرة - وأخذ صاحب بن عباد عن ابن العميد ، وكان صاحب مركزا يدور حوله أدباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء فى ذلك العصر خاتمة جرت له مع ابن نباتة السعدى ، وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها بأخرى وأتبعها برقعة ، فلم يزد ابن العميد الا اهمالا مع رقة حاله التى ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوما - وهو فى مجلس حفل بأعيان الدولة ومقدمى أرباب الديوان - فوقف بين يديه وأشار اليه بيده ، وقال : « أيتها الرئيس انى لزمك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك . والله ما بى من الحرمان ، ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحونى فأغششتهم وصدقونى فاتهمتهم فبأى وجه ألقاهم وبأى حجة أقاومهم . ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم ويأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فأين هى ؟ وما هى الا ان الذين نحسدكم على مامدحوا به كانوا من طينتكم وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك أعظمهم شأنا وأنورهم شعاعا وأمدهم باعا وأشر فهم بقاعا »

فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعلقة . واذا تواهبتنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه » فقال ابن نباتة : « أيها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر .. والفنى اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضبا وقال : « والله ما استوجب هذا العتب مني أحد من خلق الله تعالى ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ولا صنيعتي فأغضى عليك ، وان بعض ماقررت في مسامعي ينقص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحى ولا كلفتك تقرظي » فقال ابن نباتة : « صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفتني قرضك ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة ، فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة .. فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال »

فثار ابن العميد مفضبا وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول : « والله ان سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الادب اذا كان بئعه مهينا ومشتريه مماكسا فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمس منه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه ، فكأنما غاض في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر ، فحام حوله طائفة منهم امتدحوه .. كالمتنبى ، وابن نباتة ، والصاحب بن عباد ، وغيرهم . يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة .. وهي أن يقول أحدهم شعرا أو بيتا في وصف شيء أو حادثة فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعرا رقيقا ، من أحسن شعره قصيدة منها :

قد ذبت غير حشاشةٍ وذماء ما بين حرٍّ هوى وحرٍّ هواءٍ
الى أن قال وفيه مبالغة :

لا تغتنم إغضائي فلعلها كالعين تغضيها على الأقداء
واستبقي بعض حشاشتي فلعلني يوما أقيك بها من الأسواء
فلو أن ما أبقيت من جسمي قدني في العين لم يمنع من الإغفاء
ومن قوله في الغزل :

ظَلَّلتُ تَظَلَّلْنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
فَأَقُولُ وَاعْجَبَا وَمَنْ عَجِبَ شَمْسٌ تَظَلَّلْنِي مِنَ الشَّمْسِ

وترى أمثلة من ترسله ونظمه في يتيمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه أبو الفتح ذو الكفایتين بعده بمثل شهرته

وتجد أخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ ، ويتيمة الدهر ٢ ج ٣ (*)

٢ - أبو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له أيضا الطبرخزي لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد ابن جرير الطبري صاحب التاريخ . وكان الخوارزمي اماما في اللغة والنسب ، أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصده صاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه الاشعار . ويحكى انه لما جاء الى صاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب وأعلمه ، فقال الحاجب : « قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل على من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر أرجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ « فدخل الحاجب فأعاد عليه . فقال : « هذا يكون أبا بكر الخوارزمي » فأذن له في الدخول

لم يصل إلينا من آثار أبي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه ، وهي مطبوعة في مصر ، وفي الآستانة سنة ١٢٩٧ ، وفي بومباي سنة ١٣٠١ ، وغيرها . ومنها نسخ خطية في برلين وفيينا وليدن وكوبلن . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر أمثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراثي والاهاجي وطرق مختلفة . وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن القفطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابن عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره اما أبو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١١٤ ج ٤ (***)

(*) راجع في ابن العميد تجارب الامم لمسكويه ج ٦ ص ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٣٥١ - ٣٥٨ وتاريخ ابن الاثير « الطبعة الاوربية » ج ٨ ص ١٩٩ وما بعدها وأمرأ البيان لمحمد كرد غني وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسي والفن ومناهجه في النثر العربي ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر في الخوارزمي رسائل بديع الزمان «طبع بيروت سنة ١٩٢١» ص ٢٨ وما بعدها والفن ومناهجه في النثر العربي

٣ - أبو اسحاق الصابى

توفى سنة ٣٨٤ هـ

هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حيون الحرانى الصابى ، جد أبى الحسن هلال الصابى صاحب التاريخ . كان أبو اسحق كاتب الانشاء فى بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه . وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ ، وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤله . . فحقد عليه ، فلما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت أيدي الفيلة ، فشفعوا فيه ثم أطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد أمره أن يصنف كتابا فى أخبار الدولة الديلمىة فعمل كتاب « التاجى » ، فقبل لعضد الدولة أن صديقا للصابى دخل عليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبويض ، فسأله عما يعمل فقال : « أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها » فهاج حقدده عليه ، ولم يزل الصابى مبعدا فى أيامه

وكان أبو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عز الدولة يخرضه على الاسلام فلا يفعل ، لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضى المتقدم ذكره . فلما توفى أبو اسحق رثاه بالقصيدة التى ذكرنا مطلعها وخبرها فى ترجمة الشريف . وكان الصابى عالما بالهندسة ، لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشاءه :

١ - منشآت الصابى : فى المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل فى ٥٤ صفحة ، تشتمل على مراسلات كتبها الصابى على لسان ولاية الامر فى عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهى كالمخابرات الرسمية فى وصف الوقائع الحربية أو غيرها ، منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاثراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل أخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود أو تقليدات رسمية للولاية أو العمال أو القضاة صادرة من الخليفة ، كالعهد الذى قلده الطائع لله العباسى أبا الحسن على ابن ركن الدولة على الصلاة وأعمال الحرب يدخل فى بضع عشرة صفحة . وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والادارة والاجتماع مما لا يتيسر الوقوف عليه فى كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضى القضاة . وغيرها الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهلين أو العمال أو القرامطة . فضلا عن رسائل خاصة كتبها الصابى الى أصدقائه . وبالجمله ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة ، بل هى من أبلغ ما كتب فى ذلك العصر

٢ - رسائل الصابي : تقسم الى أبواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما انفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهى غير منشأته المتقدم ذكرها (**) وان كانت تشبهها فى أكثر موادها ، فان فيها كثيرا من الرسائل الودية فضلا عن المخابرات السياسية والتقاليد الرسمية والمنشورات ونحوها ، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة ، منها نسخة خطية فى ليدن وفى المكتبة الخديوية وجزء فى باريس ، وطبع بعضها فى بيروت اما التاجى فلم يصلنا منه شيء وتجد ترجمته فى ابن خلكان ١٢ ج ١ ، وبيتمة الدهر ٢٣ ج ٢ ، ومعجم الادباء ٣٢٤ ج ١ ، والفهرست ١٣٤ (***)

٤ - صاحب بن عباد

توفى سنة ٣٨٥ هـ

هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الإشارة الى منزلته من الواجهة وتأثيره فى تلك الحركة الادبية ، وكان أدبيا منشئا وعالما فى اللغة وغيرها . أخذ عن أحمد بن فارس اللغوى الآتى ذكره وعن ابن العميد . وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد ف قيل له صاحب ابن العميد . ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علما عليه . وسمى به كل من ولى الوزارة بعده . وقد وزر أولا لمؤيد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفى مؤيد الدولة تولى مكانه أخوه فخر الدولة فأقر الصاحب على وزارته ، وكان مبجلا عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون أو يتعارضون بين يديه . وذاعت شهرته فى ذلك العصر حتى أصبح موضوع أعجاب القوم يتسابقون الى اطرائه ، ونظمت القصائد فى مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ من رفعة القدر انه لما توفى سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الرى أبوابها واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدمه فخر الدولة المذكور أولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشى فخر الدولة امام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما . ورثاه الرستمى بقوله :

ابعد ابن عباد يَهْشِشْ إِلَى الشَّرَى أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَمَاحْ جَوَادُ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمُوتِهِ فَمَا لَهُمَا حَتَّى الْمَعَادُ مَعَادُ

وكان شاعرا مترسلا مع ولع شديد بالسجع حتى فى الكلام فضلا عن

(*) فصل المؤلف بين رسائل الصابي ومنشأته ، وهى جميعها من نمط واحد هو الرسائل وكل ما فى الامر انهما نسختان مختلفتان . وفى دار الكتب المصرية الان نسخ مختلفة من رسائل الصابي

(**) وراجع فى الصابي تاريخ ابن الاثير « أنظر الفهرس » والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٧ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سبعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه التخلي عنها » وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلا عن معرفته اللغة ، فانه ألف معجما سماه المحيط سيأتى ذكره مع المعاجم . وألف له ابن فارس كتاب الصحبى الآتى ذكره . وساعده منصبه السياسى على الشهرة العلمية . وله فى الرسائل كتاب الكافى ، منه منتخبات خطية فى مكتبة باريس (*) . وقصيدتان من شعره فى برلين . وله ديوان فى مكتبة صوفيا بالآستانة وترجمته فى ابن خلكان ٧٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٩٧ ، ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ و ١٥٧ ج ٤ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ ، والفهرست ١٣٥

٥ - بديع الزمان الهمذانى

توفى سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الحافظ المعروف ببديع الزمان، كان يقيم فى هراة بأفغانستان . وكان شاعرا ولفويا ، واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة . كان يسمع القصيدة التى لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يغير حرفا ولا يخل بمعنى وينظر فى الاربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ، ثم يتلوها عن ظهر قلب

وكان سريع الخاطر قوى البديهة يقترح عليه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه ، فيبتدىء بآخر سطر منه وهلم جرا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ - رسائل مجموعة فى كتاب يعرف برسائل بديع الزمان ، طبعت فى الآستانة سنة ١٢٩٨ ، وفى بيروت سنة ١٨٩٠

٢ - ديوان شعر : منه نسخة خطية فى مكتبة باريس ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ

٣ - مقامات تعرف باسمه وهى أقدم كتاب وصل الينا فى هذا الفن من فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علما ، وقد اقتبس نسقه من أستاذه ابن فارس اللغوى الآتى ذكره . وعنه أخذ الحريرى نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالى تنتهى بعبارة أو موعظة أو نكتة . والمراد بها فى الأكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها فى زمن الهمذانى . وقد شبهها بعضهم بالدرام فى اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذانى تروى على لسان

(*) نشر عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف هذه المنتخبات فى دار الفكر العربى بالقاهرة باسم رسائل الصحب بن عباد . وانظر فى الصحب بن عباد معجم الادباء ج ٦ ص ١٦٨ . وتاريخ ابن الاثير « الفهرس » والصدقة والصدىق لآبى حيان والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٩ وكتب التاريخ فى سنة وفاته والفن ومذاهبه فى النثر العربى ومقدمة رسائله ودائرة المعارف الاسلامية

رجل اسمه عيسى بن هشام ، طبعت هذه المقامات في الأستانة سنة ١٢٩٨ ،
ثم في بيروت مشروحة شرحا مختصرا للشيخ محمد عبده سنة ٨٨٦ زهو
غير عبد الرحمن الهمداني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٦
وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ، ومعجم الادباء ٩٤
ج ١ ، ویتیمه الدهر ١٦٧ ج ٤ (*)

٦ - الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي ،
قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا
العصر وأهم أدبائه . ونعم الخاتمة ، لانه أكثرهم آثارا وأوسعهم مادة وهو
الذي ترجم لهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان في العصر المشار اليه راعى
تلعات العلم ، وجامع اشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين ، وامام المصنفين
وهو مع ذلك شاعر مطبوع ، ومن نظمه في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطَّرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شيء أسرع منه إلا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع

ولو أنني أنصفت في اكرامه لجلال مهديه الكريم الأملعى
أقضمته حبّ الفؤاد لحبّته وجعلت مربوطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برّد الشباب لجلّته والبرقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب ، فنؤجل ذكرها الى ذلك
الباب (***) ونكتفى هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعتى كتاب رسائل الثعالبي
طبع في الأستانة سنة ١٣٠١ ، وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثيل
والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغة والنهاية الاتى ذكرها بين كتبه الاخرى

منشئون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثارا غير ما ذكره
الثعالبي في اليتيمة أو غيره ممن ترجموهم . وهذه أسماؤهم وبجانبها مكان
وجود الامثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

(*) وراجع في بديع الزمان كتابا خاصا فيه ، نشر في سلسلة نوايح الفكر العربى التى
تصدرها دار المعارف وتاريخ الادب في ايران ص ١٢٨ وما بعدها وبحثا في مقاماته بكتابتها
« المقامة » نشر دار المعارف وامراء البيان وتطور الاساليب النثرية والفن ومذاهبه في النشر
العربى ودائرة المعارف الاسلامية

(**) سيجزم له المؤلف فيما بعد ويذكرهم مراجعه

- ٧ - أبو الفتح البستي في يتيمة الدهر ٢٠٤ ج ٤
 ٨ - أبو الفضل الميكالي في يتيمة الدهر ٢٤٧ ج ٤
 ٩ - الحاتمي في يتيمة الدهر ٢٧٣ ج ٢
 ١٠ - الشابشتي ابن خلكان ٣٣٨ ج ١
 ١١ - التهامي الشاعر ابن خلكان ٣٥٧ ج ١
 ١٢ - القسطلي في اليتيمة ٤٣٨ ج ١

الادب والانثساء

عند الافرنج

ومما يحسن الاستطراد اليه في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم Literature يفضى الى الاجادة في فنى المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب ، لكنه يشتمل ايضا على روح انتقادية هي المراد الاصلى من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التى ينتقد بها الكاتب أو الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أماكن النقص فى الامة أو رجالها أو ملوكها ، فينتقده أو يصفه بأسلوب انتقادى شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعا مؤثرا . وكتابهم انما يتفاضلون فى أسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية عن أسلافهم ، لان المراد الاصلى منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها . فالكاتب أو الشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أو يخطب ، والغرض الرئيسى عند الانتقاد بما توحىه اليه قريحته النظر فى الوجود أو المجتمع الانسانى أو أحوال الناس من حيث الادب أو السياسة أو الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر فى أدباء العرب لانصراف قرائحهم فى صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أو الامراء من مدح أو هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية ، أو يتحدثون بما يطرب الخليفة أو الامير لانه على رضاه يتوقف رزقهم . كان الغرض الاول من الادب العربى فى الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاية الامر فى تأييد سيادتهم ونفوذهم أو تسليتهم وتفريحهم . وكان أكثر الشعراء والادباء من الموالى لطلاب الرزق ، فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعى أو السياسى أو الفلسفى مما يقتضيه النظر فى الخليفة أو نظام الاجتماع أو الدولة ، لان ذلك لا يلائم أغراض أصحاب السيادة ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدا فى سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فأصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء أمراؤهم . وإذا فكروا فى غيره لا يجسرون على قوله . وإذا قالوه بادروا الى اخفائه فرارا من الاذى أو سوء الاحدوثة أو الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من اقوال ادباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف ، فنشر آراءه في انتقاد الهيئة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظما ونثرا . . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء أو الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع ، فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعرا فسموه الحكيم وأنكروا عليه الشاعرية . والحقيقة أن تلك هي الشاعرية بعينها . . فسرت روجه في جسم المجتمع ، وأخذ الأدباء من العرب وغيرهم يقلدونه كما فعل عمر الخيام في رباعياته

على أن أكثر أدباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكيمة ، يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق . وأكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك ، وما ينبغى أن يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الايوبي المتقدم ذكره

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي أو الادب الانتقادي ، فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتى وهوجو وروسو وفولتير وغيرهم ممن ألف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القصائد أو المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها بأسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أو نكتة توسمها في نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم أو النثر ، إلا نحو ما يؤخذ من كتاب كيلة ودمنة وأمثاله

وهو تلميحى وليس عربى الاصل . وقد ألفوا قصة عنتره مثلا ، صوروا بها حال الاجتماع فى الجاهلية . وصوروا فى ألف ليلة وليلة حال الاجتماع فى عصر الرخاء والحضارة ، لكنهم لم يضعوا ذلك فى شكل انتقادى ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارئ يتأثر فى المطالعة ، فيساق من نفسه الى استحسان بعض ماصور هناك من المناقب فيقلدها، إلا أنه غير مقصود فى التأليف

وهذا النقص ليس خاصا بالعرب بل هو يشمل أكثر الشرقيين . ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادى فى نفوسهم بتوالى الاجيال واضطرارهم للارتزاق من الرؤساء . وهم أصحاب قرائح انتقادية ، فحصروها فى المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون . . أو فى المجادلات الدينية ويراد بها غالبا خدمة مصلحة ولاية الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه ، أو تحقير أعدائهم من دعاة الخلافة أو القائمين على الدولة ، أو فى المهاجاة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادئ الاجتماعية أو السياسية فانه قليل فى ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف أن نقيس حال أدبائنا فى تلك العصور بحال أدباء الافرنج فى هذا العصر ، فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا

بعد زوال التقليد وقلب النظام الاجتماعى وتبديل الحال السياسى حتى صار للامة شأن . وقد سفكت الدماء فى سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية ، فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على ان تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز فى فطرتهم ، فانهم من اصفى النساس ذهنا وأدقهم نظرا وآباهم للضميم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام أظهروا شجاعة أدبية لا مثيل لها ، حتى كان الراعى يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف : ولا يرى الخليفة غرابة فى انتقاده

حتى فى ابان التمدن الاسلامى اذا أتيح للشاعر أن يجهر بفكره عن جرأة فى الرأى مع استغنائه عن أموال ولاة الامور ، لم يقصر عن مجازاة أكتب الافرنج اليوم فى روح النقد والعبرة والفلسفة .. فقول أبى العلاء المعرى فى انتقاد الحكومة ورجالها (*) :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ونحن بعدهم فى الأرض قُطْطَانُ
إن العراق وإن الشام مذ زمنٍ صفران ما بهما للملك سلْطانُ
ساس الأنام شياطين مسلْطةٌ فى كل مصرٍ من الوالين شيطانُ
من ليس يحفل خَمَصُ الناس كلهم أن بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومى منطقته كمنطق العرب والطائي مرطان
أما كلاب فأعنى من تعال بهم كأن ارماحهم فى الحرب أشطان
متى يقوم إمام يستفيد لنا فتعرف العدل أجيال وغيطان

لا يقل قوة عما قاله فيكتور هوغو من قصيدة « الملوك » وهى من أشد قصائده وطأة ، قال فيها يخاطب الملوك : « أتظنون اننا نحبكم ! .. نحن الذين نشغل فى هذه الارض ونستخرج ثروتها ونكد ونجد فى حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من أتعابنا غير الجوع والعطش .. وأنتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم ، وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش . نحن الخدم وأنتم الملوك .. نحن الفنم وأنتم الدئاب .. نحن الفريسة وأنتم المفترسون .. تبنون القصور من أموالنا وأتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ، ونحن نقاسى غصص الموت على لقمة .. لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم » (١)

(*) الغريب فى الابيات التالية : خمص الناس : جوعهم ، المبطان : كبير البطن من كثرة الاكل ، النجر : الاصل ، مرطان : من الرطانة ، وهى الكلام الذى لا يفهم ، كلاب : بنو كلاب (قبيلة) . أشطان : حبال

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستوري أو الجمهوري منذ تسعمائة سنة ، فوصف الامة الذليلة بقوله :

مِثْلَ الْمَقَامِ فَكَمْ أَعَاشَرَ أُمَّةً أَمَرْتُ بِغَيْرِ صَلاَحِهَا أَمَرَآؤُهَا
ظَلَمُوا الرِّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَدَّوْا مِصَالِحَهَا وَهُمْ أَجَرَآؤُهَا
· ردد ظهر بعد المعرى غير واحد من النقاد ، سيأتى ذكرهم فى أماكنهم

الأدب والآداب

في العصر العباسي الثالث

ونضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالاً عن سائر العلوم ، ومال في الأكثر الى النظر في الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد أن نضج وتعددت أبوابه وموضوعاته ، فتعود الآداب بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد الممحض بالمقابلة والموازنة . . وان أنكروا الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر أحياناً . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبّت في عروقهم وهم لا يعلمون ، فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم من انتقد الرواية والأخبار كابن الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني وعمر بن حمزة . ونظروا الى فنون الشعراء ، فشرحوا أقوالهم في الجاهلية والإسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصولها وجمعوا بينها ، كما فعل الثعالبي إمام المؤلفين في ذلك العصر . وانتقدوا آداب المجالسة ، ووضعوا للنسباء شروطاً وغير ذلك ، كما سيظهر في تراجم الآداب . وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

١ - أبو الفرج الأصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه أنه فارسي الأصل ، وهو عربي أموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني أمية . وهو مع ذلك شيعي ، ويندر التشيع في بني أمية . واسمه على بن الحسين وكنيته أبو الفرج ، وإنما لقب الأصبهاني لأنه ولد في أصفهان . لكنه نشأ في بغداد ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفاتها . وقد روى عن كثيرين ، وطالع كثيراً من الكتب ، وكان قوي الحافظة ، فوعى في ذاكرته ألواناً من الأشعار والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث والأنساب بأسانيدها وأسماء قائلها ورواتها . فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والأشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه في الأكثر الى الوزير المهلب المتقدم ذكره . وكان يلقي سواه من ملوك ذلك العصر وأمرائه ، فيعرفون فضله ويجيزونه ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون ، لكنه تدبر تلك المعارف وأخرج فيها كتباً نافعة أشهرها كتاب الأغاني وبه اشتهر . وألف أيضاً كتاب القيان ، وكتاب الأماء الشواعر ، وكتاب الديارات ،

وكتاب دعوة الأطباء ، وكتاب مجرد الاغانى ، وكتاب اخبار جحظة البرمكى ومقاتل الطالبين ، وكتاب الحانات وآداب الغرباء ، وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها بنى أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرا . وجاءه الانعام منهم سرا ، فمن ذلك كتاب نسب بنى عبد شمس ، وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم ، وكتاب التعديل والانتصاف فى مآثر العرب ومثالبها ، وكتاب جمهرة النسب ، وكتاب جمهرة بنى شيبان ، وكتاب نسب المهالبة ، وكتاب نسب بنى تغلب ونسب بنى كلاب ، وكتاب الفلمان المغنين وغيرها . وهى كثيرة ، لكن أكثرها ضاع بتوالى الاحن . . فنأتى على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ - كتاب الاغانى : هو اشهر من أن نعرف به ، وقد اتفق على أنه لم يؤلف مثله فى بابيه . ويقال انه اشتغل فى جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو أموى مثله ، فسأله أن يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبنى العباس وبذل له على ذلك ألف دينار . ولما تم تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان ، فأعطاه ألف دينار واعتذر اليه . ولم يبق أحد من أمراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغنى به عن سواه . وقد علمت أن الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال ، فلما اقتنى كتاب الاغانى استغنى به عنها

وهو اجزاء كثيرة وصل اليها منها ٢١ جزءا فى نحو ٤٠٠٠ صفحة ، واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه فى الاصل معنى « الاغانى » فصدره بمائة صوت ، كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلى مغنيه وغيره أن يختاروها له . ثم وقعت للوائح بعده ، فأمر اسحق بن ابراهيم فاختر له منها ما رأى انه أفضل وأضاف اليها أشياء أخرى . فسار أبو الفرج على هذه الخطة معتمدا على ما اختاره غير هؤلاء أيضا من أهل العلم بصناعة الغناء . وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب ، اذ يجدر به أن يكون بين كتب الموسيقى . . لكن أهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار ، لان المؤلف اذا ذكر أبياتا على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها وترجمته والاحوال التى قيلت فيها من حرب أو حب فى الجاهلية أو الاسلام ، ومن غناها ، ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . وأكثر أيام العرب وأخبار قبائلهم وأنسابهم ووقائعهم وغزواتهم وميائهم . وفيه خيرة أشعار الجاهلية والاسلام لا سيما ما كانوا يفتنون به . وآداب القوم فى طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم .

فأهمية هذا الكتاب واسعة لما حواه من تلك التراجم والخبار ، ويكاد يكون منفردا بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وأيام بنى أمية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لا يكتفى بالاسناد الى الرواة ، بل هو ينتقدهم ويبين أوجه الخطأ أو المناهضة بين رواياتهم ثم يرجع

الى رأيه . وكان شديد الوطأة في النقد على ابن خرداذبة وابن الكلبي . وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقنها عن أناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه ، وأخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغانى بمصر في ٢٠ جزءا سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب بأوربا . وقد طبعه برونو سنة ١٨٨٨ فصار ٢١ جزءا ، ووضع لها الاستاذ جويدى المستشرق الايطالى فهرسا أبجديا مطولا سنة ١٨٩٥ ، وأعيد طبع الاغانى كاملا بمصر في ٢١ جزءا سنة ١٣٢٢ مع فهرس أبجدي مبنى على فهرس جويدى (**) . وقد لخص الاغانى جمال الدين الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ في كتاب منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى . وجرده الاب انطون صالحانى اليسوعى من الاسانيد والاغانى ، وأبقى الروايات على حدة في كتاب سماه « روايات الاغانى » وهو جزآن الاول في الروايات الادبية والثانى في الروايات التاريخية طبع بيروت سنة ١٨٨٨ و ١٩٠٨

٢ - كتاب الديارات : وصف فيه الاديار في العراق ومصر وغيرهما ، وفيه كثير من اخبار الشعراء وأشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصا الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك في نسبة هذا الكتاب اليه ويرى انه للشابشتى

٣ - مقاتل الطالبين طبع في الهند سنة ١٣٠٧ ، وطبع في مصر أيضا وترجمة الاصبهاني في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ ، واليتمية ٢٧٨ ج ٢ (**) (*)

٢ - أبو على التنوخى

توفى سنة ٣٨٤ هـ

هو أبو على المحسن بن على التنوخى . ولد في البصرة وكان أبوه قاضيا وشاعرا وأديبا (ترجم له الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسن الى بغداد ، وتلقى العلم عن الصولى وغيره ، ثم عين قاضيا على قصر بابل وما يليه . وتنقل في مناصب أخرى وأهم آثاره :

- ١ - كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن أبى الدنيا ، وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية
- ٢ - كتاب المستجد من فعلات الاجواد : فيه حكايات وأخلاق أكثرها عن الخلفاء العباسيين . . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج وأياصوفيا . .

(*) تقوم دار الكتب المصرية بطبعه الآن وقد طبع منه ثلاثة عشر جزءا
 (***) وراجع في أبى الفرج الاصبهاني تاريخ بغداد ج ١.١ ص ٣٩٨ ومعجم الادباء ج ١٣ ص ٩٤ وتاريخ اصبهان ج ١ ص ٢٢ وروضات الجنات ص ٤٨٧ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٢١ و امرأة الجنان ج ٢ ص ٣٥٩ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٠٠ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٥١ والمنتظم «وفيات سنة ٣٥٦» وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٠٨ وابن كثير ج ١.١ ص ٢٦٣ وبروكلمن ١٤٦ ج ١ ودائرة المعارف الإسلامية ، وانظر بحثا فيه للاصمعى « طبع دار المعارف »

٣ - كتاب نشوار المخاضرة وأخبار المذاكرة : مجموع أخبار تاريخية . .
في باريس وترجمة التنوخى في ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ، وقيمة الدهر ١١ ج ٢ (*)

٣ - أبو هلال العسكري

توفي سنة ٣٩٥ هـ

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تلقى العلم في بغداد والبصرة وأصبهان . وهو غير أبي أحمد العسكري اللغوي الاتى ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبدالله . . فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما ، وكانا متعاصرين . وأبو هلال تلميذ أبي أحمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ هـ ، أما أبو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب ، هاك أهم ما بلغنا خبره منها :

١ - كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ ، وفي مصر على هامش أمثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ - كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلي وطبع في الاستانة سنة ١٣٢٠ ، وهو مفيد جدا في بابه (**)

٣ - ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب الموضوعات . قال مؤلفه في مقدمته انه جعله ١٢ بابا في ٥٠٠ ورقة ، ثم رأى ان ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطاني . وفي كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية كتاب خطى بهذا الاسم مؤلف من ٣٤٢ صفحة ، يشتمل على الباب السابع ، وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن ، في وصف الحرب والسلاح . والتاسع في وصف الدواة والبلاغة . والعاشر ، في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي عشر ، في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقي معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة لطلاب المعاني الشعرية (***)

٤ - كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ - روى ديوان أبي محجن : في اياصوفيا

٦ - كتاب الاوائل : اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو اول من ألف فيه . .

٧ - التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع الاستانة

وأخبره في معجم الادباء ١٣٥ ج ٣ (****)

(*) وراجع في التنوخى معجم الادباء ج ١٧ ص ٩٢ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٨٦ ودائرة المعارف الاسلامية . وقد نشر له المجمع العلمي العربي بدمشق كتابه « المستجد من فحولات الاجواد » بتحقيق محمد كرد علي ، كما نشر له جزءين من نشوار المخاضرة بعناية مرجليوث، وهما الثاني والثامن في الكتاب

(**) طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥٢ في مطبعة الحلبي طبعة محققة جيدة

(***) نشر هذا الكتاب في القاهرة

(****) وانظر في أبي هلال العسكري بنية الوعاة ص ٢٢١ وانباه الرواة في باب الكنى

٤ - التعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

تقدم ذكره بين المنشئين ، وأجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هذا الفصل . والتعالبي المذكور مدون أخبار العصر الذي نحن بصددده ، وخصوصا الشعر والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في موضوعات مختلفة ، هالك ما وصلنا منها :

١ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تشتمل على أخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة ، وهو العصر العباسي الثالث ، في أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب باعتبار البلاد . فأفرد بابا لشعراء الشام وما كان من أحوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ، ولا سيما المتنبي وأبو فراس ، استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وبابا لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل ، وآخر عن آل بويه وشعرائهم وكتابهم ، وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد مفصلا ، ثم شعراء أصبهان والطارئين على الصاحب ، وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان ، ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء ، ففضلاء خوارزم . وفصولا لكل من أبي بكر الخوارزمي والهمداني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ وفي مصر في أربعة مجلدات بها نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والأخبار ، وأنه أغفل الوفيات فيندر أن يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو مقصور على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف أبو الحسن الباخري المتوفى سنة ٦٧٠ هـ ذبلا لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتي ذكره

٢ - لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه ، لانه يشتمل على فوائد لا سبيل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . وتتلخص هذه الفوائد في : (١) باب الاوائل من كل شيء ، وفيه فوائد تاريخية مهمة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة ، وأول من كسا الكعبة الحرير نتيبة . الخ (٢) ألقاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم ، كالمرقش والممزي وأسباب ذلك (٣) الألقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين بأحوال مختلفة (٦) في الفايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الألقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، وأخيرا نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في لندن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه الموضوعات في كتابه « المعارف »

٣ - فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة او المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينهما أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى

درس طويل . وذكر في المقدمة أسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ - الاعجاز والايجاز . يشتمل على أبلغ ما قيل مع الايجاز ، طبع في مصر سنة ١٨٩٧ ، وفي الاستانة في جملة رسائل أخرى

٥ - خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ - نشر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منشور طبع بمصر سنة ١٣١٧

٧ - مكارم الاخلام : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها ، طبع في بيروت

٨ - غرر أخبار ملوك الفرس في التاريخ : طبع في باريس

٩ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : في الادب ، وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لأنه ينقسم الى فصول باعتبار أشياء مضافة الى أشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على السنة العامة والخاصة كقولهم غراب نوح ، وذئب يوسف ، وعصا موسى ، وخاتم سليمان ، وبردة النبي ، ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم ، منه نسخة خطية في مكتبة دار الكتب المصرية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة

١٠ - شمس الادب في استعمال العرب : جزآن ، الاول في أسرار اللغة . والثاني في مجارى ألفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجارى لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتى برلين وليدن

١١ - الكتابة والتعريض : في البلاغة ، ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والفلمان والطعام والمقايح والعاهات وغيرها . ومنه نسخ خطية في برلين وفيينا والاسكوريال وفي مكتبة دار الكتب المصرية ، وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ

١٢ - أجناس التجنيس : في الجناس ، بمكتبة الاسكوريال

١٣ - سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفيينا وباريس وكوبرلي وغيرها . وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل أخرى

١٤ - غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين

١٥ - اللطف واللطائف : مؤلف من ١٦ بابا ، في الاسكوريال وفيينا وفي دار الكتب المصرية من كتب الشنقيطى

١٦ - من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع وأوصاف الليالى والايام والفلز والخمريات والاخوانيات ، منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة ، وطبع في بيروت سنة ١٣٠٩ هـ

١٧ - برد الاكباد في الاعداد : هي مجموعة أخبار وملح عن النبي والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . في باب العدد ثلاثة مثلا يقول « ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الظن والطيرة والحسد » وقس عليه . طبع في الاستانة في جملة رسائل أخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١٨ - التوفيق للتلفيق : في برلين

١٩ - النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريان والمكتبة الخديوية ، وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة .

٢٠ - مرآة المروءات وأعمال الحسنات : في برلين وطبع بمصر سنة ١٨٩٨

٢١ - التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من أقوال الشعراء والمنتسبين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة

٢٢ - كتاب الغلمان : في برلين والاسكوريال

٢٣ - تحفة الوزراء : في مكتبة غوطا

٢٤ - كنز الكتاب : فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعرا لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة

٢٥ - أحاسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية

٢٦ - أحسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٢٧ - المبهج : فيه أخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ بابا ، منه نسخة خطية في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه

٢٨ - اللطائف والظرائف : في مدح أشياء وأضدادها ، موجود في برلين والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥

٢٩ - يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه ، في برلين وليدن

٣٠ - لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن ، وطبع منه قطع في ليدن للتعليم . .

٣١ - أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤

٣٢ - كتاب الشكوى والعتاب

٣٣ - المقصور والمدود

٣٤ - المتشابه . .

وهذه الكتب الثلاثة منها نسخ خطية في دار الكتب المصرية

٣٥ - المنتخل : يحوى جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى أيامه . وهو منتخب من أحسن الاشعار لأحسن الشعراء ، طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة أسماؤهم فيه للشيخ أبى على الازهرى . وبعضهم ينسب المنتخل لابی الفضل الميكالى معاصر الثعالبى

٣٦ - كتاب الفرائد والقلائد : طبع بمصر سنة ١٣٢٨ هـ

وترجمة الثعالبى فى ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦ (**)

٥ - الشريف المرتضى

توفى سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من اشراف العلويين ، وكان نقيب الطالبين فى بغداد . واسمه على بن الطاهر ، وكان اماما فى علم الكلام والادب والشعر . وهو أخو الشريف الرضى الشاعر الذى تقدم ذكره . وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة ، وديوان شعر كبير لم يصل إلينا . ومن تصانيفه :

١ - كتاب نهج البلاغة : وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام على . والمشهور ان الشريف المرتضى جمع خطب على وأقواله ودونها فى ذلك الكتاب ، وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة فى التعبير والحكم فى الاقوال . وان كنا نرى كثيرا من الخطب ليست لعل بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعانى لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله . أما خطبه فى المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهي له . وقد طبع نهج البلاغة فى بيروت ، وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ و طبع أيضا بمصر . ولابن أبى الحديد شرح مطول فى ٢٠ جزءا ، طبع فى طهران سنة ١٢٧١ فى مجلدين كبيرين على الحجر . وفى آخره اضافات لم يذكرها جامعه . وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة فى باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب

٢ - كتاب الدرر والغرر فى الحاضرات : منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وأخرى فى برلين

٣ - كتاب الشهاب : طبع فى الاستانة

وترجمة المرتضى فى ابن خلكان ٣٣٦ ج ١ (**) (**)

(*) وراجع فى الثعالبى حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ١٦٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٨٤ ج ١

(**) انظر فى المرتضى تاريخ بغداد ج ١ ص ٤٠٢ وتتمة اليتيمة ج ١ ص ٥٣ ودمية القصر ص ٧٥ وروضات الجنات ص ٣٨٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٦ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٢٣ ومراة الجنان ج ٣ ص ٥٥ ومعجم الادباء ج ١٣ ص ١٤٦ وانباء الرواة ج ٢ ص ٢٤٩ وبغية الوعاة ص ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٩ وتاريخ ابن الاثير «أنظر الفهرس» وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٦٧ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٥٣ والمنتظم فى «وفيات سنة ٤٣٦ هـ»

٦ - ابن رشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان ، أبوه مملوك رومي من موال الازد ، كان صائفا في بلدة المحمدية فعلمه أبوه صناعته . ثم قرأ الادب وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه ، فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته . ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب ، وقتلوا أهلها وخربوها . . فانتقل الى صقلية وأقام بمازر الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ - كتاب العمدة : وبه اشتهر ، يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو أجل كتاب في هذا الموضوع يقسم الى أبواب في فضل الشعر وأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضعه ، ومن قضى له وقضى عليه ، واحتماء القبائل بشعرائها ، والتكسب بالشعر ، ومنافع الشعر ومضاره ، والمقلين من الشعراء ، وحدود الشعر وأوزانه وبحوره ، والبلاغة والايجاز والاستعارة الخ . . وسائر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازات والاوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك . وفي خلاله طائفة من أحسن الاشعار ، وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون : « ان كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاه حقا ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد ألف زميله ومعاصره أبو عبدالله بن شرف رسائل سماها : « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها

٢ - كتاب قراضة الذهب في نشر أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس وقد ضاعت سائر كتبه (*)

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ، ومعجم الادباء ١٣٧ ج ١ (**)

كتب أخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ - المجلس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ ، منه أجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

(*) طبع هذا الكتاب بمطبعة الخانكي في القاهرة

(**) وراجع في ابن رشيق روضات الجنات ص ٢١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٣٠١ وأنباه الرواة ج ١ ص ٢٩٨ وبغية الوعاة ص ٢٢٠ والمجلس السندسية ص ١٠٠ وقوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥٥ وبساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسنى عبدالوهاب وابن رشيق للميمنى الراجكوتى ، وله أيضا النصف من شعر ابن رشيق وابن شرف ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية

٢ - زهر الآداب : للحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار (*)

وترجمة الحصرى فى ابن خلكان ١٣ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١ شرح الحماسة : للمرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية (**)

٤ - الموازنة بين الطائيين : للامدى توفى سنة ٣٧٠ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع فى الاستانة

وترجمة الامدى فى معجم الادباء ٥٤ ج ٣ ، والفهرست ١٥٥

٥ - الاشباه والنظائر أو حماسة الخالدين : هى مجموعة مختارات من اشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ، ومنها كثير لم يرد فى حماسة أبى تمام . وهى تنسب الى الخالدين من أدباء العصر الثالث، وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان . . كانا يشتركان فى نظر الشعر ، ولا يكادان يفترقان ، ولهما أشعار نشرها الثعالبي فى يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما أيضا هذه الحماسة ، منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى ٣٠٠ صفحة

٦ - قطب السرور فى وصف الخمور : لآبى اسحق الكاتب القيروانى المتوفى سنة ٣٨٣ ، منه نسخة خطية فى برلين والاسكوريال وفيينا وغيرها

٧ - مجموعة المعانى : لمؤلف مجهول ، لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد أضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاذه . طبعت فى الاستانة فى ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هى علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطأ فى تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . . وهو من الفنون الاجنبية ، يقال ان مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد ، وقد أخذه العرب فى جملة ما أخذوه عن الاعجام فى خلافة أبى جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عندما ترجم كليله ودمنة من الفارسية الى العربية ، فكانت ترجمته هذه أساسا لهذا الفن . . لكنه لم ينضج الا فى العصر الثالث الذى

(*) طبع زهر الآداب على هامش العقيد لفريد ، ثم طبعه زكى مبارك فى ٤ أجزاء طبعة مستقلة

(**) نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الشرح بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هرون

نحن في صدده . وأشهر من ألف فيه أبو حيان التوحيدى (*) المتوفى سنة ٤٠٠ هـ ، ألف كتابا سماه كتاب المحاضرات والمناظرات ، وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . وأشهر ما بين أيدينا من كتب المحاضرات كتاب « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » لابي القاسم الراغب الاصبهاني ، وسيأتى ذكره

(*) نما فن المحاضرات عند العرب منذ القرن الاول للهجرة عند الحسن البصرى وأضرابه ، اذ كانوا يخصبون في الناس هذه الخطابة الجليلة أو هذه المحاضرات ، اذ يجلس الخطيب أو المحاضر وحوله تلاميذه يكتبون ما يلقي عليهم . واتسع ذلك في فروع الدراسات الإسلامية في التاريخ والحديث النبوى والتفسير والفقه واللغة والشعر، ووصلت إلينا مصنفات كثيرة في هذا الميدان مثل مجالس ثعلب وأمدى القالى والكامل للمبرد وهلم جرا

الروايات والقصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية ، وهى القصة عندنا . وانما اخترنا لفظ الرواية مجازاة لمفهوم القراء منها لانها عندهم ادل من القصة على ما نحن فيه . والروايات فن له شأن عظيم فى آداب اللغات الافرنجية ، يكاد يكون أهمها . واما فى العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب فى سياق قصة موضوعة ، وقد تكون بشكل تمثيلى فتسمى فى اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، اقتصرنا فيه على ما فى آداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ، ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال فى التمدن الاسلامى

يظهر ان العرب قلما اهتموا بهذا الفن فى صدر دولتهم ، ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الاياذة ولا الانباد ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئا من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبدالله بن المقفع وجبله بن سالم وغيرهما ، فمما نقل عن الفارسية كليله ودمنة ، وكتاب رستم واسفنديار ، وكتاب الآداب الكبير ، وهزار افسانة ، وشهريزاد مع أبرويز ، والكارنامج فى سيرة أنوشروان ، ودارا والصنم الذهب ، وبهرام ونرسي ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير ، وكتاب بوداسف ، وكتاب أدب الهند وغيرها . وقد ضاع أكثر هذه الترجمات وتغير ما بقى منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على اننا نرى بين أيدينا قصصا وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها ، أشهرها قصة عنتره ، وألف ليلة وليلة ، وأبو زيد الهلالي ، والوزير ، والملك سيف ، والملك الظاهر ، وعلى الزبيق ، وفيروز شاه ، ونحوها . . فهذه القصص أكثرها وضع بعد العصر الثالث ، وانما يهمنى هنا القصص والروايات التى دوت فى ذلك العصر أو قبله . وهى تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند أنفسهم ، والثانى ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه . واليك تفصيل ذلك :

القصص التى وضعوها

من عند أنفسهم

أما ما وضعوه فيرجع فى الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها ، كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصبية والثأر .

وتجد هذه المناقب ممثلة في أخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الإسلام ، وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الإسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة أشعار عنتر وغيرها على أيدي القصاص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وأنشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار ، فوسعوها في شكل روائي يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصودا في بادىء الامر ، وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجا بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة ، فكان الراوى يبالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتشعب حتى يفضى بها الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه . . هكذا فعلوا في أكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة أسندوا أخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وأبى عبيدة ، وأمثالهما ونسى مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم ، كما نسيت أسماء مؤلفي أكثر القصص القديمة عند الأفرنج

وقد نضج هذا الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث ، فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضاءه . وهي تتفاوت بعدا عن الحقيقة وقربا منها ، وصار بعضها يتلى في المنازل والاندية لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملا ناضجا الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي أكبر القصص الحماسية العربية ، أو هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لا تحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل آداب الجاهلية وأخلاق أهلها وحروبهم وعاداتهم . وأكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية ، لكنها مسبوكة في سياق قصة ، والمبالغة ظاهرة فيها . والمشهور انها وضعت في أواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد بينا أن هذا الرجل لم يضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهي أحسن القصص العربية وأكثرها فائدة ، وقد عنى الأفرنج بنقلها الى أسنتهم كاملة وملخصة ، وطبعت في العربية مرارا عدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في بدء تكوينها لانهم أسرعوا في تدوينها ، ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ أو أيام العرب الجاهلية . . منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى

سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة ، تشتمل على حوادث عدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم ، كما أن قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة أن هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الأشهر اسمه البراق ، وهو شاعر قديم من ربيعة من أقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنتر ، وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز وأشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الأيام ، كما توسعت قصة عنتر ، لكنه ما زال أصغر حجماً وأقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه ، وإنما هي مجموع أخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طى) بسبب قنص اختصما فيه فنشبت حرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطى وقضاعة ، ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن أخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب ، وجرت بين الطائفتين ثمانى وقائع قد تكون فى أصلها تاريخية ، لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة ، واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يلها قصة قطيعة مصر وربيعه ، ثم خروج لكيز . وهما صغيرتان . ثم قصة سبى ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوقل بن عمرو . وأخبار البراق فى هذا القسم أقرب الى الرواية لأنها تشبه ما يروى عن عنتر ، ويتخلل ذلك أشعار حماسية ويليها حروب بين وائل واليمنيين ، سببها أن أسيراً كان عند كليب فقتله كليب ، ودخل فى هذه القصة كليب ومهلهل

وأخيراً حرب البسوس ، وهى قصة قائمة بنفسها استغرقت مائة صفحة كبيرة ، يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقارئ أنه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى أسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الأيدى وتناقلها القصاص شفاها الى العصر الذى دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطأ فى المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابنى وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية ، تشتمل على وقائع لها ذكر فى التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفاصيل نظنها خيالية ، أراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهى منسوبة فى روايتها الى محمد بن اسحق ، أو لعل الكاتب أخذ شيئاً من رواية ابن

اسحق وأتمها من عند نفسه . والكتاب مطبوع في بمباي سنة ١٣٠٥ ، يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انور شروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك ، لكنها أقرب منها الى الرواية الخيالية ، مبنية على حادثة تاريخية في أصلها وتوسع المؤلف فيها . . فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى أنو شروان ان كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقه بنت المتجردة ، فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تنم عن حداثة نظمها ، فضلا عن قصائد حقيقية نظمها أبطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مروى عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب ، بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة الانسان تدفعه الى المبالغة فيما يقصه لفتا لاجباب السامع . وفي بعض الناس ميل الى تزويق العبارة والتوسع فيها . وبتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة ، وأكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . وأكثرها شيوعا بيننا الياذة هوميروس . . فان لها أصلا تاريخيا هو حصار طروادة ، اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى الى هوميروس فدونه أو أتمه ، فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيبان وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة ، فان هؤلاء أنزلوا الآلهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند أنفسهم أيضا قصص العشاق العذريين ونحوهم وفيها تمثيل العفة أو التفاني في سبيل الحب . . بنوها على ما جاء في أخبار عشاق صدر الاسلام ككثير لبنى وجيل بثينة . فألفوا قصصا غرامية نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذي نحن بصددده ، منها كتاب عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب ، وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير ، وأحمد وداحة ، وقصة أبي العتاهية وعتب ، وأحمد بن قتيبة وبانوحة . ووضعوا قصصا غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب ، كقصة علي ابن أديم ومنهله ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصا في العاشقات المتطرفات من النساء ، كقصة ريحانة وقرنفل ، ورقية وخديجة ، وسكينة والرباب ، وهند وابنة النعمان ، وسلمى وسعادة ، وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغير ذلك . وأكثرها ضاع وما بقي منه أدخلوه في قصة ألف ليلة وليلة

القصص المنقولة

أما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الأخرى ، فهو يمثل في الغالب آداب الأمة التي نقلت القصة عنها . وأكثرها نقل عن الفرس والهند ، فهي لذلك تمثل آداب تينك الامتين . وقد ذكرنا أسماء بعضها ، وذكر الفهرست عشرات منها وقصصا واسمارا يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية ألف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هي مجموعة قصص متسلسلة تدخل في بضعة آلاف صفحة . هي مشهورة ومتداولة ولها طبعات عدة . واختلف الباحثون في أصلها وتاريخها (*) وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه أو وضعوه . ولها أصل نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ، نعى كتاب « هزار أفسانة »

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، قال : « وقد ذكر كثير من الناس ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها ، وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة اليها والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب أفسان وتفسير ذلك في الفارسية « خرافة » . ويقال له أفسانة ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد »

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتى ذكره ، فقال في أصل وضع كتاب هزار أفسانة هذا في الفارسية : « ان ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الفد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية ، يقال لها شهر زاد . . . فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث ، الى ان أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى ان رزقت منه ولدا أظهرته ، وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحمانى (الصحيح أهما) ابنة بهمن » وهذا الوصف ينطبق على ألف ليلة وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد . ولا ندرى الآن أى جزء من ألف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ، ثم

(*) انظر في الف ليلة وليلة مقال أويسترب في دائرة المعارف الاسلامية ومقال ماكدونالد في ملحق الدائرة وألف ليلة وليلة لسهير القلماوى وقصصنا الشعبى لفؤاد حسنين على ص ١٥٢ وما بعدها

أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا . . ومن يطلع عليه يجد فيه قصصا يدل أسلوبها وألفاظها وبعض ماحوته من العادات أنها كتبت بعد ذلك بقرون عدة ، كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم كأبي طبق ونحوه . ولا يعلل ذلك إلا بما تقدم من توسيع القصة الأصلية المنقولة عن الفارسية ، بإضافة قصص وأسماء كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

والأرجح أن تأليفها على الصورة التي وصلت اليها تم بعد القرن العاشر للهجرة ، وأكثر تلك الزيادات حدثت في مصر . ولعلنا لو أتيج لنا الوقوف على الترجمة الأصلية لهزار أفسانة ، لوجدنا الفرق بينها وبين قصة ألف ليلة وليلة كالفرق بين أوديسة هوميروس والياذة فرجيل . . فان هذه أكثرها منقول عن الأوديسة ، ومع ذلك فهي تنسب إلى فرجيل . ولهذا السبب يصح أن يقال عن ألف ليلة وليلة أنها من مؤلفات العرب وإن كان بعضها لا يزال على أصله الفارسي

وهي كما وصلت اليها تمثل الآداب الاجتماعية في القرون الإسلامية الوسطى ، ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك . وقد وصفت المرأة فيها وصفا يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها . وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب ، فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالنمو التدريجي قبل تدوينه لميل الإنسان من فطرته إلى المبالغة كما تقدم . على نحو ما ترى في أخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في أسفاره من الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الأذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير ، والوادي الذي حجارته من الماس ويعج بالافاعي عجيجا ، وجبل القروود والشعابين التي تأكل آدميين ، وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس وإذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها ، ونحو ذلك مما يخالف المؤلف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة . . وإنما نما بالتناقل وأصله مبالغة قليلة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهریار في أخبار الهند مما سبق أن فصلناه ، فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة ، أو تنوقلت شفاها لصارت كالخرافات تماما وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على أن ذلك ليس خاصا بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج ، بل هو يتناول سائر الأمم في تلك العصور من الميل إلى المبالغة في رواية الغرائب ، ولاسيما فيما تلذ المبالغة فيه من أخبار الأبطال والفاتحين . والافرنج أكثر مبالغة في ذلك من العرب ، فان هؤلاء نسبوا إلى عنبرة مقابلة المائة والمائتين أو أكثر من الرجال وحده وذلك مع بعد احتماله لا يخالف نواميس الطبيعة . وأما الافرنج في قرونهم الوسطى ، فانهم نسبوا

الى الاسكندر المقدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعية . فقد قالوا انه لقي في أثناء فتوحه اقواما نصف اجسادهم السفلى آدمى والنصف العلوى وحشى ، واقواما وحشيين لكل منهم ست ايد . وانه حارب جنودا من السلاحف واخرى من التنين . وانه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة قرون ، وبارز مرة اخرى اسودا وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات ألف ليلة وليلة قصص قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجوهر أو الحلم أو الوفاء أو غير ذلك ، كقصة حاتم الطائي بعد موته أو قصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخديمة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مفزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصا مستقلة وأدخلت عليها بتوالي الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم ، كقصة الدجاجة والبطّة والاسد ونحوها والخلاصة انها مجموعة قصص مختلفة الموضوعات والاساليب والاغراض، عسارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص وعصورها . . على انها لم تبق كما وضعت لان النساخ والناشرين نقحوها وهذبوا عسارتها . وقد طبعت مرارا ونقلت الى اكثر لغات أوروبا نقلا يختلف قريبا من الاصل وبعدا عنه بين اختصار وتهذيب ، وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس بها من قصة ألف ليلة وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها ، حذفت من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من امثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها في العالم العربي ، أخذ الادباء في القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين أيديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشيارى ، قال في وصفه : « وأبتدا أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات . . . وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك أربعمائة وثمانون ليلة ، كل ليلة سمر تام يحتوى على خمسين ورقة . ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخى الشافعى . وكان قبل ذلك من يعمل : ابن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم . »

ولم يصننا من هذه الكتب وأمثالها غير ألف ليلة وليلة
وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ، ظهرت قبل
انقضاء العصر الذي نحن بصدد كتاب حوشب الاسدى ، وكتاب جحا ،
ونوادر أبى ضمزم ، ونوادر ابن الموصلى ، لم يبق منها الا القليل . أما
سائر القصص الكبرى المتداولة بين أيدينا الآن كقصة الزير والزيبق
وبنى هلال وغيرها ، فسيأتى ذكرها فى مكانه

الدرام عند العرب

ونريد بالدرام الروايات التمثيلية ، وهو عظيم الاهمية عند الافرنج ،
لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المسارح ليشاهدها الناس
ويعتبروا بها . . لكن العرب لم يعانون التمثيل على المسارح ولا الفوا فيه .
وقد عد بعض المستشرقين المقامات ، كمقامات الهمداني أو الحريري ، من
قبيل الدرام . ولا نرى مسوغا لهذا القول ، والمقامات انما يراد بها الفائدة
اللفوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال والحكم .
وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن
يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة . وهى فى الغالب مبنية على
المجون وانتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب فى تقاعد العرب عن فن التمثيل ، انه يحتاج الى ظهور
المرأة على المسارح ، وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع
لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصى الذى يحتاج الى
توسيع الموضوع وتشعبه وتفريعه . على أن أبا العلاء المعرى نابغة
الشعراء فى العصر الثالث ، وضع شيئا كالدرام . . نعى رسالة الغفران . .
فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها

ويظهر ان الشيعة فى بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع فى تمثيل مقتل
الحسين فى كربلاء ، فانهم يمثلون تلك الواقعة على المسارح فى عاشوراء ،
وتبتدىء هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهى بقتله . أو هو
الفصل الاخير منها ويسمونه « روز قتل » أى يوم القتل . فهذا الفصل
يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته فى ساحة كبيرة ،
فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم
وأم ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ،
ومقتل الحسين وأصحابه . . يفعلون ذلك فى ساحة ينصبون فيها الخيام ،
عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين
بنغم محزن ، ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون
ويندبون وينوحون ، فيطوف عليهم شيخ بقطعة من قطن يلتقط بها دموعهم
ثم يعصرها فى قارورة تحفظ بها للاستشفاء . وقد وصف ذلك الاحتفال
الرحالة موريه فى رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ، ونقلنا ذلك
فى الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ، ولكنهم لم يبتكروا كثيرا في النحو . . .
وقل الذين ألفوا فيه من عند أنفسهم . وأكثر ما دونوه شروح على سيبويه
أو اعراب أو نحو ذلك ، وأكثرها ضاع . وهاك أشهر من خلف مؤلفات
في النحو من أهل هذا العصر وبقي منها ما يستحق الذكر ، نرتبهم حسب
الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في الموضوعات الأخرى :

١ - ابن خالويه

توفي سنة ٣٧٠ هـ

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه أصله من همدان ، ودخل
بغداد وأدرك جلة العلماء فيها ، ورحل إلى الشام ثم أقام في حلب ، وتقرب
من آل حمدان وقدمه سيف الدولة . وله معه محاضرات حسنة . ومن
آثاره الباقية :

١ - رسالة في اعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف
البريطاني وفي اياصوفيا (*)

٢ - كتاب الشجر : طبع في برلين سنة ١٩٠٩

٣ - كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في أوربا عن نسخة خطية
وجدت في المتحف البريطاني بعناية ديرنبرج . وطبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ
وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٣٨٣ ، وبيته
الدهر ٧٦ ج ١ ، والفهرست ٨٤ (**)

٢ - أبو بكر الزبيدي

توفي سنة ٣٧٩ هـ

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الأشبيلي
نزىل قرطبة ، من تلاميذ أبي علي القالي اللقوي . وكان أوحده عصره في

(*) نشرت هذا الكتاب دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٠ هـ

(**) وراجع في ابن خالويه أنباء الرواة ج ١ ص ٣٢٤ ومعجم الأدباء ج ٩ ص ٢٠٠ وبغية
الوعاء ص ٢٣١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٣٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٩٤ وشذرات الذهب
ج ٣ ص ٧١ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٣١٧ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٢ ، وروضات
الجنات ص ٢٣٧ والفلاكة والمفلوكين ص ١٠١ والمزهر ج ٢ ص ٤٢١ ، ٤٦٦

النحو وحفظ اللفظة ، وأكثر أهل زمانه خبرة بالاعراب والمعاني والنوادر والسير . ولم يكن بالاندلس في فنه مثله ، وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم أبنائه ، فعلم هشاما المؤيد ولى عهده الحساب والعربية . وكانت له منزلة رفيعة عنده ، ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية وخطبة الشرطة . وجمع ثروة توارثها بنوه بعده . وكان شاعرا ، وقد ألف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن أبى الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجودا الى آخر القرن التاسع للهجرة ، وأخذ السيوطى عنه في المزهري ولا نعلم خبره (*) . وله كتب أخرى في لحن العامة ، وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطى . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ - كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة ، منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ - كتاب الاستدراك على سيبويه : استدرك فيه أشياء فاتت سيبويه ، طبع في روما سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالى وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ ، ویتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١ (**)

٣ - ابن جنى

توفى سنة ٣٩٢ هـ

هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، قرأ على أبى على الفارسى . وكان أبوه مملوكا روميا ، ولعل اسمه « جنى » معرب عن لفظ يونانى مثل « جنائس » . توفى ابن جنى ببغداد ، وهو أعظم علماء النحو في هذا العصر وأكثرهم أثارا . وكان شاعرا مطبوعا ، وله قصائد حسنة ، لكن النحو غلب عليه . وله فيه مؤلفات مهمة فيها فلسفة ونقد ، هالك أشهر ما بقى منها :

١ - الخصائص في اللفظة : كتاب كبير عظيم الفائدة ، يبحث في أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه . وهو بحث فلسفى في اللفظة وأصولها واشتقاقها وأحكامها ومصادرها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثانى في دار الكتب المصرية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة ، والجزآن الثالث والرابع في مكتبة غوطا . وأجزاء أخرى فى مكتبتى راغب ونور عثمانية فى الاستانة (***)

(*) نشر هذا الكتاب فى القاهرة بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم
(**) وانظر فى الزبيدى تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٣٨٣ وبغية الملمس ص ٥٦ والاسباب للسمعاني ٢٧١ أ ومطمح الانفس لابن خاقان ص ٥٣ والمغرب لابن سعيد « نشر دار المعارف » ج ١ ص ٢٥٠ ونفح الطيب « طبعة ليدن » ج ٢ ص ٣٢٠ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٣٥١ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١١٩ وروضات الجنات ص ٦١٦ وانباء الرواة ج ٣ ص ١٠٨ وبغية الوعاة ص ٣٤ وطبقات ابن قاضى شهاب ج ١ ص ٣٧
(*) تقوم دار الكتب المصرية بنشر هذا الكتاب وقد صدر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمد
(***) تقوم دار الكتب المصرية بنشر هذا الكتاب وقد صدر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمد النجار

٢ - سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخيم في نحو ٦٠٠ صفحة ، يشتمل على أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه أبحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي ، وأجناس الحروف وفروعها ، وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الأبحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة فالباء وما بعدها إلى آخر الحروف الأبجدية . ونظر في كل حرف وأين يكثر أو يقل من حيث موقعه من الألفاظ ، وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من الموضوعات التي تهم طالب تحليل الألفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس ومكتبتى راغب وكوبرلى وفي دار الكتب المصرية ومكتبة الظاهر في دمشق (*)

٣ - شرح تصريف المازنى : في مكتبتى راغب باشا وكوبرلى بالآستانة

٤ - كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفيينا وليدن

٥ - مختصر القوافى : في الاسكوريال

٦ - اللمع في النحو : في برلين وإياصوفيا وعليها شروح عدة

٧ - المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ - شرح المتنبي : في دار الكتب المصرية

٩ - المبهج : هو شرح أسماء شعراء الحماسة شرحا لغويا لا تاريخيا . منه نسخة في دار الكتب المصرية في ٧٢ صفحة (**)

١٠ - مختصر التعريف الملوكي ، أو جمل أصول التصريف : مطبوع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ - علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ - التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخيم في نيف و ٤٠٠ صفحة ، فيها شرح لغوي نحوي موجود في ليدن وفي دار الكتب المصرية

وترجمة ابن جنى في ابن خلكان ٣١٣ ج ١ ، ویتیمه الدهر ٧٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٠٦ (***)

نحاة آخرون

واشتهر في هذا العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتباً ، فان

(*) ينشر هذا الكتاب الآن في القاهرة وقد صدر منه الجزء الاول

(**) طبع هذا الكتاب في دمشق بمطبعة الترقى

(***) وراجع في ابن جنى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣١١ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٠ ومراة الجنان ج ٢ ص ٤٤٥ وروضات الجنات ص ٤٦٦ والشعور بالعمور ص ١٣١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ٢ ص ١٢٣ ومراة الجنان ج ٢ ص ٤٤٥ ومعجم الادباء ج ١٢ ص ٨١ ودمية القصر ص ٢٩٧ وانبذة الرواة ج ٢ ص ٣٣٥ والبغية للسيوطي ص ٣٢٢ وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٣٦ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٣١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٥ والمنظم في وفيات سنة ٣٩٢ « ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلن ١٢٥ ج ١ »

في الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ - ابن دستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد ، وهو فارسي الاصل ، ألف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد . وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ - أبو سعيد السيرافي ، ويعرف بالقاضي ، توفي سنة ٣٦٨ . وكان واسع العلم عريض الجاه ، تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه وألف كتاب الفات الوصل والقطع وكتاب أخبار النحويين البصريين (*) وغيرها لم يصلنا منها شيء . وكان الرجل ثقة يدرس عليه الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم الادباء ٨٤ ج ٣ ، وابن خلكان ١٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ - أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ ، وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ، ومنه شروح خطية في دار الكتب المصرية أحدها للعكبري . وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ، ومعجم الادباء ٩ ج ٣ ، وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ - أبو الحسن الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح

٨ - ابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦

٩ - الربيع المتوفى سنة ٤٢٠

١٠ - الافليلى المتوفى سنة ٤٤١

١١ - الثمانينى المتوفى سنة ٤٤٢

وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجم لهم ابن خلكان

اللغة والفويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه بأن علوم اللغة نضجت فيه وتم نشوء المعاجم اللغوية ، فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة أهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعاني . وهم أصحاب المعاجم ، وسنفرد لهم فصلا خاصا بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ - المطرز البوردي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المعروف بالمطرز البوردي الزاهد غلام ثعلب . وكان من أكابر أئمة اللغة الكثيرين ، أخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة ، لكن أدباء عصره يخطئون في أكثر نقله ، ويقولون لو طار طائر لقال أبو عمر : «حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا» ويقال انه أملى من حفظه أكثر من ٣٠٠٠ ورقة في اللغة ، توفي ببغداد ودفن فيها . وألف كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ - كتاب العشرات : هو عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد ، منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ - كتاب أخبار العرب : في الاسكوريال ، ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم . ترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ ، والفهرست ٧٦ ، وطبقات الادباء ٣٤٥ (*)

٢ - أبو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي ، جده من موالى عبد الملك بن مروان . وكان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو

(*) وانظر الانساب ٤١٣ أ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٥٦ وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٠١ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٠ وروضات الجنات ص ٦١٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٣٧ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٢٢٦ وانساب الرواة ج ٣ ص ١٧١ وطبقات الزبيدي ص ١٤٤ والبغية للسيوطي ص ٦٩ والمنتظم وفيات سنة ٣٤٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٦

البصريين .. تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن دستوريه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد حيث أقام بها ٢٥ سنة . وأقام في الموصل زمنا ، وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر ، وتوفي فيها سنة ٣٥٦ ، وله عدة مؤلفات أكثرها في اللغة .. هالك ما وصلنا منها :

١ - كتاب الامالى : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد ، أملاه في جامع الزهراء بقرطبة . ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر في مجلدين لهما ذيل

٢ - كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة أى ألف صفحة ، فهو من قبيل المعاجم . ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢ (*)

٣ - أبو احمد العسكري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوى نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير أبى هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان أبو احمد صاحب أخبار ونوادر . وكان صاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا ، فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف أبو احمد عدة مؤلفات وصل إلينا منها :

١ - كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرف من الكلمات التى وردت عن البلغاء مما يعد من أنواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشبهة . وهو مفيد ، طبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ

٢ - كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلى بالاستانة

٣ - كتاب الحكم والامثال في مكتبة زكى (باشا) بمصر

وترجمة أبى احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣ (***)

ومن علماء اللغة في هذا العصر أيضا غير أصحاب المعاجم الآتى ذكرهم : جنادة المتوفى سنة ٣٩٩ ، والسهمسماني توفي ببغداد سنة ٤٥١ ، وصاعد اللغوى توفي سنة ٤١٧ ، وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ ، وقد ترجم لهم ابن خلكان

(*) وزاجع في القالى الانساب ٤٣٩ ب وطبقات الزبيدي ص ١٣٠ وبعية الملتمس ص ٢١١ وتاريخ علماء الاندلس ج ١ ص ٦٥ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨ وطبقات ابن قاضى شهابية ج ١ ص ٢٧٥ ومهرست ابن خير ص ٣٩٥ واللال ج ١ ص ٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٥٩ وبعية الوعاة ص ١٩٨ ونفح الطيب للمقرئ « أنظر الفهرس » وسلم الوصول ص ١٩٩ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٠٤

(**) وانظر في أبى احمد العسكري الانساب ٣٩٠ ب وتاريخ أبى الفداح ج ٢ ص ١٢٣ وروضات الجنات ص ٢١٦ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٢ وطبقات ابن قاضى شهابية ج ١ ص ١٠٤ واللباب ج ٢ ص ١٢٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٤١٥ ومعجم البلدان في مادة عسكر مكرم وانباه الرواة ج ١ ص ٢١٠ وبعية الوعاة ص ٢٢١ وخزانة الادب ج ١ ص ٩٧ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٣

المعاجم اللغوية وأصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ ، لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن بصدده ، فيحسن بنا أن نطيل الكلام فيها

المعاجم على العموم

أسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون ، فانهم وضعوا معجما فيه ٤٠٠٠ كلمة في القرن الحادى عشر قبل الميلاد. مؤلفه اسمه باوتشى . وأقدم معجم لغوى في اللغة اللاتينية اسمه Lingua Latina ألفه « وارو » المتوفى سنة ٢٨ قبل الميلاد. ونحو ذلك الزمن أو بعينه ، ظهر أقدم معجم للغة هوميروس ألفه أبولونيوس الفراماطيقى الاسكندرى في زمن اوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس ، ثم يأتى العرب وهم أسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية. وهاك تاريخها :

مصادر المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التى تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم او على المعانى المتشابهة أو المتقاربة ، وهى مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في أدوار مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب فكان الرواة كحماد والاصمعى وأبى عبيدة وغيرهم ، يروون ما يسمعونه أو يأخذونه عن سماعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولا في كتب مستقلة ، كل موضوع على حدة ، ككتب الابل وأسماء الوحوش وخلق الانسان والخيول والشاء والنبات والشجر والنخيل وغيرها للاصمعى وكتب اللبن والمطر لأبى زيد الانصارى ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة ، وهى تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها . ككتب النوادر للكسائى وأبى زيد والشيبانى والقالى . وكتب الفريب في اللغة كفريب أبى عبيد والشيبانى وابن الاعرابى . وشروح الشعر ، فان فيها كثيرا من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التى تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها ، وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر . ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، وقد تقدم ذكره ، وكتاب البارع للقالى ، وأبنية الافعال لابن القوطية الآتى ذكره ومنها كتاب ديوان الادب لاسحق بن ابراهيم الفارابى المتوفى سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتى ذكره . جعله على ستة كتب : الاول في السالم ، والثانى في المضاعف ، والثالث في المثال ، والرابع في ذوات

الثلاثة ، والخامس في ذوات الاربعة ، والسادس في الهمزة . وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين : أسماء وأفعالا : وقدم الاسماء على الافعال ، واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي دار الكتب المصرية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وأمثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم ، على ان الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم . وسبق أن ذكرنا أسماء القبائل التي أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم :

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين ، وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول ، تليه جمهرة ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني . . وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جنى ونفطويه . . فأقدم المعاجم كتاب العين ، فالجمهرة لابن دريد ، فالبارع للقالى ، وقد تقدم ذكرها .

وهاك المعاجم التي ظهرت بعد ذلك مع تراجم أصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ - التهذيب للأزهري

المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

هو أبو منصور محمد بن احمد الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه ورحل فطاف أرض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية ، يتتبعون مساقط الفيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاضرهم في أوقات القيظ ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية ، ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش

فبقى في أسرهم دهراً طويلاً ، يشقى في الدهناء ويربع في الصمان ويقبض بالستارين . . فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم ألفاظاً جمة . فلما ألف كتابه التهذيب ، أدخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين أي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم وأسماء الذين أساءوا التأليف في اللغة . وعقد فصلاً في ألقاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب اياصوفيا ونور عثمانية

وكوبرلى فى الآستانة ، ونسخة فى المكتبة الاحمدية بحلب . وفى المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحتاهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهى الثانى بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جدا (*)

وقد ألف أيضا كتاب غريب الالفاظ التى استعملها الفقهاء ، منه نسخ فى برلين وكوبرلى

وترجمة الازهرى فى ابن خلكان ٥٠١ ج ١ (**)

٢ - المحيط للصاحب بن عباد

المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه المحيط ، مرتب حسب حروف الابجدية كما هى اليوم فى سبعة مجلدات وقد أكثر فيه الالفاظ وقل الشواهد . ومنه الجزء الثالث فى دار الكتب المصرية

٣ - المجمل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى . كان اماما فى علوم شتى وخصوصا اللغة . وله فضل التقدم فى وضع المقامات ، لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني كما تقدم . وتفقه عليه الصاحب بن عباد . وكان أستاذ عصره ، وقد خلف مؤلفات ذات شأن ، هالك أشهرها :

١ - كتاب المجمل فى اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ المهمة المستعملة . أخذ أكثرها عن السماع وأخذ عمن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم ، وأجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية فى برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطانى واكسفورد وبنى جامع وكوبرلى . وفى كتب الشنقيطى بدار الكتب المصرية نسخة فى مجلدين كبيرين صفحتاهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط (***)

٢ - كتاب الثلاثة : يشتمل على ألفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة فى الاسكوريال

٣ - كتاب ذم الخطأ فى الشعر : فى برلين

٤ - كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطى بالزهر ، ولم نقف على خبره

(*) ضح تهذيب الازهرى كما هو معروف

(**) وانظر فى الازهرى معجم الادباء ج ١٧ ص ١٦٤ وبغية الوعاة للسيوطى ودائرة المعارف الإسلامية

(***) طبع من هذا المعجم الجزء الاول ، ولابن فارس معجم آخر يسمى مقاييس اللغة ، وقد طبع فى ست مجلدات بتحقيق عبد السلام هرون

٥ - كتاب الصاحبى : فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها . ترجع هذه التسمية الى انه ألفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه أبحاث فى أصل اللغة العربية وخصائصها ، واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن ، وتعريف أقسام الكلام والاسماء العربية وأسبابها ، والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء ، وغير ذلك من الموضوعات اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ ، وفى صدره فصل فى ترجمة حياة المؤلف

٦ - كتاب الاتباع والمزاوجة : جمع فيه ماورد من كلام العرب مزدوجا ، كقولهم : ساغب لاغب ، ومايق دايق ، والسيف والليف . منه نسخة بين كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية فى ٤٤ صفحة ، ولم يذكر بين مؤلفاته

٧ - كتاب الامتاع لابن فارس . طبع غيسن سنة ١٩٠٦

وترجمة ابن فارس فى ابن خلكان ٣٥ ج ١ ، ومعجم الادباء ٦ ج ٢ (*)

٤ - الصحاح للجوهري

المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . أصله من فاراب ببلاد الترك ، ولذلك سموه الفارابى أيضا . وهو غير أبى نصر الفارابى الفيلسوف المتقدم ذكره ، فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابى صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره أيضا ، فانه خال اسماعيل بن حماد الذى نحن بصدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم فى اللغة ، أخذ عن خاله المذكور وغيره ، وسافر الى البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز فى طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان ، فأقام فى نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلا . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من ألفاظ اللغة ما صح عنده ، فجاء أوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهرى وجمهرة ابن دريد . ورتبه على أسلوب لم يسبقه اليه أحد ، فجعل القاعدة فى ترتيب الالفاظ على أواخر الكلم . . فيضع « قلب » مثلا قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء فى طلب القوافى

ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة فى ديار مضر وحققها بالسمع من عرب البادية هناك لانه عاشرهم . وفى الكتاب خطأ فى ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت فى معجم الادباء قال : « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للأستاذ أبى منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى

(*) وراجع فى ابن فارس دمية القصر ص ٢٥٧ والديباج المذهب ص ٣٦ وروضات الجنات ص ٦٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٢ وطبقات ابن قاضى شهاب ج ١ ص ٢٣٠ واليتيمية ج ٣ ص ٣٦٥ وانباء الرواة ج ١ ص ٩٢ وبغية الوعاة ص ١٥٣ والفلاكة والمفلوكين ص ١٠٨ وسلم الوصول ص ١١٢ وتاريخ ابن كثير ج ١١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢

وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعتري الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور ، فصعد الى سطحه وقال : « أيها الناس اني عملت في الدنيا شيئا لم اسبق اليه فسأعمل للآخرة أمرا لم اسبق اليه » . وضم الى جنبه مصراعى باب وتأبطهما بحبل ، وصعد مكانا عاليا من الجامع وزعم انه يطير فوق قمات ، وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة . . فبيضه أبو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته ، فأخطأ فيه في عدة مواضع خطأ فاحشا »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر ، وفي مصر سنة ١٢٨٢ . وفي طبعة مصر مقدمات لأبى الوفاء الهورينى في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه أبو الفضل جمال الدين القرشى سنة ٩٧٦ هـ ، ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطانى وغيرهما . وطبعت في كلكتا سنة ١٨١٢

ولخصه محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى من أهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال ، وضم اليه كثيرا من تهذيب الازهرى وغيره ، وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مرارا بمصر وغيرها ، ومنه نسخ خطية في مكاتب أوروبا . وألف كثيرون في نقد الصحاح للأسباب التى قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهري هذا فضل في تميم علم العروض والزيادة في أوزانه (١) ، وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ، وقيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤ (*)

هـ - الجامع للقزاز

المتوفى سنة ٤١٢ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن جعفر التميمى النحوى القزاز القيروانى . كان في خدمة العزيز الفاطمى صاحب مصر . وكان مقدما وجيها وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة ، وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ (***)

(١) العمدة ٨٨ ج ١

(*) وراجع فى الجوهري دمية القصر ص ٣٠٠ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٦٢ ونزهة الالباء ص ٤١٨ والمزهر للسيوطى ج ١ ص ٩٧ والبغية ص ١٩٥ وانباء الرواة ج ١ ص ١٩٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٢ وسلم الوصول ص ١٩٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٧

(**) وانظر فى القزاز معجم الادباء ج ١٧ ص ١٠٥ والوفى بالوفيات ج ٢ ص ٣٠٤ وروضات الجنات ص ٦١٨ وانباء الرواة ج ٣ ص ٨٤ وبغية الوعاة ص ٢٩

٦ - الموعب للتياني

المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

وهو أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوى من أهل قرطبة . ألف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ، ولم يختصر الشواهد . لكن الكتاب ضاع . وترجمته فى ابن خلكان ٩٧ ج ١ (*)

٧ - المحكم والمخصص لابن سيده

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

هو آخر أصحاب المعاجم التى ظهرت فى ذلك العصر وأعظمهم ، وهو الحافظ أبو الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسى الاندلسى . كان ضريرا وكان أبوه ضريرا وعالما فى اللغة فأخذها عنه وعن غيره . وكان حافظا أقام فى مرسية وتوفى فى دانية من أعمال الاندلس . وقد ألف غير كتاب فى اللغة والادب ، هاك ما وصلنا منها :

١ - المحكم فى اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على أنواع اللغة ، رتب ألفاظه على ترتيب كتاب العين . وقد نظم بعضهم ثلاثة أبيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل ألفاظها ، وهى :

علقت حبيبا هنت خيفة غدره قليل كرى جفنى شكا ضر صدّه
سبا زهوّه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب ثوى ربع لحدّه
نواظره فتاكة بعميده ملاحته أجرت ينابيع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر ، وقد انتقى شواهد من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس فى تأليف كتابه ، كما سيأتى فى مكانه . والمحكم موجود فى المتحف البريطانى . وفى مكتبة دار الكتب المصرية منه أجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . وأكبر مجموعة من تلك الأجزاء تبلغ ١٨ جزءا ، تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربى (***) . وللمحكم خلاصة لمحمد الانسى المتوفى سنة ٦٨٠ ، منها نسخة فى المتحف البريطانى

٢ - المخصص : وهو معجم معنوى أى أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها ، فهو مثل فقه اللغة للثعالبي . . ولكنه أوسع منه كثيرا . وقد طبع فى مصر سنة ١٣١٦ فى ١٧ مجلدا عن نسخة خطية مخرومة كانت

(*) وراجع فى التنيانى بغية المتمس للضبى ص ٢٣٦ وروضات الجنات ص ١٤٠ ومعجم الأدباء ج ٧ ص ١٣٥ والمغرب لابن سعيد « طبع دار المعارف » ج ١ ص ١٦٦ وانباء الرواة ج ١ ص ٢٥٩ والصلة لابن بشكوال ج ١ ص ١٢٤ وطبقات ابن قاضى شعبة ج ١ ص ٢٨٥ (***) تقوم الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية الآن بنشر هذا الكتاب

في دار الكتب المصرية . ومنه أجزاء خطية متفرقة في مكتبتى اكسفورد والاسكوريال وهو أوفى كتاب في بابيه ، اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس أبجدي يسهل البحث عن مواده

٣ - كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج (*)

(*) وانظر في ابن سيده بغية الملتبس للضبى ص ٤٠٥ ومطمح الانفس ص ٦٠ والصلة لابن بشكوال ص ٤١٠ والديباج المذهب ص ٢٠٤ ومعجم الادباء ج ١٢ ص ٢٣١ ونفح الطيب « القهرس » ونكت الهميان ص ٢٠٤ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٠٥ و امرأة الجنان ج ٣ ص ٨٣ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ٢ ص ١٣٨ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠٥ وبغية الوعاة ص ٣٢٧ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٨٦ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٩٥ ودائرة المعارف الإسلامية

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

أخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر ، فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الإسلامية أو الأمم أو الأشخاص . وذلك طبعاً بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الإسلامية . وأكثرهم يقربون الكتاب ويفرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بأبي اسحق الصابي المتقدم ذكره ، وكما فعل محمود الغزنوي بالعتبي الاتي ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما حدث في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الأمة أو الدولة يدون غالباً في أواخر أيامها أو بعد انقضائها . وأما تراجم الأفراد ، فيغلب تدوينها في حياة أصحابها بإيعاز منهم . ونظراً لتوالي التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالأخشيديين فالفاطميين ، ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع أكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الأوائل » ومنه يعرف أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . وأول من ألف فيه تأليفاً مستقلاً أبو هلال العسكري ، وقد تقدم ذكره

أما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من توالي الرحلات فيه ، كما سيحىء مع وصف الأماكن الجغرافية . . فالمؤرخ يصف ما سمعه ورآه من الفرائب . وأكثرهم افاضة في ذلك المسعودي ، وكان هو نفسه من أهل الاسفار وكذلك أبو زيد البلخي وقد ألف في التاريخ والجغرافية ، وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . . غير أصحاب الجغرافية الاتي ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لأن أكثرها كتب ، ولا سيما التواريخ الخاصة ، تحت سيطرة الملوك والأمراء لأرضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تفادياً للتعرض للأحزاب الدينية إلا ما كان بين السنة والشيعة ، وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامة ثم الخاصة ، ونرتب التراجم في كليهما حسب سني الوفاة :

١ - المسعودى

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هو على بن الحسين بن على ، من ذرية عبدالله بن مسعود ، ولذلك قيل له المسعودى . نشأ فى بغداد وجاء مصر ورحل فى طلب العلم الى أقصى البلاد ، فطاف فى فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر فى اصطخر . وفى السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ، ثم عطف الى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) . ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندى الى مدغشقر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء أذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفى سنة ٣٣٢ وفد على أنطاكية والثغور الشامية الى دمشق واستقر أخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ ، وتوفى فى السنة التالية . ولم يفتر فى أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف موضوعاتها . . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد . وألف كثيراً من الكتب المفيدة فى موضوعات شتى أهمها فى التاريخ ، وهاك أشهر مؤلفاته الباقية :

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر : وهو كتاب أشهر من أن يعرف لشيوعه ، وقد طبع مراراً فى جزئين . وصف فى الأول منهما الخليفة وقصص الانبياء مختصراً ، ثم وصف البحار والأرضين وما فيهما من العجائب . ويدخل فى ذلك تواريخ الأمم القديمة من الفرس والسيان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية منذ ظهور الرسول حتى مقتل عثمان . وذكر فى المجلد الثانى تاريخ الاسلام من خلافة على الى أيام المطيع لله العباسى (توفي سنة ٣٦٣) ويظهر مما جاء فى مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها ، كانت موجودة فى أيامه ولم يصلنا منها الا طائفة قليلة : كتاريخ الطبرى ، وفتوح البلدان للبلاذرى . وأما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . ويتضمن هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها فى سواه . ولذلك فقد عنى المستشرق باربيه دى مينار بنقله الى اللغة الفرنسية ، وطبع فى باريس سنة ١٨٧٢ فى تسعة مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبدالله المراس فى مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانجليزية الاستاذ سبرنجر ، وطبع الجزء الأول من ترجمته فى لندن سنة ١٨٤١

٢ - كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والاجيال والممالك الدائرة . وهو كبير طويل مثل اسمه ، يتألف من ثلاثين مجلداً . وقد أكثر المسعودى من الإشارة اليه فى مروج الذهب . . اذا اختصر الكلام فى باب قال : « وقد فصلنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان » لكن هذا الكتاب مفقود الان . عدا الجزء الاول ، فهو فى مكتبة فينا

٣ - كتاب الاوسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع أيضا ، ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق (١)

٤ - كتاب التنبيه والاشراف : أودعه لمعا من ذكر الافلاك وهيئاتها ، والنجوم وتأثيراتها ، والعناصر وتركيبها ، وأقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها ، والرياح ومهابها ، والارض وشكلها ، ومساحتها ، والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان ، وحدود الاقاليم السبعة ، والعروض والاطوال ، ومصاب الأنهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ، ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ ، وفيه أشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في خمسمائة صفحة

وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ ، والفهرست ١٥٤ (*)

٢ - حمزة الاصفهاني

توفي نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهاني ، كان مقيما ببغداد في أوائل القرن الرابع ، وأصله من اصفهان . كان يتعصب لغير العرب ، وعول فيما كتبه على المصادر الفارسية . وأشهر كتبه :

١ - كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبه في عشرة ابواب ذكر فيها شيئا من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة ، فضلا عن ملوك الفرس والروم وغيرهم . ويوجه همه في الاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة . طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ ، وفي مقدمة الكتاب أسماء الكتب الفارسية التي استعان بها في تأليفه ، وطبع أيضا في كلكتة سنة ١٨٦٦

٢ - كتاب الأمثال : منه نسخة في مكتبة منشون

٣ - كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية في مائة صفحة ، مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني

وترجمته في الفهرست ١٣٩ (***)

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢

(*) راجع في المسعودي معجم الادباء ج ١٣ ص ٩٠ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥ وكتب التاريخ في سنة وفاته وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٨١ ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر في حمزة الاصفهاني دائرة المعارف الاسلامية وبروكلن ١٤٥ ج ١

٣ - ابن النديم

توفى نحو سنة ٨٣٥ هـ

هو أبو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة ، لأنه أول من دونها منذ نحو ألف سنة في « الفهرست » . ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان . فهو أول من ألف في آداب اللغة ، واليك وصف كتابه :

كتاب الفهرست

بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الأمم من العرب والعجم وخطوطها وصور أمثلة منها . . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللفويين وتاريخ النحو وأصحابه في البصرة والكوفة وأسماء كتبهم فأصحاب الأخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . . فالفلسفة والعلوم القديمة وأصحابها فالأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . . فالمذاهب والاعتقادات ، وأخيرا الكيمياء وأصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف وأسماء كتبه

وقد عني بطبع هذا الأثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة ، غير الفهارس والشروح في اللغة الألمانية ، وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام ، وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمانية والجاحظ وابن أبي دؤاد وابن الراوندي والناشيء والجبائي والرماني وهشام ابن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الألمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة أدب نفيسة لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية في القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ، ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ (*)

٤ - المرعشي

توفى سنة ٤٢١ هـ

هو أبو منصور الحسين بن محمد المرعشي ، كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

— كتاب الفرر في سير الملوك وأخبارهم : في أربعة مجلدات ، الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابنائه . والثاني الى سقوط

(*) انظر في ابن النديم معجم الادباء ج ١٨ ص ١٧

يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبياء وملوك اليمن وأمراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والدول الصفري التي تفرعت من الدول العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والفرزونية . وقد ألفه بأمر أبي المظفر نصر أخى السلطان محمود الفرزوى ، ومنه الجزءان الاول والثانى فى مكتبة باريس

٥ - مسكويه

توفى سنة ٤٢١ هـ

هو أبو على الخازن بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه ، كان مجوسيا وأسلم وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم فى الامم . وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين ، وقد ألف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه فى مكتبته ، لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ . وكان له ولع خاص بالكيمياء ، فأنفق ماله فى طلب الذهب بالطبخ . ثم ندم على ذلك ، وتنقلت به حاله الى خدمة بنى بويه ، وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة صاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعرا مدح ابن العميد وعميد الملك ، وله رسائل أنيقة على أسلوب ذلك العصر . وألف كتباً كثيرة فى الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يصلنا منها الا ما يأتى :

١ - كتاب تجارب الامم : هو تاريخ عام يبدأ بالخليفة وينتهى سنة ٣٦٩ هـ ، ويدخل فى ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه بأنه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كايثانى المستشرق الايطالى بأمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها فى مكاتب الأستانة ، فعثر على نسخة منها فى أيا صوفيا وهى النسخة الوحيدة الكاملة فصورها . وتشتمل على ذلك التاريخ فى ستة أجزاء ، عنيت لجنة تذكاري جيب الانجليزية بنشرها مطبوعة على الاصل . أى بأن يصور الخط الاصلى كما هو ويطبّع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة فى ستمائة صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهى الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ ، وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج . وقد ألف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ذيلاً لهذا الكتاب ، منه نسخة فى جملة كتب زكى (باشا)

٢ - كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه الفيلسوف الاديب ، وهو فى ستة مجلدات أيضاً ، تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والهند واليونان ، منه نسخ خطية فى ليدن واكسفورد وباريس

٣ - كتاب تهذيب الاخلاق : هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه فى النفس وقواها وماهيتها وأفعالها ، وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث

في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله ، مستندا في ذلك على كتب الفلاسفة الأقدمين في أسلوب تهذيبى فلسفى ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل بأكثر مواده ويتخلل ذلك أبحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث أصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تحليل السعادة وأسبابها ، وبحث في العدالة وأقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها ، وآداب الصداقة وأمراض النفس وأسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأى . وقد طبع الكتاب مرارا في مصر وغيرها

٤ - الفوز الاصفر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مرارا ، ومنه نسخ خطية في مكاتب أوربا

وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ ، وفي تاريخ الحكماء ٣٣١ ، وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١ (*)

٦ - صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي قاضى طليطلة ، ولد في المرية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » . وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخى القرن الخامس وما بعده فيما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى احوال تمدنها وحال العلم فيها ، وخصوصا ابن أبى أصبيعة صاحب طبقات الاطباء ، وأبو الفرج الملقب صاحب مختصر الدول ، والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن وبتف في غيرها . وقد عثر الأب شيخو اليسوعى على نسخة عند أحد الوراقين في دمشق ، فطبعها في المشرق سنة ١٤٠٠ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضا (*)

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوى البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ، ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

(*) وانظر في مسكويه فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٥٨ راجع ابن مسكويه ، فلسفته الاخلاقية ومصادرها لعبد العزيز عزت « مطبعة الحلبي ١٩٤٦ » ودائرة المعارف في مادة ابن مسكويه وبروكلمين ٣٤٢ ج ١

١ - أبو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي ، كان يقيم بمصر حتى أوائل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف الذي سبق ذكره . وله من المؤلفات :

١ - فضائل مصر : ألفه لكافور الاخشيدى ، يشتمل على ما جاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدى باختصار . منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ - أخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٢٤٦ هـ ، منه نسخة في المتحف البريطاني ، وهي الآن تحت الطبع بعناية كونيغ في نيويورك

٣ - كتاب تسمية ولاية مصر : طبعه كونيغ المذكور ، وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات (*)

٤ - تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية ، منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٢ - أبو عبدالله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨ هـ

نسبة الى خشينة من قضاة في قرطبة ، له كتاب أخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ ، منه نسخة خطية في اكسفورد (**) (*)

٣ - أبو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في أيام المعز لدين الله الفاطمي كتابا كاليومية سماه « ما كفى من أخبار الايام » منه نسخة في الاسكوريال

٤ - ابن القوطية

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان

(*) طبع هذا الكتاب وسابقه رافون جيست في بيروت سنة ١٩٠٨ باسم كتاب الولاة وكتاب القضاة ، وهما في مجلد واحد
(**) نشر ريبيرا هذا الكتاب سنة ١٩١٤ وترجمه الى الاسبانية ، وانظر في الخشني تاريخ الفكر الاندلسي ص ٢٦٧ وقد حلل هذا الكتاب تحليلا دقيقا

من أعلم أهل زمانه باللغة العربية مع حفظ الحديث والفقه والاختصاص والنوادر . وكان أروى الناس للأشعار وأدركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مطلعاً على أخبار الأندلس ملماً برواية سير أمرائها وأحوال فقهاء وشعرائها ، يملئ ذلك عن ظهر قلبه ، وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ ، وقد ألف كتباً مفيدة في اللغة . ويقال إنه أول من فتح باب تصارييف الأفعال . وجاء بعده ابن القطاع وأتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ - تاريخ الأندلس : يشتمل على فتح الأندلس إلى سنة ٢٨٠ هـ ، ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه إلى الفرنسية شاربونو ، وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ ، وعول عليه طلاب تاريخ الأندلس من الأفرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنسية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة .

٢ - كتاب الأفعال : نشره الاستاذ جويدي في لندن سنة ١٨٩٤

وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١ (*)

٥ - ابن زولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ - كتاب مختصر تاريخ مصر إلى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا
٢ - تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ، ولها مختصر في غوطا وباريس . .

٣ - أخبار سيبويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ ، منه نسخة في دار الكتب المصرية في نحو مائة صفحة (***)

٤ - تمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر : إلى سنة ٣٨٦ ، يتبدى بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم تقف عليه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ، ومعجم الأدباء ٧ ج ٣

٦ - ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزهرى الفرضي . ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ، ورحل في طلب العلم إلى القيروان ومصر ، وتعين قاضياً لبلنسية ،

(*) وراجع في ابن القوطية تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٧٠ وبغية الملتبس ص ١٠٢ والدباج المذهب ص ٢٨٢. ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٤ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٧٢ واليتيمة للثعالبي ج ٢ ص ٦٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ١٧٨ وبغية الوعاة ص ٨٤ ومطمح الانفس لابن خاقان ومقدمة دوزي لكتاب ابن عذارى : البيان المغرب ، ودائرة المعارف الإسلامية (***) طبع هذا الكتاب في القاهرة

وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ هـ فمات في تلك السنة .
ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات . نشره
كوديرا في مدريد سنة ١٨٩٢ (*)

٧ - عز الملك المسيحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسيحي الكاتب
الحراني ، ولد في مصر ونشأ على زى الاجنساد ، وخدم الحاكم بأمر الله
الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان . وله مع الحاكم بأمر الله
مجالس ومحاضرات . وقد ألف كتباً كثيرة في موضوعات مختلفة ، أكثرها
في التاريخ والادب وعلم النجوم وغير ذلك ، لم يصلنا منها الا القليل . وهالك
ما وصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر : ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة
والخلفاء ، وما فيها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الاطعمة . وذكر
بيلها وأحوال أهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب . ويتخلل ذلك
أشعار الشعراء وأخبار المفاين ومجالس القضاة والحكام والمعلمين والادباء
والمتفكرين وغيرهم . وهو ثلاثة عشر ألف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو
أطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ ، يوجد بعضه في
مكتبة الاسكوريال

وقد ألف له محمد بن ميسر ذيلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ هـ ، منه
نسخة في باريس وترجمة المسيحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١ (**)

٨ - أبو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري ، من
علماء التفسير وقد ألف فيه . وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس »
في قصص الانبياء ، طبع بمصر مراراً (***)

(*) وانظر في آبن الغرضي الصلة لابن بشكوال ص ٢٤٨ وبغية الملتبس للضبي ص ٣٣١.
ومطعم الانفس « طبع الاستانة » ص ٥٧ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦٨ وتذكرة الحفصا
للدهبي ج ٣ ص ٢٧٧ والديباج لابن فرحون ص ١٤٩ ونفح الطيب « أنظر الفهرس » ودائرة
المعارف الاسلامية

(**) وراجع في المسيحي حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٩ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٥
والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١ والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد « القسم الخاص بالقسطاط
- طبع جامعة القاهرة » ص ٢٦٤
(***) وانظر في الثعلبي الشذرات ج ٣ ص ٢٣٠ ومعجم الادباء ج ٥ ص ٣٦ والنجوم
الزهرية ج ٤ ص ٢٨٣ ودائرة المعارف الاسلامية

٩ - أبو النصر العتبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . . وأصله من الري ، وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء ، فتولى الكتابة للأمير أبي علي ثم لأبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي . ثم صار نائبا في خراسان لشمس المعالي ، واستوطن نيسابور وأقبل على خدمة الاداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب الفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه . .

اليميني

هو الكتاب الذي اشتهر أبو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة أبيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر أيامه ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق مهمة . وقد كتبه مسجعا على أسلوب الترسل في ذلك العصر ، كما فعل الثعالبي بيتيمة الدهر لكنه ابلغ منه . ولا يدانيه في البلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرمانى وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاشي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين وفيينا وليدن والمتحف البريطاني وباريس وبطرسبرج ويني جامع

وفي دار الكتب المصرية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جدا مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة ، على حواشيتها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهي سنة ١٨٤٧ ، وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ أبي النصر العتبي للمنيى الدمشقي ، منه نسخة في فيينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدرا بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاشي في يني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكاني . ومن هذه الترجمة نسخة في فيينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانجليزية رينولد ، وطبع في لندن سنة ١٨٥٨

وترجمة العتبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ ، وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ - هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشئ صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان أبوه

صائبيا ، أما هو فأسلم متأخرا وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف . وله مؤلفات كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء

هو كتاب جليل القدر لأنه مسهب في وصف المدة التي تكلم عنها ، قاصر على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبرى قد وفى التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ وألف غيره للمدة التي بعده ، لكن أكثرها ضاع . . حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزى فطبعه سنة ١٩٠٤ فى بيروت عن نسخة خطية كانت فى مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هى كل تاريخ الوزراء بل هى قطعة منه وفيها نقص من أماكن كثيرة تنتهى بسنة ٣٩٣ فى نحو خمسمائة صفحة كبيرة ، فيها فوائد يندر العثور عليها فى الكتب الأخرى عن أحوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وإدارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام . ويسمى هذا الكتاب أيضا كتاب الأعيان والأمائل

وترجمته فى ابن خلكان ٢٠٢ ج ٢ ، وقيمة الدهر ١٨٧ ج ١ ، وفى مقدمة طبعة تاريخ الوزراء (*)

١١ - القضاى

توفى سنة ٤٥٤ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضى الشافعى . تولى القضاء بمصر ، وقد أنابه المصريون عنهم فى رسالة الى بلاد الروم . وله عدة مؤلفات أهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار فى ذكر الخطط والأخبار ، أخذ عنه المقرئى فى خطته وبه عددناه من أصحاب التواريخ الخاصة ، لكنه ضاع . وهاك ما وصل إلينا من مؤلفاته الأخرى :

١ - كتاب الشهاب فى المواعظ والآداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث فى الحكم والوصايا والآداب بدون الإسناد فى نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ فى برلين وباريس وليدن وفى دار الكتب المصرية

٢ - الأنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ ، منه نسخة فى برلين واكسفورد

٣ - كتاب عيون المعارف وقنون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطارقة والأنبياء وبنى أمية والعباسيين والفاطميين . . وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ ، وكلاهما فى باريس

(*) وانظر شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٠

٤ - نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتاريخ ، في المتحف البريطاني

٥ - مسند الشهاب : وهو يتضمن أسانيد الشهاب المتقدم ذكره ، ويسمى أيضا اسناد الشهابي . . موجود في دار الكتب المصرية في نيف وخمسمائة صفحة

وترجمة القضاء في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١، وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١(*)

١٢ - أبو بكر الخطيب البغدادي

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب ، خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الأئمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين . سمع في بغداد شيوخ وقته ، ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور ، وجاء صور فأقام بها مدة وكان يتردد على بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب ، وعاد الى بغداد حيث أقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ ، وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتابا في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه وغيرها ، أكثرها ضاع ، وهالك ما بلغنا خبره منها :

١ - تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلدا ، وبه اشتهر لكنه تبعث فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم أجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر ودار الكتب المصرية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ ، كتابا على حدة في ثلثمائة صفحة تحتوي على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها وأقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيها الناشر بحواش وفهارس ، فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخطتها . والكتاب على اجماله مروي بالاسناد على طريقة المحدثين (***)

٢ - الكفاية : في معرفة أصول علم الرواية ، يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها ، منه نسخ في برلين وليدن . وفي دار الكتب المصرية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ - تقييد العلم (***) ، ٤ - شرف أصحاب الحديث ، ٥ - المؤتلف تكملة المؤتلف والمختلف . . وكلها في برلين

٦ - تلخيص التشابه في الرسم وحماسة ما أشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما أشكل من أسماء الرواة ،

(*) وانظر في القضاء شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٣

(**) طبع هذا الكتاب وقد تردد في تعليقاتنا السابقة

(***) نشر يوسف العش هذا الكتاب في دمشق

مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتبه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيما يتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق أسماء الرواة وأنسابهم وأخبارهم منه نسخة في دار السكتب المصرية في سبعمائة صفحة وفي آخرها نقص

٧ - كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ، ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١ (*)

(*) وراجع في الخطيب البغدادي تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٢١٢ وطبقات السبكي ج ٣ ص ١٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٣٩٨ ومعجم الادباء ج ٤ ص ١٤ وذييل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٥ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ١٠٢ والمنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٢٦٩ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٣٢٩ ج ١

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ، ولم ينضج علم الجغرافية فيه نضجا تاما (*) . ومع ذلك فانه أبان فضل العرب في اكتشاف أماكن دخولها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد الى وصفها على أثر الفتوح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وأفريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . . فاستكشفوا كثيرا من جزائر المحيط وجزائر الأتلانتيك ، وعرفوا أصقاع الأرض أكثر من سائر الأمم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر أخبار الجغرافيين من العرب ، نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة ، فقد وجدوا أمثلة منها في انقضاى بابل وأشور ومصر . أما العرب فبدأوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون أساس رسوماتهم قياس العرض والطول . وأول من رسم منهم خريطة الأرض على هذا الأساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون . . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك ، كما فعل بطليموس القلوذى . فلما أخذوا في الرحلة أغضوا عن تلك المقاييس ، وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل أبو زيد البلخي في أوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في أواسطه . . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الأماكن بالمقاييس ، فاستفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الأربع : (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بدون تقدير الأبعاد بينها . ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم ، فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها بأن يكون دائما أعلاها شمالا وأسفلها جنوبا ويمينها شرقا وشمالها غربا . أما هم فالفالب عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة ، فالزاوية بين الأعلى واليمين مثلا قد تكون شمالا ، والزاوية المقابلة لها من أعلى غربا ، أو أن تكون الزاوية بين الأعلى واليمين غربا ، وتكون المقابلة لها في الأعلى جنوبا ، أو غير ذلك

(*) راجع في هذا الموضوع كلمة جغرافية في دائرة المعارف الإسلامية

على أن العرب أخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الأبعاد بين الأماكن، وأقدم من عينها منهم الشريف الإدريسي. وهناك تراجم أصحاب الجغرافية العامة :

أصحاب الجغرافية العامة

١ - أبو زيد البلخي

تقدم ذكره بين المؤرخين ، وله في الجغرافية كتاب « صور الأقاليم » ، وهو أقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح ، لأن المؤلف أراد تصوير الأقاليم فألف هذا الكتاب وسماه « صور الأقاليم الإسلامية » فرسم الأرض وأشكالها والأقاليم الإسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ إليه جهد العرب في ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه بأقاليم الاصطخرى الآتى ذكره ، لأن هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح أحوال البلاد . فنكتفى بشرح جغرافية الاصطخرى

٢ - الاصطخرى

في أواسط القرن الرابع للهجرة

هو أبو اسحق الفارسي من أهل اصطخر ويعرف أيضا بالكرخي ، له كتابان :

١ - كتاب الأقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلاً ، فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند واذربيجان والجبال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وأفغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضع ذلك كله بالخرائط ويسمىها « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الألماني

٢ - كتاب مسالك الممالك : وهو كثير الشبه بكتاب الأقاليم لكنه خال من الخرائط ، وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقية نفس كتاب الأقاليم . طبع في ليدن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه . وقد قال المؤلف في صدره انه عول فيه على كتاب صور الأقاليم لأبي زيد البلخي (*)

(*) انظر في الاصطخرى دائرة المعارف الإسلامية في اسمه وفي مادة « جغرافيا »

٣ - ابن حوقل

في أواسط القرن الرابع

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له «كتاب المسالك والممالك» وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة ، وقد طبع أيضا في جملة المكتبة الجغرافية ، وترجم الى الانجليزية ، وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ ، وترجم بعضه المختص بأفريقيا . وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ ، وقسم آخر يختص بالرم طبع في باريس سنة ١٨٤٥ (*).

٤ - المقدسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري المعروف بالمقدسي ، ولد في بيت المقدس ، وساح في أكثر بلاد الاسلام شرقا وغربا الى السند والهند والاندلس . وقد عول في كثير مما كتبه على اختباره الشخصي مما شاهده بعينه . وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم وأخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها . واستفاد أيضا من سابقيه ، فألف سنة ٣٧٥ هـ كتابا سماه «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» وهو أفضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر . صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه ضمنها نقدا للباحثين في هذا العلم . ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه ، فقال : « وما تم لي جمعه الا بعد جولاتي في البلدان ، ودخولي أقاليم الاسلام ، ولقائي العلماء ، وخدمتي الملوك ، ومجالستي القضاة ، ودرسي على الفقهاء ، واختلافي الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور مجالس القصاص والمذكرين . . مع لزوم التجارة في كل بلد ، والمعاشرة مع كل أحد ، والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتھا . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى أتقنتھا ، ودوراني على التخوم حتى حررتها ، وتنقلي الى الاجناد حتى عرفتھا ، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها ، وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبتها ، وتدبري في الكور حتى فصلتها ، وبحثي عن الاخرجة حتى أحصيتها » الخ . .

وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى أقاليم : « ورسمنا حدودها وخطوطها ، وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها بالخضرة ، وأنهارها المعروفة بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغبرة ، ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد في الطبعة التي بين أيدينا . وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه . . الأولى سنة ١٨٧٧ ، والثانية سنة ١٩٠٦ ، مع شروح وملاحظات (**).

(*) راجع في ابن حوقل كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٤ ودائرة المعارف الاسلامية في اسمه وفي مادة جغرافيا

(**) وانظر في المقدسي مقدمة كتاب أحسن التقاسيم الى ص ٤٤ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٨٢ والحضارة الاسلامية لميتز ج ٢ ص ٤ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

٥ - هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض » ومقدارها في الطول والعرض « منه نسخة في مكتبة طوب قبوسراي في الآستانة لم يذكر فيه مؤلفه ، لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كأنه كتب له . وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكى (باشا) منقولة عن تلك بآلة التصوير

الجغرافية الخاصة

لم يظهر في الجغرافيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سراييون

وهي جغرافية ما بين النهرين ، وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في أوائل أيام البويهيين ، ولا نعرف شيئا عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانجليزية المستشرق سترانج الانجليزى ، ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخراجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها ، وأضاف اليها تعاليق وشروحا جزيلة الفائدة

وفي مجلة المقتطف مقال عن جغرافى العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الإسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثالث

تفرغت العلوم الإسلامية في أوائل الإسلام إلى القراءة والتفسير والحديث . ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن ، وقد علمت مما تقدم أن الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الأول والحديث في العصر الثاني . ونشأت في أثناء ذلك فروع أخرى من علوم القرآن والعلوم الإسلامية الدينية على اثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الأقدمين والعلوم الدخيلة ، ونشأت فروع أخرى في العصور اللاحقة ، سIRD بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الإسلامية ، يعجب لما استخدموه فيها من أعمال الفكرة . . ولا سيما الفقه فإنه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى ، اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة . ومن ينظر في قضاياها وأحكامه ، يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان ، فقد ساعد في انشاء بعض فروع والتوسع في البعض الآخر كعلم الكلام ، فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه . وقد تقدم الحديث عنه في العصر الثاني

علم الكلام

ونبغ في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام ، لبعضهم مؤلفات في موضوعات أخرى ، جاء ذكرهم في أبوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الآخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم في هذا الباب أشهر أنصار الأشعرى وهو :

أبو بكر الباقلاني

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن ، وانه معجزة نبوة النبي . وفيه فصول في نفى الشعر من القرآن ، وكيفية الوقوف على اعجاز القرآن . وطائفة حسنة من خطب الرسول وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من

بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١ (*)

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر (**) وخلاصة تاريخه « انه من العلوم الشرعية المستحدثة ، وأصله العكوف على العبادة والانتقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيها من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في أصل كلمة التصوف أو الصوفية (***) ، فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة ، وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون ان اشتقاقها من الصوف اقرب الى الصواب لاختصاص أصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن (فيلوس) محب (فيلوصوفيا) أي محب الحكمة وهي بالعربية «الفلسفة» . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة ، لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة ، الا بعد ترجمة كتب اليونان ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال ، ولهم آداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج ، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ، ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، وكان عالما في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب

(*) وانظر في الباقلاني دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع ومقدمة كتابه التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة « نشر داز الفكر العربي » (***) المعروف ان التصوف نشأ مع أوائل القرن الثاني للهجرة ، ان لم يكن قبل ذلك ، وسرعان ما ازدهر في محيط العالم الاسلامي وخاصة منذ القرن الثالث . وانظر في نشأته وتطوره الى هذا العصر كتاب « الصوفية في الاسلام » لنيكلسون ترجمة شريفة ، وكذلك كتابه « في التصوف الاسلامي وتاريخه » ترجمة أبي العلا عفيفي والعقيدة والشريعة في الاسلام لجولدتسهير ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، الفصل الرابع . وانظر ماسينيون في بحثه .

Essai sur les origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane « باريس ١٩٢٢ » وكذلك في كتابه المسمى : مجموع نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف في بلاد الاسلام Recueil de Textes Inédits concernant l'histoire de Mystique Islam en pays de l'Islam « باريس ١٩٢٩ » وراجع أيضا ماكدونالد في كتابه « المسلك الديني والحياة في الاسلام » The Religious Attitude and Life in Islam وانظر دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(***) انظر في كلمة تصوف وأصل معناها كتاب « في التصوف الاسلامي وتاريخه » ص ٢٧

والشعر والكتابة فضلا عن التصوف . وقد ألف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية ، وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ ، وبهامشها تقاريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصارى عليها . وأبو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد ، ألف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الفزالي بين الامرين في كتاب الاحياء ، فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتى على ترجمة حاله ومؤلفاته . وصار علم التصوف علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على أيدي الأئمة الاربعة شيئا غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ، ولكن أكثرهم اشتغلوا بعلوم أخرى . . فدخلت ترجماتهم في أبواب تلك العلوم . ولو أردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي أردناه في هذا الباب . وانما نترجم للفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جريا على الفرض المراد من هذا الكتاب . وأشهرهم في هذا العصر :

أبو الحسن الماوردي

توفى سنة ٤٥٠ هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي ، تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكرا حسن التأليف ، كما يظهر من كتبه التي وصلت إلينا وهاك أهمها :

١ - كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة واقسامها وشروطها وامارة الجهاد واقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج ، وولاية الصدقات ، واحكام الفئء والغنيمة واقسامها ، والجزية والخراج حسب الارضين ، واحكام الاقطاع ، وترتيب الدواوين وأنواعها ، وما يختص ببيت المال ، واحكام الحسبة ، وغير ذلك من القواعد الشرعية مما لا يجده الباحث في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٩٨

٢ - أدب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والآداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم وأخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ، ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة وأدب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصديق وأضدادها وآداب المواضعة . وفيه أبحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة

١٢٩٩ ، وفي مصر مرارا . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

٣ - نصيحة الملوك : في باريس

٤ - تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا

٥ - كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هو مطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلدا ، منها نسخة في دار الكتب المصرية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة

٦ - أعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في أقوال الرسول من ذلك . منه نسخ في برلين ودار الكتب المصرية في ٣٠٠ صفحة

٧ - كتاب الامتثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة ، و ٣٠٠ حديث ، و ٣٠٠ بيت من الشعر . موجود في ليدن

٨ - معرفة الفضائل : في الاسكوريال

وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ (*)

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الوراثة وأشكالها وصورها وضروب مواقعها ، وما يحتاج اليه ذلك من الحساب فأفرد له العلماء بابا خاصا ، وكتب فيه الفقهاء منهم كابى حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ، ومن هؤلاء في أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن أبى ليلى ويحيى بن اكثم ثم أبو المعالى . ثم ألف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

أما التفسير فنشط التأليف فيه ، وظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبرى المتقدم ذكره في العصر الماضى . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في دار الكتب المصرية . والحوافى المصرى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان في تفسير القرآن » منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وابن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٤٣٧ هـ في قرطبة ، له مؤلفات كثيرة ضاعت ، وغيرهم

(*) وراجع في ترجمة الماوردي تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٢ وطبقات السبكي ج ٣ ص ٣٠٣ ومعجم الادباء ج ١٥ ص ٥٢ وتاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى ص ٣٦٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٣٨٦ ج ١

وأما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها ،
لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين أخذ ورد . وأشهر من نبغ فيه من
المؤلفين في هذا العصر الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، وأبو الفتح
سليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ هـ ، والاجري المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ،
والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وغيرهم

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن العلوم الدخيلة في العصر العباسي الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى أربعة : الطب ، والفلسفة ، والنجوم ، والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني ، وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ، فقد نبغ فيها علماء لا يشق لهم غبار . فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلا منهم في العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل في الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات ، لكننا سنفرد لها فصلا خاصا . أما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص في هذا العصر ، وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد أحصوا أطباء بغداد وحدها في زمن المقتدر بالله في أول القرن الرابع للهجرة ، فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيبا امتحنوا لنيل الاذن في التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته ، وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن أن يكون مجموع ذلك كله اقل من ألف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة . وبلغ عدد أطباء النصارى فقط في خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيبا . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيبا ، ومنهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للأطباء عندهم نظام ، وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . وأشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ، ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيدلة وكانوا كثيرين . وتفشى الفش في الادوية حتى اضطر ولى الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات أو المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفى الآخرين . وأول من فعل ذلك الافشين في بغداد ، ووكل زكريا بن الطيفورى به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء أوالصيدلة من هو خاص بالجند يرافقه في أسفاره ، ومنهم من هو خاص بالخلفاء والأمراء ولهمؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطلبون العامة وهم غير مرتزقين ، وأشهر أطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ، ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه ابو على الحسين بن عبد الله ، ويلقب بالشيخ الرئيس . ويسميه الافرنج Avicenne . كان أبوه من بلخ في شمالي أفغانستان ، وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية . وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميش . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ ، وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة . ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا ، وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل أن يتجاوز العاشرة ، ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب . ثم تفرغ للتوسع في هذه العلوم . وكان يحيى الليل في الدرس والبحث

واتفق أن نوحا المذكور مرض فذكر له ابن سينا ، فاستقدمه فبرىء على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال ، فاستأذنه في دخولها فأذن له فدرسها درسا ثم احترقت بعد أن وعى زبدتها . وأخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع الإعجاب ، ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي إلا بعد حين . ومرت به طوارئ مختلفة ، وقاسى ما يقاسيه طالب العلا من العذاب ، والملوك مناظروه أو يريدوه . وكان شديد القوى كلها جسدا وعقلا ، لكن شهواته البدنية كانت غالبية عليه . فآثرت في مزاجه حتى أماتته بهمدان سنة ٤٢٨ هـ ، وهو في الثامنة والخمسين من عمره وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل ، وقد ألف في كل فن من العلم والادب . وتزيد مؤلفاته على مائة ، وكان لها تأثير كبير في نهضة أوربا الأخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما في الاصل العربي ، فكثير من مؤلفاته لا يزال باقيا (*) . ومنها جانب كبير في دار الكتب المصرية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد . فمن كتبه الطبية الموجودة هناك :

١ - القانون : في ١٤ جزءا مطبوع في روما ومصر ، وهو من أهم كتبه . حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لأبي بكر الرازي ، كان أكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي ، وفي نهضة أوربا قبيل التمدن الحديث

٢ - الالفية في الطب

٣ - منظومة في الطب

(*) أنظر في آثار ابن سينا كتاب مؤلفات ابن سينا للاب قنواتي ، وهو مجلد ضخيم يشتمل على مئات من المصنفات في مكاتب العالم المختلفة ، وراجع كتاب مؤلفات ابن سينا بدار الكتب المصرية لفؤاد السيد ، وبروكلمن ١٩٥٢ ج ١

ومن كتبه الفلسفية :

١ - الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الأستانة ، وعلى هامشه شرح للفخر الرازي

٢ - الشفاء : وهو ١٨ جزءا بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى ، منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس . والكتاب موجود برمته في دار الكتب المصرية (*)

٣ - النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع

٤ - رسائل في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجواهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحسد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطأ في دار الكتب المصرية

٥ - القصيدة العينية في النفس

٦ - كتاب المبدأ والمعاد

وفي المنطق :

(١) كتاب الشرقيين (٢) رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق ، بعضها في مكاتب أوربا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفا لا يوجد منها في دار الكتب شيء ، ولكن أكثرها في مكاتب أوربا . ولا محل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خاصة في العلم الطبيعي ، وقد أوضح كثيرا من غوامضه ، وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عدة وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ ، وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ ، وأخبار الحكماء ٢٦٨ ، وفي سنة ١٨ من الهلال (***) . وللأفرنج مقالات كثيرة في

(*) تطبع وزارة التربية والتعليم هذا الكتاب وقد صدر منه حتى الآن اربعة اجزاء : المدخل والبرهان والخطابة وجوامع علم الموسيقى

(**) وراجع في ابن سينا تنمة صوان الحكمة للبيهقي «طبعة دمشق» ص ٥٢-٧٢ وابن القفطي ص ٤١٣ وتاريخ ابن الاثير وأبى الفدا في سنة ٤٢٨ هـ وخزانة الادب للبغدادى ج ٤ ص ٤٦٦ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٩٢٥ وشذرات الذهب لابن العماد ج ٣ ص ٢٣٤ وروضات الجنات ص ٢٤١ Avicenne الكارادى فو « طبع باريس سنة ١٩٠٠ » ومقالته عنه في دائرة المعارف الدينية والاخلاقية نشر هيستنجز « أدنبره ١٩٠٩ » ج ٢ ص ٢٧٢ وتاريخ الادب في ايران من الفردوسى الى السعدى لبراون « ترجمة ابراهيم أمين الشواربى » ص ١٢١ ومحمد غلاب في مجلة الازهر ج ٨ ص ٣٦ ومقالات Furlani عن ابن سينا وديكارت في مجلة Islamica « ليبسك ١٩٢٧ » المجلد ٣ ج ١ ص ٥٣ Arnold و في تراث الاسلام فصلى الطب والفلسفة وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور ص ١٦٤ والكتاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا « بغداد ١٩٥٢ » نشر جامعة الدول العربية وجمبيل صليبيا في بحثه Etudes sur la Métaphysique d'Avicenne « باريس ١٩٢٦ » وجاردى Gardet في بحثه La Pensée Religieuse d'Avicenne « باريس ١٩٥١ » وتراث العرب العلمى في الرياضيات والفلك ص ٢٨٦ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وكتاب مؤلفات ابن سينا لقنواوى وقد سجل فيه ص ٣٢٩ وما بعدها والبحرث المختلفة عن ابن سينا في اللغة العربية واللغات الاجنبية

ابن سينا وفلسفته ، وكتبه نقلت الى الفرنسية والانجليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء

وللمسلمين فضل كبير على علوم الصيدلة والكيمياء والنبات ، وهى من فروع الطب ، بدأوا بذلك فى صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم ، وان تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع فى باب واحد . وقد عنى الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة بدرس تاريخ فن الصيدلة ، فتحققوا ان العرب هم واضعو أسس هذا الفن ، وهم أول من اشتغل فى تحضير الادوية او العقاقير فضلا عما استنبطوه من الادوية الجديدة ، وانهم أول من ألف الاقرباذين على الصورة التى وصلت الينا . وظل العرب فى النهضة العباسية يعتمدون فى المارستان ودكاكين الصيدلة على اقرباذين ألفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، حتى ظهر اقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ المتوفى فى بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم أول من أنشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التى أخذها الافرنج عن العرب ، ولا تزال عندهم بأسمائها الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على ان تقدمهم فى الصيدلة تابع لتقدمهم فى الكيمياء والنبات ، ولا خلاف فى ان العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربههم ومستحضراتهم . وأول من اشتغل فى نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية ، وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وبعده جابر ابن حيان ثم الكندى فأبو بكر الرازى وغيرهم ، فاکتشفوا كثيرا من المركبات الكيميائية التى بنيت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ذكر الافرنج ان العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض النيتروهييدرو كلوريك) واکتشفوا البوتاس وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليمانى (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاس) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلوى والزرنيخ والبورق . وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التى لم يصل الينا خبرها . على اننا نستدل منها على وجود بعض المركبات الكيميائية فى أيامهم مما لم نسمع له بمثيل فى تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضى . . فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب فى واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ ، اذا طلى بها الخشب امتنع احتراقه ، ولم يذكر ما هى . ومما يعد من قبيل الكيمياء أيضا البارود ، فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه . وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتصفيد والتبلور والتدويب . وقد ألقوا فى أبطال الكيمياء القديمة . أول من ألف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندى فى أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللعرب القدح المعلى فى درسه والتأليف فيه ، وقد أخذوا هذا العلم فى النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن

كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس في أيام المتوكل ، نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية . والعقاقير التي لم يعرف لها أسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني ، اتكالا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة ، فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . اذ كاتبه ملك قسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ ، وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية ، فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهبا اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من أسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلًا على ذلك الكتاب (*)

ابن البيطار

حتى نبغ ابن البيطار المالقى النباتي في أواسط القرن السابع للهجرة ، فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى اقصى بلاد الروم ، ولقى جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع أيضا في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعانين منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبى ، وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيسا على العشابين وأصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار ألف كتابا في النبات هو فريد في بابيه ، وكان عليه معول أهل أوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النباتات . ومؤلفاته الباقية :

١ - كتاب المغنى في الادوية المفردة : ألفه للملك الصالح الايوبى . منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس

٢ - جامع مفردات الادوية والاغذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين ، وطبع في ستجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنسية بقلم لاكلارك وغيره

٣ - ميزان الطبيب : فى أوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣ ج ٢ ، وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١ (**) (*)

(*) انظر في خبر هذه الترجمة الاندلسية كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ٢٢ وراجع المقدمة

(**) وانظر في ابن البيطار حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠ واكتفاء القنوع ص ٢٢٣ وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٤ وتاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٧٩ ومقال Teclerc عنه في المجلة الاسبوعية ، المجموعة الخامسة ، مجلد ١٩ د ١٨٦٣ ص ٤٣٣ ودائرة المعارف الاسلامية ومجلة الجمع العلمى المصرى ، المجموعة الثانية رقم ١٠ وبروكلمن ٤٩١ ج ١ و ٥٠٧ ج ٢

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة ، وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصورا معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ، ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كيمائي العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر ، واشتغل فيها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولاسيما الاطباء . . وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان بعض الفلاسفة في هذا العصر يهتمون بالكفر ، وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفا عند بعض المتشدددين للانتساب الى التعطيل . وشاعت النقرة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك : « ما اظن الله يففل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة »

وقد اشتهرت في هذا العصر جمعية سرية هي جمعية « اخوان الصفا » (*) تألفت في بغداد في أواسط القرن الرابع للهجرة . وذكروا من أعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجابي ، وأبو أحمد المهرجاني ، والعمري ، وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سرا ويتباحثون في الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص ، هو خلاصة أبحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنس بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا أسماءهم . وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها ، وتشمل النظر في مبادئ الموجودات وأصول الكائنات وترتيب العالم فالهولي والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض

(*) راجع في اخوان الصفا تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٩٥ وظهر الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثاني. ومقدمة طه حسين وأحمد زكي لرسائلهم « طبعة القاهرة ١٩٢٨ » ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢١٤ ج ١

وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات وأوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور واجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم . وبالجمله فقد ضمنوها كل علم طبيعى أو رياضى أو فلسفى أو الهى أو عقلى

ويظهر من امعان النظر فيها أن أصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك آراء لم يصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل فى كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة ، وان الغرض منها التعاضد فى الدين . وذكروا شروط قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرا الى بلاد الاسلام . ولم تمض مائة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد أبى الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى . وهو من أهل قرطبة ، رحل الى المشرق للتبحر فى العلم على جارى عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة ، وهو أول من أدخلها الاندلس . . فما لبث أن انتشرت هناك وتناولها أصحاب العقول الباحثة وأخذوا فى درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . . أثقنها طبعة ديتريشى فى ليبسك سنة ١٨٨٣ ، وطبعت فى بومباى سنة ١٣٠٣ ، وفى مصر سنة ١٣٠٦ ، ومنها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية . وطبعت فى لندن سنة ١٨٦١

وهى غير اخوان الصفا للحكيم المجريطى المتوفى سنة ٣٩٥ ، ومنها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى ١٨٠ صفحة . وهى تشبه تلك ، لكن صاحب هذه يريد أن يفسر الفلسفة بالدين

مصادر فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التى يستعان بها فى دروس تاريخ الفلسفة والفلاسفة فى الاسلام :

De Boer, The History of Philosophy in Islam. London, 1903 (*)

(*) ترجم محمد عبد الهادى أبو ريذة هذا الكتاب الى اللغة الصربية ، ومن أهم ما يرجع اليه فى تاريخ الفلسفة والفلاسفة فى الاسلام :

Carra de Vaux, Les Penseurs de l'Islam, 5 vol. Paris, 1921-26.
Gadri, La Philosophie Arabe dans l'Europe Médiévale des Origines à verroès, Paris, 1947. (Traduit de L'Italien).

Dietrich, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig 1897

Dugat, Histoire des philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878

Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris, 1876

Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Göttingen, 1840.

هذا عدا مقالات كثيرة في المجلات الآسيوية والشرقية والفرنسية والانجليزية والالمانية وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ، ومقالة أخرى في فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين « طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعة و « أخبار الحكماء » لابن القفطي ، وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعهما في الاندلس الا في العصر التالي، فنبغ الزهراوي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء

الفلك

كان للمسلمين حظ وافر من علم الفلك وفضل كبير عليه ، يكفيك انهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في أكثر العلوم الدخيلة . وقد أتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ١٨٩ ، وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثارا وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم . . أشهرهم بنو شاعر ، وأبو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ ، وحنين ابن اسحق سنة ٢٨٨ ، وأحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ، ومحمد ابن عيسى الماهاني ، ومحمد بن جابر الحاراني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٣١٧ ، وكان أوجد عصره في فنه ، وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الأخيرة . أما في العصر الثالث الذي نحن بصددده ، فأكثر فلكيي المسلمين آثارا البيروني ، وقد بقي منها شيء كثير وسنأتي على ترجمته وأعماله

وأول ما يلفت انتباهنا من هذا القبيل أن العرب (أو المسلمين) قالوا

Horten, (M.) Die Philosophie des Islam, München, 1924.
Léon Gauthier, Introduction à l'Etude de la Philosophie Musulmane, Paris, 1923.

وقد ترجم محمد يوسف موسى هذا الكتاب الى العربية بعنوان : المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية
Ahmed Fouad El-Ehwany, Islamic Philosophy, Cairo, 1957.

تاريخ فلاسفة الاسلام لمحمد لطفى جمعة « طبع دار المعارف ١٩٢٧ »
نظرات في فلسفة العرب لجبور عبد النور « طبع بيروت ١٩٤٢ »
من افلاطون الى ابن سينا لجميل صليبا « طبع دمشق ١٩٣٨ »

بإبطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ، ولعلمهم أول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا إبطالها . ولكنهم مالوا بعلم الفلك نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار ، كما فعلوا بعلم الكيمياء . وكانوا كثيرى العناية بعلم الفلك ، يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبها

ولعلم الفلك تاريخ طويل عند العرب لا محل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد وآلاتها وما أدخله العرب من الإصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ، واليك ترجمة نابغة علم الفلك في هذا العصر :

أبو الريحان البيرونى

توفى سنة ٤٤٠ هـ

هو أشهر علماء الفلك والرياضيات من المسلمين فى العصر الثالث . واسمه محمد بن أحمد البيرونى نسبة الى بيرون بلد فى السند . سافر فى بلاد الهند أربعين سنة ، اطلع فيها على علوم الهندود فضلا عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة أو المؤلفة فى هذه الفنون ، وأقام مدة فى خوارزم . وأكثر اشتغاله فى النجوم والرياضيات والتاريخ ، وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقى منها مما وصل خبره اليها :

١ - الآثار الباقية من القرون الخالية : الفه للأمير شمس المعالى ، وهو يبحث فى التواريخ التى كانت تستعملها الأمم فى زمانه ، والاختلاف الواقع فى الأصول التى هى مبادئها ، والفروع التى هى شهورها وسنوها ، والاسباب الداعية لذلك . وفى الاعياد المشهورة والايام المذكورة للأوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الآخر . . فهو من قبيل التوقيت ، أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر فيما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الأمم القديمة ، وتاريخ ذلك عند الأشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى أيامه . . وما أصاب التقاويم فى أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل ، وجداول للأشهر الفارسية القديمة على اختلاف العصور والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين ، وعند العرب فى الجاهلية والاسلام ، وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفى استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاول من آدم فما بعده من رجال التوراة ، ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها ، وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذى توفى بعد الاسلام . وفصول فى مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم ، وتواريخ المتنبيين وأممهم من أهل الأوثان أو أهل البدع فى الاسلام وأعياد الفرس . ومذاهب أهل خوارزم وحساب قبط مصر فى السنين

والكبس والاعیاد عندهم وعند الملكية . وأعیاد النصاری وأحوالهم على اختلاف الطوائف ، ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبیل فی أيام الجاهلیة وما فعله الاسلام فیها وغير ذلك مما لا تقف علیه فی کتاب آخر . ولذلك فقد عنى المستشرق الالماني سخاو بترجمته الى الانجليزية ، وقد طبع الأصل فی لبسك سنة ١٨٧٨ . والترجمة فی لندن سنة ١٨٧٩

٢ - تاریخ الهند : وهو من الكتب النادرة فی هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو أيضا الى الانجليزية ، وطبع الأصل فی لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فیها ١٨٨٨

٣ - التفهیم لأوائل صناعة التنجیم : هو مختصر فی الهندسة والفلك والنجامة ، منه نسخ فی برلین واكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زکی (باشا) بمصر

٤ - القانون المسعودی : فی الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الفزنوی ومنه اسمه . موجود فی برلین والمتحف البريطاني واكسفورد

٥ - رسالة فی الاسطرلاب . فی برلین وباریس

٦ - استيعاب الوجوه الممكنة فی صناعة الاسطرلاب . فی برلین وليدن وباریس

٧ - استخراج الأوتاد فی الدائرة بخواص الخط المنحنى فیها . هی مسائل هندسية وله فیها طرق خصوصية ، موجودة فی لیدن

٨ - رسالة فی راسيكات الهند : فی التناسب ، منه نسخة فی المكتب الهندی بلندن

٩ - مبحث فی مبادئ العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية فی باریس

١٠ - رسالة فی سیر سهمی السعادة والغیب : فی اكسفورد

١١ - كتاب الجماهر فی معرفة الجواهر : ألفه للملك المعظم ابی الفتح مودود . موجود فی الاسكوريال وفي كتب زکی (باشا)

وترجمة البيروني فی طبقات الاطباء ٢٠ ج ٢ ، وفي مقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية (*)

ونبغ غير واحد من علماء الفلك فی هذا العصر كالبوزجاني المتوفى سنة

(*) وانظر فی البيروني تنمة . صوان الحكمة للبيهقي ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٠ وتاريخ الفلسفة فی الاسلام لدى بور ص ١٨٤ ومقدمتي سخاو للآثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقولة وتاريخ الادب فی ايران من الفردوسي الى السعدي لبراون ص ١٢١ وكاجوري Cajori فی تاريخ علم الطبيعة History of Physics ص ٢٣ وفي تاريخ الرياضيات History of Elementary Mathematics ص ١٠٥ ومادة Biruni فی دائرة المعارف البريطانية وتراث العرب العلمی فی الرياضيات والفلك لقدرى طوقان ص ٢٧٥ وما بعدها وراجع مقالتي بركلمن وفيدمان عن البيروني فی دائرة المعارف الاسلامية

٣٨١ ، وابن رستم الكوهي ، والمنجم القمي ، وأبو الحسين الصوفي ، وابن اللبان الجبلي ، وعبد الأعلى الصدفي ، وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم . وقد أردنا الاختصار في هذا الباب لأن التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر . . فمن أراد التوسع في هذا الشأن ، فليطالع تراجم أولئك العلماء في أماكنها

الرياضيات

نريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة ، وكان للعرب فيها شأن عظيم . ومن أكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والأرقام الهندية من الهند وسائر أقطار العالم . . فالعرب يسمونها أرقاماً هندية لأنهم نقلوها عن الهنود ، والافرنج يسمونها عربية لأنهم أخذوها عن العرب . وأول من تناول تلك الأرقام من الهنود أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه أو تأليفه . ولما أخذ العرب في نقل العلوم اليونانية ، نقلوا كتابين في الجبر أحدهما لذيوفانتوس والآخر لأبرخس . وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث أن ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء ، أو هي أصول ضعيفة لا يعتد بها . وهم يعتقدون أن الجبر من وضع العرب . والحقيقة على ما نرى أن العرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود ، أضافوه إلى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن أشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . . فالظاهر أن الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الأصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس ، فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين آراء الهند والفرس واليونان . وقد عني العرب بشرح كتاب الخوارزمي مرارا . وألف أيضاً في الجبر أبو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجاني وأكثر مؤلفاته في الحساب ، وأبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١ هـ ، وأبو العباس السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث ، أخذوا الجبر عن العرب

ومما أحدثه المسلمون في الهندسة أنهم طبقوها على المنطق ، وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في أوائل القرن الخامس للهجرة . . فانه ألف كتاباً جمع فيه الأصول الهندسية والعديدية من اقليدس وابولونيوس ، ونوع فيها الأصول وقسمها وبرهن عليها ببراهين نظمها من الأمور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وابولونيوس . وأدخل في الجبر والحساب أساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي ، وعدل في أوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو موسى بن شاكر ، اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الأولين كقسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية

واشتغل العرب في أعوص المسائل المشككة في الهندسة ، كقسمة الدائرة إلى سبعة أقسام ، ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية في أوائل هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ، ونبغ فيها كثيرون ، وقد ورد كثير من قواعدها في كتاب الاغانى وأمثاله ، وكان لهم شأن في اختراع الآلات الموسيقية وتحسين الآلات التى أخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون ، والمشهور انه من اختراع الفارابى الفيلسوف المتقدم ذكره ، فقد قالوا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيذان يركبها ويضرب عليها وتختلف أنغامها باختلاف تركيبها ، ولكنها فى كل حال غريبة فى بابها

ذكروا ان الفارابى حضر مجلس غناء لسيف الدولة ، ولم يكن أحد من الحضور يعرفه ، فعاب المغنين . فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ، ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان فى المجلس . ثم فكها وركبها تركيبا آخر وضرب عليها فبكى كل من كان فى المجلس . ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضربا آخر فنام كل من كان فى المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج

زدياب وابن فرناس

وزاد المسلمون فى العود وترا خامسا زاده زرياب بالاندلس . . كان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التى قوبلت بها الطبائع الأربع ، فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا ، ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذى اخترع مضراب العود من قوادم النسر ، وكانوا قبله يضربون بالخشب وعباس بن فرناس فى الاندلس ، اصطنع الآلة المعروفة بالميقانة يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسى الثالث ، وبانقضائه تم الجزء الثانى من هذا الكتاب . وقد رأيت ان هذا العصر من أهم عصور آداب اللغة . والباقى لنا من ثمار قرائح أصحابه أكثر من بقايا سائر العصور التى تقدمته ، وفيها نخبة من الكتب المهمة المعول عليها فى اللغة والادب والشعر والتاريخ الجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الذى سنتناوله فى الجزء الثالث من هذا الكتاب . . فان أكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة فى الادب واللغة ، انما هى من بقايا العصر الرابع المذكور والذى يليه ، كما ستراه مفصلا فى الجزء الثالث

فهرس

صفحة	مقدمة	صفحة
	شروط التأليف	٥
	نسق الكتاب	٧
	أقسام العصر العباسي	١٠
	القرآن الكريم وآداب اللغة	
	العلوم التي تفرعت من القرآن	١١
	تأثير القرآن في آداب اللغة	١٤
	تأثيره من الوجهة الاجتماعية	١٦
	العصر العباسي الاول	
	الانقلاب السياسي	١٨
	الخلفاء والعلم	١٨
	حرية الدين	٢٠
	أقسام آداب اللغة	٢١
	العلوم الدخيلة	٢١
	آداب اللغة اليونانية	٢٢
	الطب والنجوم	٢٥
	آداب اللغة الفارسية	٢٦
	آداب اللغة السريانية	٢٧
	آداب اللغة الهندية	٢٩
	نقل الكتب ونقلتها	٢٩
	الكتب التي نقلت	٣١
	العلوم العربية الاصلية	
	اللغة	٣٤
	الالفاظ العلمية العربية	٣٤
	الالفاظ العلمية الاعجمية	٣٥
	التراكيب الاعجمية	٣٦
	الشعر في العصر العباسي الاول	
	الانتقال الاجتماعي	٣٨
	مميزات الشعر	٣٩
	طريقة النظم	٣٩
	المعاني الجديدة	٤١
	وصف الخمر والغلمان	٤٥
	الشعر المجونى	٤٥
	الشعراء في العصر العباسي الاول	
	الاستجداء	٤٧
	التهتك والخلاعة	٤٨
	الشعراء الموالى	٤٨
	الشكوك في الدين	٤٩
	حرية الاقلام والالسنه	٤٩
	منزلة الشعراء عند الخلفاء	٥٠
	نفوذ الشعراء وثروتهم	٥١

صفحة		صفحة	
٨٦	أبو الشيص	٥٢	تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية
٨٧	العكوك		طبقات الشعراء
	شعراء لم يتكسبوا بالشعر	٥٤	الشعراء المتحضرون
٨٩	صالح بن عبد القدوس	٥٥	شعراء لم يتحضروا
٩٠	العباس بن الاحنف	٥٦	بشار بن برد
٩٠	محمد بن بشير الرياشي	٥٩	السيد الحميري
	شعراء لم يتحضروا	٦٠	أبو نواس
٩١	كلثوم بن عمرو	٦٤	مسلم بن الوليد
٩٢	ربيعة الرقي	٦٥	أبو العتاهية
	العلوم اللسانية	٦٨	أبو تمام
٩٥	الادب والادباء	٧٠	دعبل الخزاعي
٩٨	رواة الادب		سائر الشعراء
	عمدة الرواة	٧٣	أبو دلامة
١٠٠	قتادة بن دعامة	٧٤	حماد عجرد
١٠٠	أبو عمرو بن العلاء	٧٥	مروان بن أبي حفصة
١٠١	أبو عبيدة معمر	٧٧	سلم الخاسر
١٠٢	الاصمعي	٧٨	منصور النمرى
١٠٣	أبو زيد الانصاري	٧٩	علي بن الجهم
١٠٤	أبو عبيد القاسم	٨٠	حسين بن الضحاك
	رواة الشعر		شعراء البرامكة
١٠٥	حماد الراوية	٨١	ابان بن عبد الحميد
١٠٦	المفضل الضبي	٨٢	ابن منذر
١٠٧	خلف الاحمر	٨٣	الرقاشي
١٠٧	أبو عمرو الشيباني	٨٤	أشجع السلمي
١٠٨	محمد بن سلام		شعراء الشيعة
١١٠	ابن أبي الخطاب	٨٤	ديك الجن
		٨٦	مطيع بن اياس

صفحة		صفحة	
١٤٢	مالك بن أنس		النحو
١٤٣	الامام الشافعي	١١٤	البصريون والكوفيون
١٤٤	الامام احمد بن حنبل	١١٥	سيبويه
١٤٥	القاضي أبو يوسف	١١٧	معاذ الهراء
١٤٥	محمد بن الحسن الشيباني	١١٧	الكسائي
١٤٦	عبد الرحمن بن القاسم	١١٨	الفراء
١٤٧	الحديث	١١٩	ابن السكيت
١٤٧	التفسير والقراءة		علم اللغة
	التاريخ	١٢٢	أوليات كتب اللغة
١٤٩	أشليخ أبو اسماعيل الأزدي	١٢٣	الخليل بن أحمد
١٥٠	الواقدي	١٢٦	مؤرج السدوسي
١٥٠	كتب الطبقات	١٢٧	النضر بن شميل
١٥١	ابن سعد صاحب الطبقات	١٢٧	قطرب
١٥٢	الانساب وكتابها	١٢٨	ابن الاعرابي
١٥٢	هشام الكلبي		الانشاء والمنشئون
١٥٣	السيرة النبوية		أول ثمار الرخاء
١٥٣	عبد الملك بن هاشم	١٢٩	التوقيعات
١٥٤	محمد بن اسحق	١٣٠	الانشاء المرسل
	العصر العباسي الثاني	١٣١	منشئو الرسائل
١٥٦	تاريخه السياسي	١٣٢	طاهر بن الحسين
١٥٨	مميزات هذا العصر	١٣٣	عمرو بن مسعدة
	اشهر الشعراء	١٣٣	عبد الله بن المقفع
١٦٠	ابن الرومي	١٣٦	سهل بن هارون
١٦٢	البيحري	١٣٧	الموسيقى والغناء
١٦٤	ابن المعتز		العلوم الاسلامية الشرعية
١٦٦	البسامي البغدادي		الفقه
١٦٧	الخبز ارزي	١٤٠	أبو حنيفة النعمان
١٦٧	ابن العلاف	١٤١	

صفحة	عبد الرحمن الهمداني	صفحة	الادب والادباء
١٩٣	التاريخ والمؤرخون	١٦٩	مميزات الادب
١٩٦	ابن عبد الحكم	١٧٠	الجاحظ
١٩٦	البلاذري	١٧٢	السكري
١٩٧	محمد بن حبيب	١٧٣	ابن قتيبة
١٩٨	الزبير بن بكار	١٧٥	ابن أبي الدنيا
١٩٩	عمر بن شبة	١٧٦	قدامة بن جعفر
٢٠٠	الازرقى	١٧٦	الوشاء
٢٠٠	ابن طيفور	١٧٧	ابن عبد ربه
٢٠١	اليقوبى	١٧٨	ابو بكر الصولى
٢٠٢	أبو حنيفة الدينورى	١٧٩	أسلوب ابن المقفع
٢٠٢	ابن جرير الطبرى	١٨٠	أسلوب الجاحظ
٢٠٤	أبو زيد البلخى		النحو والنحاة
٢٠٤	ابن البطريق	١٨٣	أبو عثمان المازنى
	الجغرافية والجغرافيون	١٨٤	أبو العباس ثعلب
٢٠٦	أسباب وضع الجغرافية	١٨٥	أبو اسحق الزجاج
٢٠٧	ابن خرداذبة	١٨٥	ابن الانبارى
٢٠٧	قدامة بن جعفر	١٨٦	ابن ولاد
٢٠٧	كتاب البلدان لليقوبى	١٨٦	أبو جعفر النحاس
٢٠٨	ابن الفقيه	١٨٧	أبو القاسم الزجاجى
٢٠٩	ابن رسته	١٨٨	مذاهب البصريين والكوفيين
٢٠٩	ابن الحائك		اللغة واللغويون
٢١٠	ابن فضلان	١٨٩	أبو عمرو الهروى
٢١٠	سلسلة تواريخ	١٨٩	أبو حاتم السجستانى
٢١٠	عجائب الهند	١٩٠	أبو العباس المبرد
	العلوم الاسلامية	١٩١	المفضل بن سلمة
٢١٢	علم الكلام	١٩٢	ابن دريد

مزايا هذا العصر

٢٣٣	نضج العلوم
٢٣٤	ظهور الموسوعات
٢٣٤	تعدد العلوم
٢٣٤	التدبير المنزلى
٢٣٥	كتب السياسة
٢٣٥	الاقتصاد السياسى
٢٣٦	علم العمران

الشعر والشعراء

٢٣٧	حل القيود القديمة
٢٣٧	مقتبسات الفلسفة والتاريخ
٣٤١	الوصف الشعوى
٢٤٣	تاريخ نقد الشعر

أشهر الشعراء

٢٤٨	أبو الطيب المتنبى
٢٥١	أبو فراس الحمدانى
٢٥٤	كشاجم
٢٥٤	السرى الرفاء
٢٥٥	ابن هانئ الاندلسى
٢٥٦	الوأواء الدمشقى
٢٥٧	السلامى
٢٥٨	البيغاء
٢٥٩	النامى
٢٥٩	ابن نباتة السعدى
٢٦٠	الشريف الرضى
٢٦١	صريع الدلاء
٢٦٢	مهيار الديلمى

٢١٣	علماء الكلام
٢١٥	البخارى
٢١٥	مسلم القشبرى
٢١٦	ابن ماجه
٢١٦	أبو داود
٢١٦	الترمذى
٢١٦	النسائى
٢١٧	التفسير للطبرى

العلوم الدخيلة

٢١٨	يعقوب الكندى
٢١٩	الفارابى
٢٢٠	ابن أبى الربيع

الطب والاطباء

٢٢١	ابن ماسويه
٢٢١	ابن سهل
٢٢١	الرازى

العصر العباسى الثالث

٢٢٤	تنقل العلوم فى المداين الاسلاميه
٢٢٦	أسباب النهضة فى هذا العصر
٢٢٧	الدولة البويهيه
٢٢٩	الدولة السامانيه
٢٢٩	الدولة الزياريه
٢٣٠	الدولة الغزنويه
٢٣١	الدولة الحمدانيه
٢٣١	الدولة المروانيه بالاندلس
٢٣٢	الدولة الفاطميه بمصر
٢٣٢	الوجهاء والعلم

صفحة		صفحة	
٣٠٢	أبو بكر الزبيدي	٢٦٣	أبو العلاء المعري
٣٠٣	ابن جنى	٢٦٦	سائر الشعراء
	اللغة واللغويون		الانشاء والترسل
٣٠٦	المطرز الباوردي	٢٦٨	أسلوب الترسل
٣٠٦	أبو علي القالي	٢٦٩	الطريقة المدرسية
٣٠٧	أبو أحمد العسكري	٢٧٢	المنشئون
٣٠٨	المعاجم اللغوية	٢٧٢	ابن العميد
٣٠٩	التهذيب للازهرى	٢٧٤	أبو بكر الخورازمى
٣١٠	المحيط للصاحب	٢٧٥	أبو اسحق الصابى
٣١٠	المجمل لابن فارس	٢٧٦	الصاحب بن عباد
٣١١	الصحاح للجوهري	٢٧٧	بديع الزمان الهمذاني
٣١٢	الجامع للقرآز	٢٧٨	أبو منصور الثعالبي
٣١٣	الموعب للتياني		الادب والادباء
٣١٣	المحكم والمختص لابن سيده	٢٨٣	أبو الفرج الاصبهاني
	التاريخ والمؤرخون	٢٨٥	أبو علي التنوخي
٣١٦	المسعودي	٢٨٦	أبو هلال العسكري
٣١٧	حمزة الاصفهاني	٢٨٧	الثعالبي
٣١٨	ابن النديم	٢٩٠	الشريف المرتضى
٣١٨	المرعشي	٢٩١	ابن رشيق القيرواني
٣١٩	مسكويه		الروايات والقصص
٣٢٠	صاعد الاندلسي	٢٩٤	القصص التي وضعها العرب
٣٢١	أبو عمر الكندي	٢٩٨	القصص المنقولة
٣٢١	أبو عبد الله الخشني	٢٩٩	خرافات الافرنج
٣٢١	أبو الحسن الاسكندراني	٣٠١	الدرام عند العرب
٣٢١	ابن القوطية		النحو والنحاة
٣٢٢	ابن زولاق		
٣٢٢	ابن الفرضي	٣٠٢	ابن خالوية

صفحة		صفحة	
٣٣٣	التصوف	٣٢٣	عز الملك المسيحي
٣٣٤	الفقه	٣٢٣	أبو اسحق الثعلبي
٣٣٤	أبو الحسن الماوردي	٣٢٤	أبو النصر العتبي
٣٣٥	الفرائض	٣٢٤	هلال الصابي
٣٣٥	التفسير والحديث	٣٢٥	القضاعي
		٣٢٦	أبو بكر الخطيب
	العلوم الدخيلة		الجغرافية والجغرافيون
٣٣٧	الطب	٣٢٨	الخرائط عند العرب
٣٣٨	ابن سينا	٣٢٩	أبو زيد البلخي
٣٤٠	الصيدلة والكيمياء	٣٢٩	الاصطخزي
٣٤١	ابن البيطار وابن الصوري	٣٣٠	ابن حوقل
٣٤٢	اخوان الصفا	٣٣٠	المقدسي
٣٤٥	أبو الريحان البيروني	٣٣١	ابن سراييون
٣٤٧	الرياضيات		العلوم الاسلامية الشرعية
٣٤٨	الفنون الجميلة		
٣٤٨	نظرة	٣٣٢	أبو بكر الباقلاني

طبع بقطاع
مؤسسة دار الهلال

Bibliotheca Alexandrina



0387481

